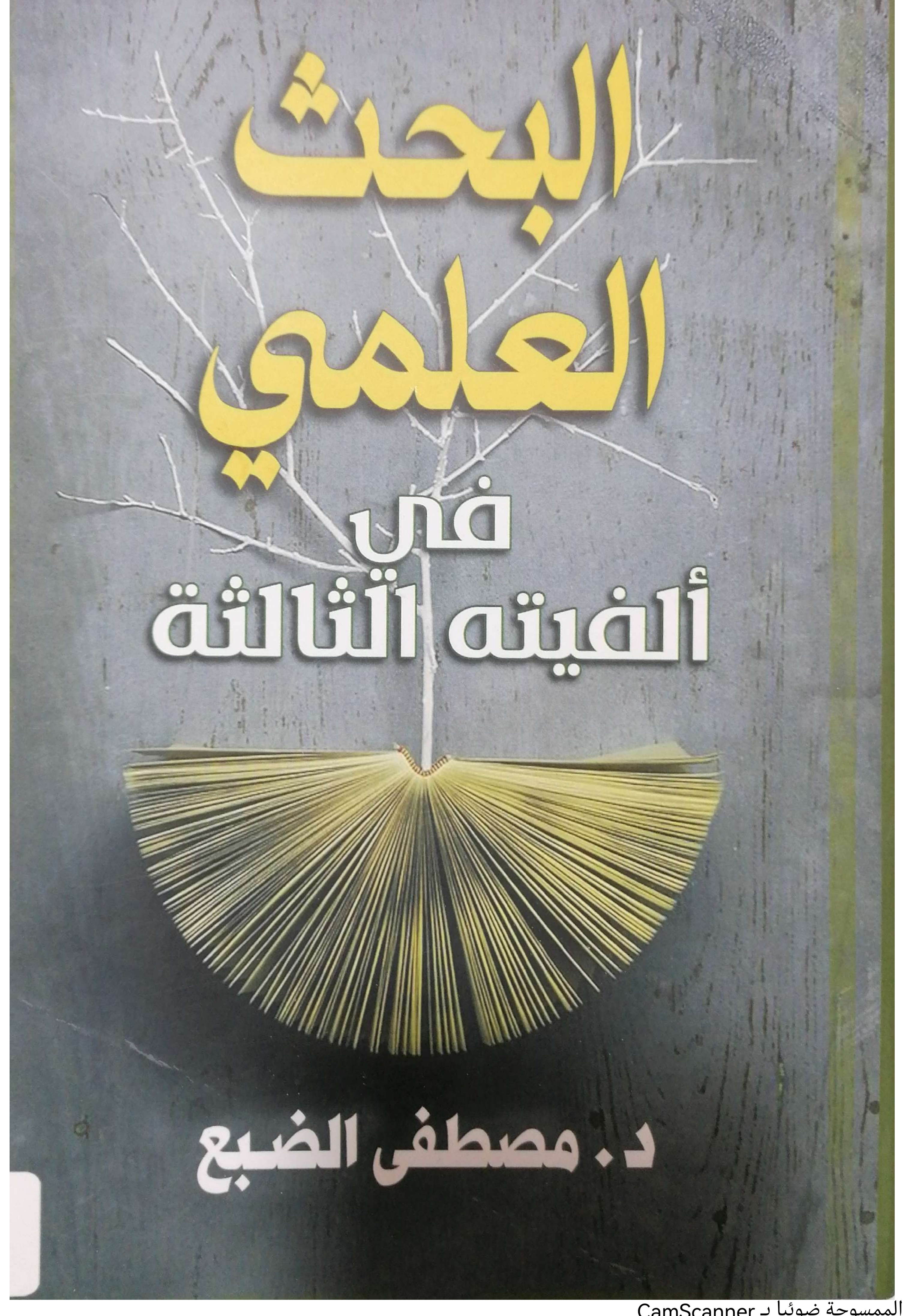

البحث
العلمي
في
ألفيته الثالثة
د. مصطفى الضبع



البحث العلمي
في ألفيّته الثالثة

د. مصطفى الضبع

جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل

المملكة العربية السعودية



البحث العلمي
في ألفيّته الثالثة

د. مصطفى الضبع

الإشراف العام

أيمن عيد

**** ***** ****

الإشراف والإخراج الفنى

السعيد المصرى

**** ** *** ****

تصميم الغلاف

الشاعر.. سمير درويش

دار ميتا بوك للطباعة والنشر

الطبعة الأولى:

2023

• رقم الإيداع: 2023/4978

• الترقيم الدولى: I.S.B.N : 978-977-6995-83-3

البحث العلمي في ألفيّته الثالثة

د. مصطفى الضبع

إهـــداء

إلى..

الأستاذ الدكتور.. محمد حسن عبد الله

أستاذاً، وصديقاً وأبا ومعلما

وإلى..

كل طلاب العلم (الجادين).

«د. مصطفى الضبع»

المحتوى



مقدمة

كل معرفة لا تتصف بالتنظيم قد تصبح عبئا على صاحبها ، وكل علم له قوانينه وأنظمته الصارمة غير المتخلية عن جانب من مرونتها ، إيمانا بقيمة المعرفة وأهمية تنظيمها تبلورت أفكار هذه الصفحات اعتمادا على مجموعة من المنطلقات، فى مقدمتها:

- البحث العلمي يشبه جري التتابع فكل متسابق يؤدي واجبه ويسلم الشارة لمن يكمل من بعده.
- الباحث يبدأ فى عمله من حيث انتهى السابقون وليس من حيث بدأوا.

على مدار ربع القرن تقريبا تشكلت مادة هذا الكتاب، عشت مع تفاصيله طوال رحلتي مع البحث العلمي منذ السنة التمهيدية للماجستير نهاية الثمانينيات بجامعة عين شمس، وعبر سنوات كانت تؤرقني التفاصيل، فأكتفي بالبحث عن حل المشكلات التي تواجهني، وأدرك يقينا أنها تواجه الكثير من الباحثين، وعلى مدار سنوات أخرى ربما بعد عام ٢٠٠٠ ، والانتقال من الآليات التقليدية للبحث العلمي (التقنيات الورقية) إلى التقنيات الحديثة المعتمدة بالأساس على أجهزة الكمبيوتر وشبكة الانترنت، مما آذن بنقلة نوعية كبرى محدثة ثورة عظمى فى كل شيء وفى المقدمة البحث العلمي.

هذا كتاب موجه إلى نوعين من القراء:

- كل المعنيين بالبحث العلمي (فى العلوم الإنسانية/ الآداب خاصة).
- كل الذين يؤمنون أن البحث العلمي ليس آلية بحث بقدر ما هو نظام حياة وأن كل صنوف البحث العلمي لها صداها فى الواقع المعيش، فلا انفصال بين العلم والحياة أو بين قوانين العلم وأنظمة الحياة.

لهذا الكتاب عدة مصادر غذت مادته وكانت دافعا وراء إنجازه:

- علاقتي بالفضاء الافتراضي التي بدأت منذ مطلع الألفية الثالثة.
- تجربتي فى البحث العلمي التي بدأت أواخر الثمانينيات من القرن العشرين.

- مشروعي الببليوجرافى الذي أتاح لي متابعة آلاف الرسائل والمؤلفات فى الأدب والنقد والعلوم الإنسانية المختلفة.
- اجتهاد دائب على التعلم من كل نشاط أشارك فيه ومن كل أستاذ تتلمذت على يديه ومن كل طالب درسّت له أو أشرفت عليه أو توجه لي بسؤال عن كتاب أو مرجع، أو استشارني فى فكرة بحثية، فكل حوار هو مشروع لفكرة وتغذية لمعرفة وتنبيه إلى منطقة بحث.
- خبرات مجهدة، وأخطاء تعلمت منها عازما ألا أكررها.

يبدأ البحث العلمي بسؤال يشحن صاحبه للمواصلة، وينتهي بأسئلة، قد يحسب للباحث قدرته على تقديم الإجابة جزئيا، ولكن أهم ما يحسب له قدرته على أن يطرح الآخرين أسئلتهم، وتستمر الأسئلة لكونها دليلا على الحياة، وشاهدا على نمو العقل.

والأسئلة فى البحث العلمي نوعان:

- أسئلة تخص الآليات والإجراءات المتبعة فى كل البحوث.
- أسئلة تخص المضمون والنتائج الخاصة ببحث معين.

وإذا ما صلحت الأولى حققت الثانية وجودها، وكم من باحث وقع اختياره على موضوع فذ لكنه لما افتقر للمعرفة بنظام البحث فشل عمله وضاع موضوعه، لا هو تركه لمن يحسن العمل فيه ولا هو اجتهد فى عمله.

وعلى الرغم من التقدم التكنولوجي وما حققه من تقدم هائل فى المعرفة الإنسانية، فإن معظم الباحثين (بنسب مفزعة وكارثية) يفتقرون للوعي بالحدود الدنيا لإدارة بحوثهم أو إنجاز ما يستحقه البحث، وما يليق بالعلم، وهي مفارقة تتشابك أطراف المسؤولية فيها، فتتعدد أسبابها، وتتعاظم مظاهرها الكارثية، نتائجها السلبية.

ففي ظل غياب المعرفة المنظمة فقد البحث العلمي كثيرا من أسسه فى معظم الأبحاث، وفى غيابها أيضا بات لدينا جيل من الأساتذة (الكبار) افتقدت أبحاثهم أبسط قواعد البحث العلمي، وبات لدينا أجيال من الباحثين يعانون ضعف بعض الأساتذة، وانشغال البعض الآخر، وافتقاد البعض للقدرة على أن يكونوا قدوة علمية، أو بعبارة أخرى أساتذة يتعلم منهم الباحثون الشباب كما تعلمنا ومازلنا نتعلم من أساتذتنا.

وعيا بما سبق تشتبك هذه الفصول مع البحث العلمي فى لحظة تاريخية يكون من غير المنطقي أن نظل طوال الوقت نوجه سهام الانتقاد وإبراز الأخطاء دون خطوة إجرائية للتقدم خطوة نحو الأمام.

تنطلق هذه الفصول بحثا فى الآليات والإجراءات، والمشكلات والحلول والكيفيات.

تبدأ فصول الكتاب بسقف عال وطموح أعلى ألا تتوقف عند كيفية إنجاز البحث ولكن أيضا التجويد، وحل المشكلات التي تواجه الباحثين (ما أكثر الذين يبحثون عن تفاصيل صغيرة يفتقدون فيها لتوجيه أستاذ منشغل أو مشرف متشاغل).

بالطبع هناك مؤلفات كثيرة جديرة بالتقدير أنجزها أصحابها فى سياقهم الزمني وخدمت البحث العلمي فى زمنها، وعبرت عنه فى عصرها غير أن المجال لا ينغلق بكتاب ولا يحد بمجلد، ولأنني مؤمن بأن الباحث الذي يعيش زمنا مغايرا لزمن أستاذه يمكنه أن يكتفي من أستاذه بالقيمة، وليس الأداة فأساتذتنا بحثوا فى زمن له أدواته، ولكل جيل أدوات تختلف لذا يكون على الباحث آن يأخذ بأدوات عصره وإلا وقع فى فخ الرجعية.

«مصطفى الضبع»

حي الحويلات، مدينة الجبيل الصناعية

المملكة العربية السعودية، أكتوبر ٢٠٢١م.





(١)

الباحث وما يجب أن يكونه

(أصدقك القول ودون صعوبة تذكر يمكنك اكتشاف عمق الباحث، ومرجعيته، وقدراته من سطور بحثه الأولى).

يحكى أن أحدهم سأل صديقه: هل تصح الصلاة بدون وضوء، فرد بقوة: مستحيل، فعاجله برد أسرع: طيب لعلمك لقد فعلتها ومرت (بالطبع ليس المقصود الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم).

يعتقد البعض أنه يمكن أن يحصل على لقب باحث دون أن يمتلك مقومات (أدنى مقومات) البحث العلمي، تماما كالذي يصلي بدون وضوء، وعندما فعلها وصلى اعتقد أن صلاته صحيحة دون أن يداخله شعور بالشك فى عمله، ودون أن يدرك حجم ما فعل أو يعترف بالخطأ لذا سيستمر على ما هو عليه من قناعات.

البحث العلمي عمل لا يؤديه صاحبه فى وقت الفراغ، إنه عمل شأن كل الأعمال المصيرية التي تتطلب تخطيطا واستعدادا يليق بكل من يقرر العمل به.

يمكنك أن تذهب إلى رحلة دون الاستعداد لها وتستعير (الاسم العلمي لتتسول) بعض الأشياء من رفاق الرحلة، ولكنك لا تستطيع اتخاذ قرار العمل بالبحث العلمي دون تخطيط أو استعداد، ودون أن تكون مستعدا لعملك بما يفرضه العلم وما يتطلبه عمل لن تحقق فيه نتائج تذكر مالم تكن تمتلك من الأدوات ما يؤهلك للقيام به.

من أسباب ما وصلنا إليه من أزمة البحث العلمي افتقاد بعض الباحثين لأدوات التأسيس، لقواعد يتهاون البعض فى العناية بها أو استكشافها، وهي بمثابة الوضوء الذي لا تصح الصلاة بدونه، وفى مقدمتها:

١- ثقافة عامة تجعل الباحث قادرا على استكشاف مناطق الاشتباك مع العلوم الأخرى القريبة أو المعارف الأخرى ذات الصلة، أو الفنون الأخرى التي من شأنها تشكيل المجال الحيوي لمنطقة عمله (هل يمكن لباحث فى الشعر ألا يكون على علاقة بعلم العروض مثلا؟).

٢- معرفة بالبحث العلمي، آلياته ومناهجه، ويفتقد كثير من الباحثين لهذه المعرفة لأسباب عدة: إهمال كثير من الكليات لتدريس هذا المقرر ـ عزوف الباحثين عن المقرر نظرا لطريقة تدريسه التقليدية (بعض الأساتذة يدرسون مقرر قاعة البحث بطريقة تحفيظ الطلاب ألفية ابن مالك، ولا يحاولون الخروج من هذه الطريقة بطرائق متعددة منها تدريسه بطريقة الورشة أو قاعة البحث) وهو ما يمثل تقصيرا واضحا يمكن الوقوف عليه بسهولة (تجربتي الشخصية أن المقرر من أكثر المقررات متعة في تدريسه).

٣- **خلفية مرجعية في مجال التخصص**: تختلف بين باحث وآخر وهناك ثلاثة أنواع من الباحثين حسب هذه المرجعية:

- باحث قارئ منذ الصغر، يكاد يكون متخصصا قبل أن يعرف التخصص، كالذي يقرأ الرواية (العربية والعالمية) منذ مراحل حياته الأولى (قبل الالتحاق بالجامعة غالبا) ثم يتخصص في نقد الرواية مثلا، وهو النوع الأفضل على الإطلاق حيث لديه ذائقة فعالة، ورؤية واسعة تمنحانه الحدود القصوى للتميز والعمق (نوع قليل حد الندرة الآن)، ومن سمات هذا الباحث أن البحث العلمي حلمه قبل أن يلتحق بالجامعة، فيكون استعداده ممنهجا وعمله عميقا.
- باحث تشكلت مرجعيته منذ دراسته الجامعية، يمتلك مقومات لا بأس بها يمكنه استثمارها للتميز شريطة أن يكون لديه من الدوافع النفسية ما يقوى على الإنجاز دون التأثر بالجو العام من حوله (بعض هؤلاء طاب لهم مسايرة موجة الضعف وباعوا القضية سريعا منزلقين إلى المتاجرة شأنهم شأن الآخرين).
- فريق كبير من الباحثين مؤسس على الحفظ (اعتقاد راسخ عند طلاب الأدبي في الثانوية العامة)، قراءتهم قليلة، يعتمدون على الحفظ، وتساعدهم أنظمة الامتحانات القائمة على الحفظ، وفي دورة للزمن أصبح من بين أساتذة الجامعة من يحبذ المبدأ نفسه (فوافق شن طبقه)، يعمل النظام على إنتاج طالب متفوق في شؤون الاختبارات، هذا الفريق لم يخطط أن يكون باحثا ولا حلم بذلك غير أن نظام الامتحانات (الزائف) وضعه في الصدارة فصدق نفسه وهو نوع لا يصلح للبحث العلمي رغم كونه العملة الأكثر رواجا في جامعاتنا، ومن سمات هذا الفريق أن المنتمين إليه ليس لديهم أي استعداد لتطوير أنفسهم.

هـذا الفريق يحشـر نفسـه فـى زمـرة البـاحثين، وتصـور لـه مناصبه، أو علاقاتـه، أو بلطجته العلمية، أو مركبات النفاق الراسخة فى (شخصيته) أوهاما بأنه الباحث الذي لم يجد العصر بمثاله، والكارثة أن هناك طالبا يعتقد أن هذا هو نموذج الأستاذ (غالبا لم يجرب الطالب نوعا آخر).

فـإذا مـا تجاوزنـا المرجعيـة، وتعارفنـا علـى المخـزون الاسـتراتيجي للباحـث مـن القـراءة والمعرفـة، واتفقنـا عليـه، فهنـاك أدوات يضل البـاحثون كثيرا إذا مـا تخلوا عنهـا، فـى مقدمتها:

- قواعد البيانات أو البيليوجرافيات: وتكـون مهمتهـا الأساسية الوقـوف علـى منـاطق الزحام التي يكـون عليك تجاوزهـا أو منـاطق العمـل التي مـاتزال فـى حاجـة للعمـل فيهـا أو المنـاطق البكـر الـتي لم يدخلـها أحـد مـن قبلـك، وكـثير مـن البـاحثين يسارعون بتسجيل موضوعات دون العودة لقواعـد البيانـات وسـرعان مـا يكتشفون أن الموضـوع سـجل مـن قبـل ويكـون علـيهم البـدء مـن الصـفر مضـيعين مـا كـان بإمكـانهم الحفـاظ عليـه مـن الوقـت والجهـد إن هـم انطلقـوا مـن نقطـة البدايـة الصحيحة.
- المعـاجم: والحاجة إليهـا مسـتمرة طـوال رحلـة الباحـث لضـبط لغتـه والوقـوف علـى مفرداته، فكثيرا ما يختلط الأمر على البـاحثين باستخدام مفردات غير منضبطة لغويا، تفقد أعمالهم رصانتها العلمية، أن يستخدم الباحث كلمـات مـن مثـل: زخـم مثلا دون تدقيق لما تعنيه معتمدا على الاستخدام الإعلامـي غير الـدقيق، جـاء فـى "لسان العرب"، وهو ينفرد بذكر مادة زخم "(الزُّخَمَةُ: الرائحة الكريهة، وطعام لـه زَخَمَةٌ. يقـال: أتانـا بطعـام فيـه زَخَمَةٌ أي رائحـة كريهـة، لحـم زَخِمٌ دَسِمٌ: خبيـث الرائحة، وقيل: هـو أن يكـون نَمِساً كثير الدَّسَمِ فيه زُهُومة، وخص بعضهم بـه لحوم السباع، قال: لا تكون الزَّخَمَةُ إلا فى لحوم السباع، والزَّهَمَةُ فى لحوم الطير كلها وهـي أطيب مـن الزَّخَمَـة، وقـد زَخِمَ زَخَمـاً، وفيـه زَخَمَـةٌ. ابـن بُـزُرْج: أَزْخَـمَ وأَشْخَمَ. والزُّخْمَةُ: نتن العِرْض" فهل فكـر أحدهم (مـن مستخدمي المفـردة) العـودة للمعجم لاكتشاف المعنى وتدقيق اللفظ؟
- **كتب المصطلحات**: وتجعـل الباحـث قـادرا علـى ضـبط مصـطلحه، واعيـا بأبعـاده واستخداماته، ومـا يحققـه مـن إنجـاز لمـا يستهدفه، يكفـي الإشـارة إلى اثـنين مـن

المصطلحات النقدية التي لاقت رواجا كبيرا فى الرسائل العلمية منذ نهاية الألفية الثانية وبداية الثالثة: الأسلوبية ــ الحداثة، يمكنك بسهولة البحث عن رسائل علمية معتمدا واحدة من المصطلحين بوصفه كلمة مفتاحية، ستجد مئات الرسائل العلمية (ومئات الأبحاث العلمية المحكمة) يتضمن عنوانها مصطلح "دراسة أسلوبية" أو "الحداثة" فإذا ما تصفحت الرسالة لن تجد فهما لأي من المصطلحين (فى الفترة المشار إليها أخذ الأمر شكل الموضة وخاصة الأسلوبية)، أما الحداثة فأمرها أدهى وأمر (أكاد أجزم عن يقين لا يداخله شك أن ٩٩ ٪ من الرسائل التي اطلعت عليها وتنص على الحداثة منطقة لعملها لم يفهم أصحابها ما تعنيه الحداثة وهو ما يتجلى فى ثلاثة مظاهر أساسية: افتقاد عملهم لمفهوم واضح للحداثة - اعتمادهم على دراسات عربية تفتقد لفهم المصطلح – تطبيقاتهم تأتي بعيدة تماما عن الحداثة، وهو ما يجعل فهم هؤلاء للحداثة فهما كاريكاتوريا، ويجعل من تطبيقاتهم شكلا من أشكال التهريج.

إن باحثا يضل طريقه من البداية لن يتعلم كيف يكون باحثا حقيقيا (ما بني على باطل فهو باطل).

إن اكتشاف جودة عمل الباحث من عدمها تتطلب البحث عن سؤال البدايات، قل لي كيف بدأت أقل لك إلى أي نقطة ستصل فى صعودك للقمة أو للحتف.



(٢)

أعـرف طـريقك

الريح ليست مواتية لمن لا يعرف الطريق.

البحث العلمي ليس عملا يؤدى فى وقت الفراغ!!

والباحث الذي يعتقد أنه سيؤدي فروض البحث العلمي وقت فراغه للتسلية أو إزجاء وقت فراغه فهو ناقص الأهلية للبحث وعليه تعديل مخططات حياته لاتخاذ طريقه الصحيح.

البحث العلمي عمل مخطط له لا يقبل الخيانة (أن تخلص لغيره أو تشرك غيره فى وقته)، ولا تأتيه العشوائية من أي جانب (كل دراسة يقوم بها الباحث هي حالة من الزواج المؤقت ربما ولكن أهم شروط نجاحه الإخلاص).

يبدأ الباحث رحلته بمخطط، ويكون عليه أن يحترم مخططه حتى نهاية الرحلة، والمخطط ليس قيدا بقدر ما هو نظام، وليس سجنا بقدر ما هو محدد لمساحة العمل التي لا يكون منطقيا الخروج عنها.

المنهج ليس مقيدا للإبداع ولا يضيق مساحة عمله، فالباحث المبدع يستطيع أن يحقق إبداعه فى وجود المنهج وبمساعدته، فالإبداع يبدأ من اختيار الموضوع، والتخطيط لعمله. كن مبدعا وأنت تضع مخططك، وأنت تحدد عناوين فصولك من داخل منطقة عملك، وأنت تصوغ جملتك وتبني فقرات المبحث لتشكل الفصل، ومباحث الفصل لتشكل الرسالة كلها.

الإبداع لا يعتمد على نظرة جزئية للأشياء، فلن تكون مبدعا وأنت ترى جانبا من الحقيقة، أو تضيق نظرتك فلا ترى سوى ورقة خضراء من شجرة تتشابك فيها الفروع وتتعدد الأوراق.

الإبداع أن ترى الكون كاملا حتى لو أردت تصوير حائط متهدم، أن ترى الأشياء رؤية العاشق لا رؤية الأناني "نحن نرى الأشياء فى واحدة من ثلاث صور: رؤية منفردة فلا نرى الشيء إلا منفردا وهي رؤية الأناني، رؤية مرتهنة بزاوية ما وهي رؤية الرسام،

رؤية كونية ترى فى الأشياء فى كونيتها وهي رؤية العاشق"، ولأن الكون وحدة واحدة يكون من الجهل أن تفصل ما تريد عن سياقه الأصيل.

الباحثون الذين تقوم بحوثهم على نصوص إبداعية، يمارسون العشوائية حين يفصلون نصوص كاتب ما عن بعضها البعض أو يفصلون مجموعة النصوص لكتاب متعددين عن بعضها بطريقة تعسفية، تجعل من كل نص جزيرة معزولة موحشة.

القاعدة أن تقرأ نصوص الكاتب محل الدراسة كما لو كانت نصا واحدا: روايات كاتب واحد هي رواية واحدة، ودواوين شاعر واحد هي ديوان واحد، وديوان الشاعر هو قصيدة واحدة، ومجموعة القصائد لشعراء متعددين هي ديوان واحد.

الباحثون المتعاملون مع النصوص فريقان:

الأول: عامة الباحثين وغالبيتهم الآن: يجانبهم التخطيط، لا أقول الإبداع فى تناولهم للنصوص، لو افترضنا أن باحثا يشتغل على أنواع الشخصيات فى روايات كاتب ما، تراه يعمل بطريقة عشوائية كأنه يضع النصوص جانبه، وكلما قرأ نصا منها يكتب عن نوع الشخصية فيه، وهي نظرة ضيقة الأفق تفقد عمله الرؤية الكلية المحيطة، تراه يكرر: "فى رواية كذا تظهر شخصية كذا، وفى رواية كذا، تظهر شخصية كذا".

الثاني: فريق خاص من الباحثين، وهم قلة، لديهم رؤية كلية تجعلهم قادرين على الإحاطة بعالم الشخصيات وهو ما يتجلى فى تنظيم المادة ودقة التناول كما يلي:

١- يحدد الباحث منطقة عمله بقوله: "تتعدد أنماط الشخصيات فى روايات الكاتب كلها".

٢- يحدد عدد الأنماط بقوله: "تنتظم الروايات خمسة أنماط للشخصية".

٣- يرتب الأنماط ترتيبا تنازليا من الأكثر للأقل: "النمط الأول: المثقف مثلا ويظهر فى ثلاث روايات....."، النمط الثاني ويظهر فى روايتين....، وهكذا.

٤- يحدد موضع النمط ويدلل عليه من النصوص.

٥- يمنح المتلقي فرصة متابعته بنظام يجعل المتلقي قادرا على استكشاف عالم الكاتب والإحاطة به.

٦- يسهل مهمة المتلقي فى المتابعة دون مشكلات التلقي، حيث يجعل متلقيه يقرأ عقله (هو هنا يشبه سائق السيارة الذي يكون مطلوبا منه أن يجعل من يتابعه

يقرأ ما فى عقله وفيما يفكر عبر ما يمنحه له من إشارات وما يقدمه له من عملية سير واضحة المعالم).

كن مدركا طريقك، عارفا بقوانين المرور فيه، محيطا به، تكن باحثا، وإلا فأنت ممن ينتمون للمنزلة الثالثة المنصوص عليها فى صحيفة "بشر بن المعتمر" الواردة فى كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ رحمه ورحمك ورحمنا الله جل علاه.



(٣)

العنوان المنضبط علميا

خلافا لعناوين النصوص الإبداعية (تكون غالبا آخر ما يضع المؤلف وأول ما يتعامل معه القارئ)، خلافا لذلك يكون العنوان في البحث العلمي، محددا قبل البدء في العمل العلمي، ومنضبطا أثناء إعداد الخطة، وواضحا بعد انتهاء العمل، دالا على الموضوع وشاهدا على إجادة الباحث، ووفيا بقضية البحث وكاشفا عن أهدافه.

من رحم الفكرة يولد عنوان البحث، يحدد خطوات الباحث ويوجهه إلى منطقة عمله وهو مالا يتحقق دون عنوان منضبط علميا من سماته الوضوح، وكم من باحث يمثل العنوان مأزقه المنهجي المخل بعمله العلمي، فيضيع جهده ويفقد عمله انضباطه العلمي، فالصورة لم تكن واضحة في ذهن الباحث من البداية لذا جاءت التفاصيل غير واضحة وعاجزة عن تحقيق أغراضها.

أول ما يقوم به العنوان المنضبط وظيفة التحديد:

١- تحديد نقطة البحث بوضوح.

٢- تحديد مجال البحث.

٣- تحديد منهج البحث بدرجة ما.

عنوان من مثل (الرجل في شعر فدوى طوقان، دراسة أسلوبية).

يضم ثلاثة محددات: النقطة البحثية الخاصة (الرجل) – النقطة العامة أو مجال البحث (شعر فدوى طوقان) – نوع الدراسة (أسلوبية)، فإذا ما تحققت هذه الوظائف فإن العنوان – بشكل طبيعي سلس– يحقق المرحلة التالية المتمثلة في مجموعة من الوظائف المنضبطة أيضا:

- وضع الفصول وتشكيل مادة البحث.
- تحديد قائمة المصادر والمراجع والدراسات السابقة.
- تحديد نتائج البحث.
- تحديد منهج البحث.

أولاً: العنوان والفصول:

عناوين الفصول هي عناوين فرعية تنبت من الجذع (عنوان الرسالة).

المنطقي علميا أن عنوان الرسالة يتفكك فى عناوين فرعية (عناوين الفصول) بحيث يكون مجموع ما يطرحه الفرع يشكل الأصل (عنوانها).

ثانياً: قائمة المصادر والمراجع والدراسات السابقة:

العنوان ينطلق من الخاص (الرجل) متجها إلى العام (شعر فدوى طوقان)، المراجع تسير عكس ذلك من العام إلى الخاص حيث يهتم الباحث بجمع ما كتب عن شعر فدوى طوقان، أو ما كتب عن الشعر بشكل عام، وتكون الدراسات السابقة بالنسبة له من كتب عن الرجل فى شعر شعراء آخرين (من المنطقي ألا تكون هناك دراسات عن نقطته البحثية فى مجال عمله المحدد، أي لا تكون هناك دراسة عن الرجل فى شعر فدوى طوقان، ولكن من الممكن أن تكون عند شعراء آخرين).

لذا فإن تحديد المراجع يخص المجال العام يدخل فيها كل ما كتب عن الشعر بشكل عام بما فيه ما كتب عن الشاعرة موضع الدراسة، وتحديد الدراسات السابقة يخص النقطة البحثية الخاصة بي ولكن فى مساحة مجاورة، مشابهة لمنطقة عملي بالأساس.

ثالثا: تحديد النتائج:

عبر ثلاث خطوات يقوم العنوان بوظيفته فى إنتاج النتائج وتحديدها:

١- عنوان البحث يطرح سؤاله الأهم (فى مثالنا السابق يطرح العنوان سؤالين أساسيين: كيف صورت الشاعرة الرجل؟، وما الذي أضافته صورة الرجل للنتاج الشعري للشاعرة؟ وهما سؤالان جوهريان وأساسيان تتفرع منهما أسئلة فرعية تتردد فى الفصول والمباحث).

٢- تطرح الفصول إجراءات الإجابة وكيفية إعدادها بصورة علمية.

٣- تأتي النتائج للإجابة بشكل محدد وواضح حد الصرامة.

من مشكلات العناوين غير المنضبطة علميا:

- ظواهر أسلوبية فى شعر دواوين عفيفي مطر (هنا مفردة دواوين زائدة أصابت العنوان بالترهل)، الخطأ هنا مشترك بين الباحث والمشرف والقسم العلمي الذي أقر اختيار الاثنين.

- المفردات التي تدل على العالم في شعر صلاح عبد الصبور (اسم الفاعل الدالة أو الإضافة يغني عن الاسم الموصول والفعل معا) فيكون العنوان: المفردات الدالة على العالم، أو مفردات العالم.

من الأخطاء القاتلة:

عدد غير قليل يرتكب من الأخطاء ما يقلل من منهجية بحثه ومن الانضباط العلمي لعمله، وفي مقدمة هذه الأخطاء:

- انفراد عنوان فصل من فصول الرسالة بنص عنوان الرسالة (إذا كان عنوان الرسالة: صورة المثقف في الرواية العربية) فمن الخطأ المنهجي أن يكون العنوان عنوانا لفصل من الفصول مما يعني أن بقية الفصول لا قيمة لها ولا حاجة للرسالة بها.
- تكرار مفردة من مفردات العنوان في عناوين الفصول، فإذا كان عنوان الرسالة (اللغة في شعر صلاح عبد الصبور) فمن الخطأ المنهجي أن يتكرر اسم الشاعر في عناوين الفصول: المفردة في شعر صلاح عبد الصبور ـ التراكيب في شعر صلاح عبد الصبو.. إلخ).

إن ٧٠ ٪ من الرسائل المتداولة في جامعاتنا العربية (النسبة تقريبية من واقع قواعد البيانات التي أعكف عليها منذ سنوات)، هذه النسبة تكمن مشكلتها في غياب الوعي بأهمية ضبط العنوان لذا أتوقف كثيرا أمام عناوين فقدت انضباطها العلمي ففقد البحث كثيرا من مقدراته، وهي مسؤولية لا يتحملها الباحث بمفرده وإنما هي شراكة بين ثلاثة: الباحث – المشرف – القسم العلمي، وهو ما يترتب على غياب الرؤية العلمية لضبط الأمور من البداية فلا بحث علمي بدون رؤية واضحة منذ خطواته الأولى.



(٤)
اختــيار الموضــوع

يتحرك الباحث فى دوائر متداخلة، منتقلا من التخصص العام (اللغة العربية) إلى أو غيرها مثلا، ومنها إلى آداب اللغة، أو لغوياتها وصولا إلى تخصص دقيق (نقد الرواية مثلا أو الأسلوبية أو السيميائية، أو البلاغة القديمة وهكذا) وداخل التخصص الدقيق يقع موضوع البحث أو الرسالة العلمية، فإذا حصرنا هذه الدوائر فى دائرتين أساسيتين: دائرة التخصص ودائرة الموضوع، فالأولى يدخلها الباحث وفق معيار أساسي هو حبه أو رغبته فى دراسة تخصص ما وهو ما يترجم إمكانيات قريبة الصلة من الموهبة فى تخصص ما، وهي دائرة يحددها الباحث نفسه ويقل فيها تدخل المشرف، حيث تدخل المشرف يعني فرضه تخصصا على باحث ليس مستعدا ولا يملك قدرا من الاستعداد لدراسة تخصص ما وهو ما يعني الدخول للدائرة الخطأ، من أخطاء المشرف أن يأخذ تلميذه إلى منطقة تخصصه التي قد لا يكون التلميذ ممتلكا ما يعينه على دخولها، وقد لا يمتلك القدرة على رفع درجة الاستعداد لها فهذا ديدن بعض الأساتذة (يفعل هذا قلة من الأساتذة يجدون أنفسهم فى موقف تدريس مقررات جديدة أو تخصصات دقيقة داخل التخصص العام فيدشنون أنفسهم ويحققون إضافات حقيقية فيها، ولكن ليس الجميع قادرين على فعل ذلك أو استنهاض همتهم للإنجاز).

المقبول علميا أن يختار الباحث منطقة التخصص (السرد – الشعر – البلاغة – النقد) فإذا ما دخلها مدفوعا برغبة واستعداد يكون تدخل المشرف داخل هذه الدائرة، والباحث الذي لم يقرأ رواية واحدة فى حياته لن يحقق منجزا علميا فى دراسة السرد، وهو ما نراه من ضعف مستوى كثير من المشتغلين بتدريس الرواية والقصة (شخصيا لا أتقبل مطلقا غياب العمق العالمي فى الرواية حين يكتفي الباحث بالرواية المحلية مهما كانت قيمتها، ولا أتقبل مطلقا أن يتخصص أحدهم فى السرد ولم يقرأ ألف ليلة وليلة مثلا بوصفها أجرومية السرد وهو ما يفسر أيضا السقف المنخفض (جدا) لذائقة بعض نقاد السرد الأكاديميين فى جامعاتنا العربية عامة والمصرية خاصة، وأتذكر الآن أستاذ البلاغة الذي أراد يوما أن يحقق ظهورا إعلاميا فطلب مني أن ألخص له أي رواية ليتحدث عنها فى إحدى القنوات).

فى مرحلة الماجستير قد يقبل أن يتجه الباحث وجهة معينة، لكن الأمر الأخطر فى مرحلة الدكتوراه كأن يدرس الباحث الشعر الحديث مثلا فى الماجستير، وفى الدكتوراه يتحول إلى البلاغة القديمة أو الأدب الأندلسي مثلا فهذا من شأنه أن يقلل من عمق الباحث فى تخصصه (وهو ما يضر أحيانا بالباحث حين يتقدم إلى وظيفة جامعية تكون فيها الأفضلية لمن تعمق فى دراسة التخصص فى مرحلتي الماجستير والدكتوراه وهو ما يعني أن المشرف لم يكن حريصا على تعميق رؤية تلميذه عبر وضعه فى خط تخصصي يحقق فيه وجوده ليكون مؤهلا لاحقا للانطلاق نحو التنوع المطلوب فى أبحاث الترقية).

المنطقي أن يحافظ المشرف على الخط الذي بدأه الباحث فى الماجستير، وأن يكون سؤال الأستاذ الأول عن استعداد تلميذه للبحث فى مجال ما من مجالات التخصص ولا يجبره على قبول ما ليس مقبولا لديه (الإجبار ليس بالمعنى الدقيق للكلمة ولكن قد يكون فى صورة تحرج الباحث من مراجعة أستاذه أو وقوعه فى منطقة الطاعة العمياء التي قد تورطه فى قبول دراسة موضوع لا قبول له عنده).

يختلف الأمر فى الدائرة الثانية الخاصة بالموضوع إذ تعتمد على الشراكة بين الباحث ومشرفه، ويمكن أن تتسع مساحة حضور المشرف فيقترح الموضوع أو يكون الاختيار ناتجا عن حوار بين الاثنين، وفى الحالتين من المنطقي الحفاظ على المبادئ السابقة الخاصة بالخط الذي يكون الباحث قد انتهجه فى مرحلة الماجستير، إضافة إلى وعي الباحث بقدراته وخبراته فى منطقة عمل محددة.

إن أسئلة لابد أن يكون الباحث صادقا مع نفسه فى إجابتها:

- هل أنا متقبل...هل أرغب فى دراسة.... هل أمتلك خلفية معرفية تؤهلني لدراسة كذا.... أو هل لدي استعداد لتدشين نفسي عبر وضع برنامج مكثف للقراءة فى مجال معين بالقدر الذي يؤهلني لدراسته؟

من خطايا المشرف: فرض موضوع أو نقطة بحثية على تلميذه دون التثبت من إحاطته بالموضوع أو قياس قابليته أو رغبته فى دراسته (كم من مشرف ورط تلميذه فى موضوع، وكم من باحث ورطه أستاذه فى موضوع تحمل فيه تبعة طاعته العمياء لمشرفه، والورطة هنا يجني تبعاتها الباحث وحده حيث يخسر وقتا وجهدا ويدخل فى دوامة إدارية هو فى غنى عنها، فمن المؤكد ومن المنطقي أن يبذل الباحث جهدا ولكن

الأهم أن يبذله فى الاتجاه الصحيح، والمشرف الحقيقي ذلك الذي يروض جهد تلميذه لا يبدده (كان الباحث يستعد لتسجيل رسالته عن شاعر يعيش فى مدينة بعيدة وكان من المنطقي أن يتواصل مع الشاعر للحصول على أعماله النافدة طبعاتها، وكان من المنطقي أن يستجيب الشاعر، ولكن كان للمشرف رأي آخر فقد كان يريد من تلميذه أن يتعب كما تعب أستاذه وكان المطلوب هو أن يسافر الباحث إلى مدينة الشعر للحصول بنفسه على أعمال الشاعر) وفات المشرف ثلاثة أمور:

- أن تلميذه ليس ملزما بإعادة تجربته فهذا يعني استعادة زمن أستاذه، وأن على الأستاذ أن يجعل تلميذه يعيش عصره لا عصر أستاذه، (بعض المشرفين يروق له ترديد جملة: لقد حفرنا فى الصخر، وهم لا يعلمون أن الصخرة التي حفر فيها الأستاذ ليست هي الصخرة نفسها التي يجب على التلميذ أن يحفرها فلو كانت هي الصخرة نفسها فهذا يعني أن الأستاذ لم يحفر ولم ينجز وإلا ما بقيت الصخرة نفسها حتى وصلت على تلميذه).
- أن الجهد فى القراءة والاطلاع أهم شأنا وأجدى نفعا من بذل الجهد فى السفر.
- أن الباحث فى الألفية الثالثة لديه من الأدوات مالم يكن متاحا فى زمن مضى ويكون من العار على باحث هذا العصر أن يتغاضى عن مكتسبات البشرية، ويخون عصره حين لا يوظف كل ذلك لصالح البحث العلمي.

يخطئ بعض الباحثين حين يحكمون على الموضوع بأنه جيد أو غير جيد، فالمعيار دائما ليس جودة الموضوع ولكن جودة العمل والإنجاز، ليست القضية أنك وقعت على فكرة جيدة كما تعتقد ولكن القضية ماذا فعلت بالفكرة وما أنجزت منها (كم من باحث أفسد موضوعا جديدا، وكم من باحث قدم منجزا علميا من فكرة بسيطة قد تدخل فى دائرة استهانة البعض).

الأفكار البحثية أو ما يعتقده الباحث موضوعات للبحث، تتدرج وفق عدد من الدرجات:

١- **فكرة جديدة تماما، غير مطروقة:** العجوز فى ألف ليلة وليلة – الطفل فى الرواية.

٢- **فكرة قليلة التداول يعتمد الباحث فيها على منجزات سابقة قليلة:** المكان فى الرواية – التماسك النصي فى الرواية.

٣- **فكرة متداولة بغير الباحث:** فيها وجهة النظر بإضافة تجعل منها مجالا جديدا للبحث: طوال الوقت يتعامل الباحثون والنقاد مع المكان بوصفه بطلا، وجاء

باحث عمل على تغيير وجهة النظر من كون المكان موضوعا يكتب (عنه) الباحث إلى كونه تقنية يكتب (بها).

٤- **فكرة منحوتة من موضوع سابق:** يقتصر دور الباحث فيها على إعادة إنتاج البحث ناقلا الفكرة من منطقة عمل على أخرى: درس الباحثون فكرة الوطن عند شاعر معين أو مجموعة شعراء، لاحقا يأتي باحث لدراسة الفكرة عند شاعر آخر أو شعراء آخرين معتمدا هيكل البحث السابق أو مقاربا له أو ناسخا بعض تفاصيله.

٥- **فكرة قديمة يطرحها الباحث وفق منهج جديد:** درس السابقون نتاج الشعراء في عصورهم المختلفة وفق المناهج الموضوعية في زمن لم تكن المناهج النصية قد أخذت طريقها للدرس النقدي، وهو ما يفتح المجال لدراستين: سابقة (دراسة نتاج شاعر من مثل عنترة بن شداد وفق منهج تاريخي مثلا) ولاحقة (دراسة الشاعر نفسه وفق النظرية البنيوية أو الأسلوبية مثلا).

ربما تتعدد تصنيفات الأفكار وليس هناك تفاضل بينها فالقضية ليست في التصنيفات أو قيام مبدأ التفاضل وإنما القضية تكمن في رؤية الباحثين ومفاهيمهم للأفكار والخلاصة: لا تنبهر بالفكرة فتعميك أضواء الانبهار وتضل طريقك إلى الإنجاز.



(٥)

المنهـــج

مشـــهد أول:

منتشيا جلس الباحث فى السينمار، حوله أساتذته، راح يستعرض موضوعه، حتى وصل إلى المنهج، حدده بالمنهج التكاملي، تحفز أحدهم وامتعض آخر فيما لم يستطع البعض صبرا.

ما إن انتهى الباحث حتى انقسم الحضور إلى فريقين لا ثالث لهما: فريق يرى أنه لا شيء فى العلم يُسمى بالمنهج التكاملي، وفريق يرى العكس تماما والباحث ينتظر نتيجة حسم الجدال (حتى كتابة هذه السطور).

مشـــهد ثـــان:

كانت الباحثة قد انتهت من رسالتها وسلمتها للمشرف قرأ نصف الرسالة تقريبا وفى أول لقاء لها معه راح يناقشها فى المنهج الذي لم توفه حقه، فجاء سؤالها فى هدوء القديسين وتحفز الباحثين الشباب: ما المنهج الذي تراه يناسب الرسالة؟.

مشهد ثالث يمكنك صناعته:

توجه لأقرب مكتبة فى أي كلية آداب وطالع الرسائل العلمية (فى الشعر خاصة) على مدار عشر سنوات مثلا تخير رسالة علمية نوقشت ومنحت الدرجة العلمية، حددت منهجها بالدراسة الأسلوبية وسيكون عليك أن تدرك واحدة من حقيقتين:

- أن الأسلوبية التي تعرفها لا علاقة لها بما تقرأ.
- أن الباحث ومشرفه ولجنة المناقشة يعرفون أسلوبية خاصة بالباحث دون غيرهم والجميع يقره عليها.

نظرة واحدة على مادة نهج فى لسان العرب تمنح الباحث بعض معرفته الأساسية غير أن كثيرا من الباحثين لا يكلفون أنفسهم عناء معرفة ما تعنيه كلمة منهج، وما تتضمنه من معنى الحركة والوضوح معا، ورد فى لسان العرب تحت مادة "نهج": طريقٌ نَهْجٌ: بَيِّنٌ واضحٌ، وهو النَّهْجُ وطُرُقٌ نَهْجَةٌ، وسبيلٌ مَنْهَجٌ: كَنَهْجٍ. ومَنْهَجُ الطريقِ: وضَحُه.

والمِنهاجُ: كالمَنْهَجِ. وفى ونَهَجْتُ الطريقَ: أَبَنْتُه وأوضَحتُه؛ يقال: اعْمَلْ على ما نَهَجْتُه لك. ونَهَجتُ الطريقَ: سلَكتُه. وفلانٌ يَستنهِجُ سبيلَ فلانٍ أي يَسلُكُ مَسلَكَه. والنَّهْجُ: الطريقُ المستقيمُ. ونَهَجَ الأَمْرُ وأَنهَجَ، إذا وضَحَ. أَنهَجَ يُنْهِجُ إنهاجاً....".

وخلاصتها: الحركة والوضوح، فالطريق يعني الحركة ولا يكون الطريق طريقا بالنسبة لك مالم يستخدم، ومالم يكن واضحا مدركا معروفا مانحك القدرة على الوصول ووسيلة واضحة للوصول إلى مرماك وما تستهدفه.

البحث العلمي مدينة لها قوانينها الخاصة بها وعندما تدخلها عليك أن تدخلها بقوانينها هي لا بقوانينك أنت، وبمنطقها هي لا بعشوائيتك، لذا فالبحث العلمي يمنحك القدرة على أن تكون منظما، ويكون تفكيرك علميا منطقيا.

واحدة من مشكلات البحث العلمي غياب المنهج أو غموضه أو ضبابيته فى ذهن الباحث، والباحث الذي يعمد إلى قراءة الموضوع أو البحث فى الموضوع قبل البحث فى المنهج ومعرفة متطلباته وخطوطه يكون كالذي يدخل الصحراء ويبحث هناك عن خريطة للسير فيها، بعبارة أخرى يمكن للباحث أن يغامر فى اختيار الموضوع ولكن عليه ألا يغامر فى اختيار المنهج.

وعندما يقرر الباحث الاعتماد على منهج ما فعليه الإحاطة بجوانبه ومعرفة خطوطه العريضة، والسؤال الذي يطرح نفسه والذي يغيب عن ذهن الباحثين: كيف يحدد الباحث منهجه؟

الإجابة يمكن تحديدها فى طريقين أساسيين يتوازيان لا ينفصلان:

١- **الرؤية الذاتية: تتبلور فى سؤال: ماذا تريد من الدراسة؟**: ما الذي تريد الوصول إليه من دراستك؟ إذا قررت الخروج من بيتك فما سبب خروجك ولماذا تخرج؟ هل ستسافر مما يتطلب وجود ما يعينك على السفر وعلى البقاء خارج البيت أو فى مدينة ما؟، وهو مايعني رؤيتك الذاتية للأمور وما تستهدف تحقيقه، فإذا كنت تريد الكشف عن طبيعة نظام الشاعر فى إنتاج نصوصه أو أسلوب الإنتاج، فهناك ما يساعدك على ذلك (الأسلوبية مثلا)، وإذا كنت تريد البحث عن قضية شعرية تخص الشاعر أو العصر أو المجتمع أو آثارهما فهناك ما يحقق لك ذلك (المنهج الاجتماعي، التاريخي)، وهي رؤية قبلية بالأساس يبنيها الباحث

قبل البدء فى دراسته ويروح يبحث عنها فى النصوص التي ينتقي منها ما يناسب الرؤية.

٢- **الرؤية الموضوعية: ماذا يريد الموضوع أو ماذا يتطلب الموضوع:** وهي رؤية تتشكل بعد قراءة نصوص يلزم الباحث نفسه بها (كأن تكون النصوص لكاتب سيجعله الباحث محل الدراسة).

هنا نحن إزاء نوعين من النصوص:

- نوع مرن واسع المجال يحدد الباحث هدفه ويروح يبحث عنه فى ركام النصوص (كأن نبحث عن الأسطورة فى الشعر الجاهلي مثلا، أو أثر حرب أكتوبر على الرواية، أو صورة المثقف فى الرواية وغيرها من الموضوعات التي يختارها الباحث لموضوعه).
- نوع ملزم يتطلب قراءته أولا ثم تحديد المنهج المناسب له (أن يختار الباحث مشروع كاتب ما أو شاعر ما أو يختار رواية أو ديوان شعر أو قصيدة) وجميعها تتطلب الوقوف على النص/ النصوص أولا لمكاشفة المدخل المناسب والمنهج الأنسب لدراستها.

فإذا ما أدرك الباحث طبيعة النص، وكان على دراية بما تتطلبه الدراسة يكون عليه قراءة المنهج ومعرفة متطلباته وقوانينه، ومما يؤسف له أن كثيرا من الباحثين لا يكلف نفسه القراءة فى مناهج البحث ومعرفة طبيعتها والفروق فيما بينها.

أشرت سابقا إلى أن أهم ما يحتاجه الباحث فى بداية رحلته البحثية: المعاجم – كتب المصطلحات – الببليوجرافيات، وعن طريق كتب المصطلحات يستطيع الباحث ضبط المصطلح المنهجي ومن ثم الانطلاق إلى التعرف عليه وإدراك تفاصيله وأسراره كما أن بعض الباحثين يكتفي بقراءة تطبيقات المنهج فيما يكون عليه قراءة المنهج أو القراءة فى المنهج، ولأن هذا لا يحدث غالبا تأتي كثيرا من الدراسات (العلمية) بعيدة عن المنهجية، وعلى خصام تام مع المناهج العلمية لذا تفقد الكثير من مقدراتها.

المنهج أحد أهم العوامل لوقاية الباحث والبحث معا من العشوائية والتخبط، وأحد أهم ما يحقق للبحث الوضوح فى التلقي، فالمنهج يجعل من عملك العلمي إنتاجا مفهوما يمكن التعامل معه، إتباعي منهجا يعني أنني أنتج ما هو صالح للإفادة منه، تماما إذا كنت أسير فى الطريق بطريقة عشوائية فكل الذين يشاركونني الطريق لن يأمنوا

خطر عشوائيتي، ولكن السير وفق منهج محدد يجعل الذين يسيرون خلفي قادرين على قراءة ما أفكر فيه عملا بمبدأ أساسي فى استخدام الطريق: اجعل من يسير خلفك قادرا على قراءتك، ولا تستخدم إشارة الانعطاف يمينا وتنعطف يسارا أو العكس.

(٦)

ترتيب الفصول وتماسك الرسالة

من أكبر جامعة مصرية بإشراف أستاذ كبير قدير ولجنة مكونة من أكبر الأساتذة في التخصص حصلت الباحثة على درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى مع التوصية بالطبع والتبادل، سلمت نسخة للقسم لرفع مذكرة لمجلس الكلية لتشكيل لجنة فحص، فور تصفح الرسالة بدا لي أنها مقالات منفصلة لا رابط بينها وما أكد لي ذلك خلوها من قائمة المصادر والمراجع، للوهلة الأولى اعتقدت أن النسخة ناقصة فما كان مني إلا أسأل الباحثة التي أكدت أن الرسالة كاملة كما نوقشت؟!.

اتخذ مجلس الكلية قراره بتشكيل لجنة الفحص من أساتذة كبار وجاء تقريرها مشيرا بقوة إلى عبقرية الباحثة وتميز البحث، ووووو صفات أخرى لم يحلم بها طه حسين، تقبلت كل ذلك بوصفه سمة عصرية لأحوال جامعاتنا، فقط استوقفتني جملة وردت في التقرير: "الرسالة متماسكة الفصول محكمة العرض"، عندها تأكدت أني في جامعة تليق بالألفية الثالثة...

كثير من الباحثين يتفون مع رسائلهم بطريقة عشوائية تجعل من فصول الرسالة مجرد أحجار (ليست على رقعة شطرنج) وإنما أحجار ألتيت على الطريق يمكن تحريكها في أي اتجاه وتغيير مواضعها مما يعني افتقادها لأسس البناء، حيث يمكنك تقديم الفصل على الفصل أو تأخيره دون أن يختل البناء.

تفتقد كثير من الرسائل العلمية للتنظيم الكاشف لانتمائها لأسس البحث العلمي فإذا كانت الرسالة بعنوان "بنية القصيدة عند المتنبي" فليس من المنطقي أن يظهر:

- **اسم المتنبي في كل فصل**: فهذا يعني إنك تفترض في القارئ عدم الفهم فظهور اسم المتنبي في عنوان الرسالة وعلى غلافها يكون كافيا لفهم أن موضوعك عن المتنبي، ولا تكون في حاجة لتذكير القارئ أن الرسالة عن فلان (أو أن تقسم في كل فصل بأغلظ الأيمان أن الرسالة في موضوع كذا).
- **عنوان الرسالة**: ليكون عنوان فصل من فصولها فهذا يعني بشكل قاطع أن بقية الفصول لا قيمة لها ولا حاجة للباحث بها وهو ما يعني خللا فاضحا في تماسك الرسالة ووحدتها العضوية.

الرسالة شأنها شأن أي عمل علمي فكري يجب أن يخضع لنظام يكشف عن عقلية صاحبها المنظمة، ويسهل مهمة القارئ ويمنحه قدرا من المتعة في متابعة العمل، ومن أقوى التشبيهات للرسالة في تماسكها واتساق فصولها تشبيهها ببناء جسم الإنسان في مكوناته الأساسية الظاهرة: رأس – جذع – أطراف، حيث هي مكونات متماسكة، متسقة، لا يمكن اجتزاء أحدها أو تبديل أماكنها، وفي المقابل تأتي الرسالة: مقدمة – تمهيد – فصول متوالية – خاتمة – قائمة مصادر ومراجع، ومن المنطقي أن تتماسك وأن تتدرج وألا يحل أحدها محل الآخر فإن حدث ذلك فهذا دال على وقوع خلل جسيم يشير إلى تدني المستوى العلمي للباحث.

بناء الرسالة وتوالي فصولها يخضع لثلاث سمات أساسية:

- **التدرج**: في الطرح من السطح إلى العمق أو من الظاهر إلى الباطن.
- **الثبات**: أن يستقر كل فصل في موضعه فلا يمكن تقديم الثاني على الأول أو الثالث على الأول أو الثاني.
- **الوحدة العضوية**: فلا يمكن اجتزاء فصل أو حذف مبحث وتبقى الرسالة على صورة علمية سليمة.

لو أن باحثا يعد رسالة عن الاستعارة في شعر عنترة بن شداد مثلا، فمن المنطقي أن يتدرج عمله من منطقة بيان مساحة الاستعارة ثم مرجعيتها ثم وظيفتها وجمالياتها وكيف تدل على شعرية صاحبها.

ولدى الباحث وسيلة فعالة لضبط الأمر تنطلق من العنوان فكما قلنا من قبل: المنطقي علميا أن عنوان الرسالة يتفكك في عناوين فرعية (عناوين الفصول) بحيث يكون مجموع ما يطرحه الفرع يشكل الأصل (عنوانها)، والعلاقة بين الفصول والعنوان هي علاقة الأبناء بالأب، حيث الأبناء يحملون الجينات الوراثية للأب غير أن كل منهم يحقق أو يلعب دورا مغايرا، تماما كأغصان الشجرة في علاقته بالجذع تكون الفروع امتدادا للجذع وفي اللحظة التي نعتقد فيها أن الجذع ينطلق للأعلى رأسيا تأتي الأفرع لتنطلق في اتجاهات مختلفة (تغطي الاتجاهات الأربعة وتكون في مجملها الظل

المكتمل) ،كل منها يلقي ظله فى اتجاه فيما تتشارك جميعها فى نشر الظل النافع، وتأتي المباحث لتكون بمثابة التفريعات والوريقات التي تمد الشجرة بما يجعلها قادرة على النمو تجسيدا لعملية البناء الضوئي، إنها نظرية التشجير والتفريع التي تغيب عن تفكير الباحث فتأتي البحوث والرسائل على الشاكلة الأكثر تجليا فى الألفية الثالثة.

(٧)
المــتن والهــامــش

فـى الـكتابـة نحـن نتحـرك علـى مسـاحة الصـفحة الـتي تصـبح منطقـة عمـل، وميـدان صراع، ماذا نكتب وكيف نكتب؟، أي فكرة تأخذ طريقها للأوراق؟ أي جملة تسبق الأخرى، وأي تعبير عليه أن يتأخر عن سابقه؟ ،كلها أسئلة يمكن بلورتها فى مصطلح واحد: عملية إدارة مساحة العمل، تلك المساحة التي تنقسمُ إلى فضاءين أساسيين: المتن والهامش.

فى الكتابة الإبداعية لك حرية البقاء فى المتن، وفى البحث العلمي أو فى التحقيق (تحقيق التراث) أنت ملزم بالحركة بين الفضاءين، فقط تختلف طريقة الحركة وإدارة الفضاء:

- فى التحقيق تكاد حرية حركة المحقق فى المتن تنعدم، فهو ملزم بنقل متن المؤلف الأصلي دون تغيير (إلا فى حالات محددة)، وكل الحرية مكفولة له فى الهامش، الهامش للمحقق منطقة عمله الحقيقية عبر التعليقات التصويبات والإحالات والإشارات وغيرها مما يمثل منطقة حريته، وما يثري عمله.
- فى البحث العلمي أنت أكثر حرية فى الحركة بين الاثنين، وهو ما يمثل نوعا من التحدي أو معيارا للحكم على عمل الباحث، كيف يدير الحركة بين الفضاءين فإذا كان لكل مساحة منهما قيوده وقوانينه للحركة، فإن مساحة الحركة فى الهامش أكثر حرية منها فى المتن، وهي حركة محكومة بعدد من المبادئ فى مقدمتها أن الباحث الناجح هو ذلك الذي يعرف ماذا يضمّن المتن وماذا يضمّن الهامش.

والهامش الذي جعلته العرب نصا موازيا، فجاءت كتب التراث فى معظمها مساحة تضم كتابين: أحدهما المتن والآخر الهامش، والأمثلة متعددة غير خافية:

- **داود الأنطاكي:** تزيين الأشواق بذكر أخبار العشاق وبهامشه ديوان الصبابة.
- **ابن عقيل:** شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، وبهامشه كتاب إعراب الشواهد القرآنية.

- **ابن المرتضى**: البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار وبهامشه كتاب جواهر الأخبار.

ومع ما تعلمناه وما يجب أن نتعلمه من قيمة الهامش فى التراث العربي، فإن كثيرا من الباحثين (حتى الكبار منهم أو ممن يفترض اكتسابهم خبرات بحثية بحكم السن) يفتقدون مهارة الحركة بين المساحتين: المتن والهامش، فيأتي المتن مثقلا بما كان يجب أن يكون فى الهامش، ويأتي الهامش فقيرا معدما حين يقتصر على التوثيق فقط، وتغيب عنه فروض البحث العلمي فيخلو من عناصر أساسية تغنيه وتثري شخصيته العلمية:

- توثيق المراجع الواردة فى المتن.
- معلومات الاستزادة فى تعريفات المصطلحات والخلاف حولها.
- طرح القضايا الخلافية والاشتباك مع الأفكار.
- تفسير الغامض مما ورد فى المتن.
- الإشارة إلى قضايا وموضوعات ذات صلة بالبحث فى إحدى جزئياته.



الأسباب والمظاهر والنتائج

هي واحدة من أخطر الظواهر التي يعانيها البحث العلمي الآن، وهو ما يعني أهمية الوقوف على الظاهرة في أسبابها، ومظاهرها ونتائجها.

أولاً: الأسباب:

- ضعف الباحث في تكوينه العلمي بشكل عام، والباحثون ثلاثة أنواع في التكوين العلمي والمعرفة (كما أشرنا سابقا).
- افتقاد الباحث للإحاطة بموضوعه، وغياب الرؤية التي تبدو غائمة في مجملها وهو ما قد يعود إلى أن البحث مقترح على الباحث وليس فكرته الأصيلة.
- كسل الباحث حين لا يجتهد في الإحاطة بموضوعه والتعمق فيه مما يجعل تناوله سطحيا.
- غياب شخصية الباحث مما يجعله يهرب إلى الآخرين، معتمدا طريقة التقميش والقص واللصق.
- ضيق رؤية الباحث حين لا يوسع من مدى رؤيته فيتخبط في طرحه.
- غياب المشرف لأسباب تخصه أولاً، وتخص اللوائح ثانياً، وتخص أنظمة الجامعات ولوائحها ثالثاً.

ثانياً: المظاهر:

من أبرز الأمور التي تكشف عن جور الهامش على المتن:

١- **التعريفات**: وهي أبرز الجوانب التي تؤكد حركة الهامش غير المنضبطة في المتن، من حقك الإشارة إلى التعريفات المختلفة أو الموسعة للمصطلحات، في اللغة والمصطلح ولكن عليك الاقتصار على أهمها في المتن ونقل بقيتها في الهامش إن كنت ترى أهمية ذكرها أو أهمية تقديمها للآخرين، كثير من الباحثين مغرمون بإدراج كل ما توصلوا له فتشعر معهم أنهم مصرون إصرارا عجيبا على بدء العلم من أوله، فليس هناك أي معنى أو قيمة لأن تثقل المتن

بدايات العلم أو بالعودة لتعريفات لن تضيف جديدا (يغيب عن أذهان الكثير من الباحثين أن الرسالة تقدم للجنة المناقشة قبل أن تقدم للقارئ العادي فمن حقه الإضافة والتوسع والتبسيط عندما يقرر أن ينشر الأطروحة فى كتاب، ولكنه حال إنتاج الرسالة فهو يخاطب قارئا متخصصا أو هو قارئ من طراز خاص.

٢- **التأصيل التاريخي**: لموضوع ما أو مصطلح ما يأخذ الباحث إلى رصد تفاصيل رحلة الموضوع تاريخيا من القديم إلى الحديث، مثلا باحث يدرس رثاء المدن بوصفه شكلا من أشكال الرثاء فيعود إلى تطور الغرض الشعري من الرثاء كما هو معروف قديما للإنسان، وتطوره إلى رثاء غير الإنسان (الحيوان)، وصولا إلى رثاء المدن، أو عن المنهج الاجتماعي فى كونه ولد من رحم المنهج التاريخي فيروح يستقصي رحلة المنهج الاجتماعي من ميلاده حتى شيخوخته، جميعها تأصيلات قد تكون مطلوبة، لكن مكانها الهامش وليس المتن.

٣- **الاستطرادات الموضوعاتية**: امتداد الكلام على موضوع عبر ربطه بموضوعات أخرى، الاستطراد فى الحديث عن الاستعارة عبر علاقتها بالتشبيه مثلا.

٤- **الشروح**: توسيع مدى الشرح والإضافة فى موضوع ما، الاستقصاء فى معلومات تخص موضوع البحث، أن تستقصي الحديث عن المجاز عبر كتابات البلاغيين والنقاد، أو التمثيل بالشعر فى موضوع خاص بالرواية أو العكس (فى موضوع: النيل فى الرواية العربية، من حق الباحث الإشارة إلى النيل فى الشعر أو النيل فى الفكر الإنساني، ولكن ذلك كله مكانه الهامش وليس المتن).

ثالثاً: النتائج:

- غياب المنجز العلمي حين لا يتمكن المتلقي من تحصيل الإضافة أو التوصل لنتائج ملموسة للبحث.
- فساد العملية البحثية فى مجملها، فالبحث حلقة ترتبط بها حلقات والباحث يتأثر به من يأتون من بعده.
- ركام من الأبحاث غير المنضبطة منهجيا وغير المتحققة علميا، وهو ما يدشن للخلل أكثر من تدشينه للسلامة.

(٨)

مكونات البحث الأساسية والأبحاث منزوعة الثقة

تقوم مادة البحث العلمي على مكونين أساسيين:

- وجهات نظر تمثل فكرا خالصا لصاحبها، **قد تنتج** معرفة أو تضيف للمعرفة.
- معلومات ومعارف لا يكون للباحث دور فيها سوى إعادة إنتاجها أو تقديمها وفق طريقة مناسبة **وهي تنتج** المعرفة والمعلومات.

وجهات النظر تثير تساؤلات وتحرك المتلقي للمعرفة وتنبه على مواطن الحقائق أو تختلف معها، والمعلومات والمعارف تضيف لمتلقيها وتنمي لديه القدرة على اكتناز المعرفة، مضيفة إلى رصيده مالم يكن يعرفه أو ما نسيه ويحتاج إلى تذكره.

وجهات النظر والآراء مهما كان كمها أو كيفها لا تقيم بحثا، ولا تمنحه دواما (باستثناءات قليلة لا تتأتى للكثير من الباحثين أو المحسوبين على البحث العلمي)، ولكن الجانب المعلوماتي هو عصب البحث والأكثر بقاء.

وجهات النظر تحمل طاقة على تفسير الظواهر بصورة علمية، غير أنها قد تفقد جدتها مع مرور الزمن، وقد تنفض الغبار عن رأي سابق غير أنها قد تفقد قوتها مع تجدد العلم وتعدد البحوث واتساع مساحة البحث فى موضوع ما.

تتشكل الطاقة المعلوماتية من عدة نقاط من أهمها:

- معلومات حول الشاعر أو الروائي (تاريخه – مؤلفاته – ما كتب عنه).
- معلومات التوثيق للحوادث والوقائع.
- معلومات التوثيق للمراجع والمصادر.
- معلومات حول قضايا مختلفة يقاربها البحث.
- معلومات إحصائية عن ظاهرة أو قضية ما.

- معلومات عن الدراسات السابقة.

يبقى الجانب المعلوماتي طازجا، دالا على صاحبه شريطة حسن استخدامه ورعايته، فكثير من الباحثين يجعلون منه جسما غريبا فى نطاق البحث ويتحول على أيديهم إلى حشو ومجرد معلومات منقولة بطرقة النمل، الجادون منهم والباحثون الموهوبون هم أولئك الذين يعملون بطريقة النحل حين يعتمدون على المعلومات المستمدة من مراجع ومصادر أخرى.

أبرز أمثلة الفشل فى إدارة الجانب المعلوماتي حين يحشو الباحث رسالته بمعلومات عن شاعر أو روائي يكون نتاجه موضوعا لبحثه، يدرجها دون توظيفها ودون الاعتماد عليها ودون النظر فيها لتكون صالحة لبحثه.

لو أن باحثا موضوعه: الصورة فى شعر الهمشري مثلا، فإن توظيف المعلومات عن الشاعر وحياته تعني الكشف عن مصادر الصورة فى شعر الشاعر من خلال حياته، مما يعني الربط بين المقدمات (المعلومات) والنتائج (الصورة)، كما يعني توظيف المعلومات لا مجرد نقلها.

إن النقل غير المسوغ أو النقل الجامد للمعلومات يفقد البحث قدرته على البقاء أو منح المتلقي واحدا من أهم ما يمنحه للآخر من إفادة.

كل الباحثين تتوفر لديهم معلومات عن موضوعاتهم، غير أنهم لا يدركون قيمتها، وقيمة أن يكون عملهم جسرا للآخرين لإفادتهم بها وخدمة البحث العلمي، مثلا وأنت تعمل عن شاعر أو روائي أو تدرس قضية ما، فإنك تجمع مادة علمية ومعلوماتية عن الموضوع، قد تستثمرها بشكل كلي أو جزئي، آخذا منها أو معتمدا عليها استشهادا وفحصا، غير أنك لا تفكر فى تقديم ملحق ببليوجرافي يقدم المعلومات بطريقة تمنح الآخرين قدرة على الإفادة منها.

إن معلومة قد تبدو متاحة لك الآن ومعلومة للجميع قد يقيم عليها أحدهم لاحقا بحثا وقد تعينه على اتخاذ قرار البحث فى موضوع ما وقد تفتح له أبوابا تكون مغلقة بدونها، ماذا لو باحثا توقف يوما أمام نتاج شاعر لا تتوافر لديه معلومات عن زمنه أو مكان حياته ليقف على منطقة يبحث فيها عما كتب حوله من دراسات تكون بمثابة المراجع الأساسية عن الشاعر، إن هذا الباحث قد يعتمد على إشارة تضمنتها قصيدة

عن واقعة محددة الزمن أو شخصية محددة الحضور فى زمن معين ينفذ منها لمساحة حضور الشاعر.

الباحث الحقيقي هو ذلك الذي يدرك قيمة المعلومات ويكتب للزمن القادم ولا يكتفي بتسويد صفحات يحملها وجهات نظره فى الأشياء دون أن يؤكدها أو يدعمها بالمعلومات التي تمنح بحثه ثقة وتمنح عمله مصداقية.

الطاقة المعلوماتية تضع الباحث فى واحد من ثلاثة مواضع تكشف كل منها عن معدن الباحث:

- وجود المعلومات وحسن إدارتها يعني أنك أمام باحث حقيقي.
- غياب المعلومات يعني أنك أمام باحث يفتقد للقواعد وعليه المبادرة لمعرفتها قبل فوات الأوان.
- وجود معلومات مفبركة يعني إنك أمام باحث مزيف (يلجأ بعض الباحثين لفبركة المعلومات واختراعها)، يذكر معلومات خاطئة دون تدقيق أو لمجرد تسديد خانات، كأن يفوته توثيق رقم صفحة فى مرجع فيخترع صفحة (ذات مرة خبط أحدهم رقم صفحة بصورة عشوائية وبالفحص اتضح إنه صفحة بيضاء تفصل بين فصلين فى المرجع، وهو ما يشبه أن تفبرك تاريخا لزيارتك مؤسسة حكومية مثلا وبالفحص يتضح أنه يوم عطلة رسمية مثلا)

إذا كان نقص المعلومات يعني ضعف الباحث فإن فبركتها واختلاقها يعني فقدان الباحث مصداقيته تماما، فهذه المعلومات بمثابة الكوارث التي يصدرها الباحث لأجيال ستأخذها بوصفها مسلمات وهو ما يشبه تماما اختلاط الأنساب.

فى العصر الحديث أصبح البحث العلمي بشكل عام، وكتابة جملة فى البحث بشكل خاص أصبحت جميعها بمثابة قرار، وليس بإمكانك أن تتخذ قرارا دون الاستناد على معلومات من شأنها أن تضعك فى موقعك المناسب.

لاحقتان لا يليق الاعتذار عنهما:

١- عملي بالببليوجرافيات شكل لدي قائمة سوداء لباحثين كبار الأسماء مشهوري السمعة فقدوا مصداقيتهم وقد زيفوا كثيرا من المعلومات وتضمنت

أبحاثهم معلومات كارثية بكل ما تعنيه الكلمة فليس من الممكن الثقة فى عمل لهم مهما كان صغيرا حيث باتت الفبركة لديهم أسلوب عمل وقانون حياة.

٢- إلى السادة الباحثين أولا والمشرفين ثانيا، والمناقشين ثالثا، والمحكمين لأبحاث الترقية رابعا والقائمين على المجلات العلمية المحكمة خامسا: اتقوا الله فى عملكم فإجازة رسالة علمية تتضمن معلومات توثيقية خاطئة أو مفبركة عمل مشين وفى رواية أخرى خسيس وفى رواية ثالثة يفضى بصاحبه إلى النار، وفى رواية رابعة...



(٩)

المعلـومـــات (١ من ٢)

لا يخلو بحث من معلومات، يتداولها الباحثون، يعيدون فيها إحياء معلومات سابقة، ويضيفون إلى المتلقي قدرا من المعلومات الجديدة أو القديمة تتسم بـــــ: الجدة، الموثوقية، والموثوق بصحتها، للدرجة التي تخرج المتلقي من دائرة الشك واضعته في مساحة من اليقين الدائم إلى حد كبير، والمتلقي للبحث العلمي يكون في وضعية من وضعيتين:

١- مدرك للمعلومة، العارف بها من قبل فيتلقاها موثقة متطوع بصحتها لاعتمادها على المصادر العلمية أولا ولأن الباحث لم ينقلها ولم يدرجها في بحثه قبل أن يمررها على المنطق العلمي، ويفحصها وفق معايير العلم ومنطقه.

٢- غير مدرك لمعلومة جديدة لم يتعامل معها من قبل فيتعامل معها بقليل من الشك وكثير من اليقين لكونه مدركا كيفية إدراجها في بحث اشتغل صاحبه وفق قوانين علمية صارمة تنظم العمل العلمي، وتدير شؤونه.

والجانب المعلوماتي في البحوث العلمية المنتمية للعلوم الإنسانية، تنقسم إلى نوعين أساسيين:

- **النوع الأول/ الجملة الببليوجرافية:** معلومات توثيقية تشير إلى مصادر ومراجع تتعلق بمادة البحث وتساعد في تحقيق وجوده ومنحه حق الحياة، وهي المقصودة بالجملة الببليوجرافية، يكون الباحث مقيدا في تشكيلها وفق ما هو متفق عليه من أساليب علمية، وهي جملة معدة مسبقا وجودها سابق لوجود البحث نفسه (جملة التوثيق للمرجع أو المصدر)، وهي جملة معروفة مكوناتها، وطريقة بنائها، تكون بمثابة علامة متفق عليها، تكتسب أهميتها من وظيفتها وتتكون من:
- **اسم المؤلف ـ عنوان الكتاب:** هما معلومتان أساسيتان تدل إحداهما على الأخرى فقد نفقد اسم المؤلف فنستدل عليه من عنوان كتابه والعكس.
- **الناشر ـ المدينة:** معلومتان مكانيتان يسهلان للغير التوصل للكتاب، وتحفظ الأولى للناشر حقوقه، فيما تمثل الثانية معلومة جغرافية تلعب دور التوثيق أولا والمصداقية ثانيا.

- **السنة**: علامة زمنية لها دورها في التوثيق أولا، وفي تحديد مسار تطور مشروع المؤلف حال إدخال الكتاب في سياق مشروع المؤلف عبر تفاصيله، وإثبات حقه في سياق الدائرة الأوسع (عمل الآخرين)، سبقا أو تأخرا للتأليف في مجال ما، كما تعمل على تنظيم المعرفة بالتأليف في مجال ما تشارك عدد من المؤلفين في التأليف فيه.
- **رقم الطبعة (إن وجدت)**: علامة تخص الكتاب حين توالي طبعاته، تمنح المؤلف حقه في تطوير مؤلفه، وتنقيح عمله.
- **رقم الصفحة**: وهو رقمي يقيني يعمل على توثيق مقولات الباحث وأمانته العلمية ودقته في التوثيق.
- **النوع الثاني**: معلومات تخص مادة البحث تأخذ موضعها في المتن غالبا، وتكون من إنتاج البحث ممثلة واحدة من أساسياته لمناسبتها تماما للموضوع ودخولها في نسيجه، فهي جملة من صناعة الباحث بالأساس، يكون حرا إلى كبير في صناعتها وفق أسلوبه الخاص، وهي جملة تعد خصيصا للبحث.



المعـلـومـات (٢ من ٢)

تقوم الأبحاث فى العلوم الإنسانية على نوعين من الأطروحات:

- معلومات سابقة الإنتاج، غير قابلة التغيير، ولكنها طيعة التأويل والاستثمار.
- آراء علمية قابلة للتغيير، وحتى النفي والزوال مهما بدت راسخة خضوعا لمبدأ التطوير (يحدث أن يغير الكاتب آراءه فى عالم يتغير فيه كل شيء غالبا مما يجعل الكاتب نفسه يعيد هدم أفكاره والبناء على أنقاضها أو تغيير توجهاتها باستمرار اعتمادا على معطيات واقع سريع التغير والتطور).

تزداد قناعتنا بالآراء حين تكون مطعمة بالمعلومات، مشكّلة منها ومعها سبيكة معرفية، سبيكة لها بلاغتها رغم لغتها التقريرية، فالمعلومة تمثل عصب البحث العلمي ومادته الخام، وتكون بمثابة الجينات الوراثية للمعرفة الإنسانية، ينتجها البحث بوصفها واحدة من أساسياته لمناسبتها تماما للموضوع ودخولها فى نسيجه، فهي جملة من صناعة الباحث بالأساس، يكون حرا إلى حد كبير فى صناعتها وفق أسلوبه الخاص، وهي جملة تعد خصيصا للبحث وتأخذ وضعية من وضعيتين:

- **وضعية الاستثمار:** معلومات قديمة متداولة على نطاق واسع مما يجعل معرفتها مقطوعا بها ومن ثم يستثمرها الباحث معلومات تخص مادة البحث.
- **وضعية الإنتاج:** معلومات جديدة يقدمها الباحث استنتاجا وإخراجا من مصادرها الضيقة إلى العالم الأرحب.

من حيث جودة الاستثمار ينقسم الباحثون إلى ثلاثة أقسام:

- **فريق حريص على التدقيق وإدارة المعلومات** وهم قلة من الباحثين الذين تربوا تربية بحثية تليق بهم، يستثمرون المعلومة ويكونون حريصين على تقديمها للأجيال مدركين قيمتها، عارفين بكيفية استثمارها.
- **فريق معرفته بالمعلومة عشوائية،** يخبط فيها خبط عشواء، فيصيب مرة ويخطئ عشرات، ولا يدرك كيفية استثمار المعلومة المتاحة، وهم ما يمثلون عبئا على

أبحاثهم، فمنهم من تتاح له معلومات قيمة لكنه يهملها لافتقاده للوعي العلمي، مثلا أحدهم يشتغل على مشروع أديب، شاعر أو روائي، فيروح يجمع كل ما كتب عنه، تتوفر لديه مادة كبرى عن المبدع يأخذ من بعضها ويعتقد أن الباقي لا يهم بحثه، وكان بإمكانه استثمار كل ما هو متاح له بعمل استثماري بسيط يقوم على تضمين بحثه ببليوجرافيا خاصة بالكاتب تكون بمثابة حلقة الوصل بين عمله والأعمال اللاحقة إذ يجعل من بحثه بوابة للعبور إلى عالم الكاتب، ويجعل بحثه مخزنا استراتيجيا يعود إليه كل من أراد للعمل على مشروع الكاتب أو يبحث في جانب من جوانبه.

- **فريق لا علاقة له بالمعلومة،** لا يدرك قيمتها ولا يبحث عنها، يعتمدون لغة إنشائية تفتقد أبسط مقومات البحث العلمي وهم يتزايدون للأسف الشديد في العصر الحديث، وإن اعتمدوا على معلومة ففي الغالب يعتمدون نظرية (الفابريكيشن) في توثيق المعلومة فلا يمكنك الاعتماد على معلومة واحدة تتضمن أبحاثهم وإن صغرت.

والجملة المعلوماتية في مجملها تؤكد في تواليها على أمانة الباحث وحرصه على تقديم معرفة لغيره، عبر كونه حلقة في سلسلة متوالية للحفاظ على المادة المعرفية، كما أنها في أدق وظائفها تضعنا أمام ثلاث سياقات معرفية:

- **سياق المؤلف:** فهي علامة على عدد من سمات المؤلف العلمية: الأمانة – الدقة في البحث والتوثيق – تجنب العشوائية – الحرص على فروض العلم وقوانينه.
- **سياق البحث:** علامة على ثراء البحث وقدرته على إدارة المعلومات والربط بين قديمها وجديدها، وفحص المطلوب منها لضرورات البحث، وما لا يكون البحث في حاجة له، فهناك عدد من الباحثين يغرقون بحوثهم بما لا حاجة لها به، وفي المقابل هناك من يضن بالمعلومة حتى وإن توافرت له.
- **سياق المتلقي:** وقد يجد نفسه أمام بحث فقير استغرق صاحبه في تسويد الصفحات دون إضافة جديد فيخرج منه صفر اليدين أو يجد نفسه أمام بحث يعيد فيه صاحبه إنتاج معلومات قديمة أو تقديم معلومات جديدة تنضاف إلى رصيد القارئ أو تدشن معرفته بمنطقة حياتية ما.



(١٠)

المصادر والمراجع: (١من٢)

من أدوات الباحث الأساسية: المصادر والمراجع، لا بحث دونهما، ولا يمكن لباحث أن يستغني عنهما.

فى أولويات البحث المصدر يسبق المرجع، فهو نقطة انطلاق الباحث فى عمله على النص أو اشتغاله بتضية فى مجموعة نصوص، أو إثباته ظاهرة إبداعية ما، دراسات من مثل:

١- **الفضاء فى روايات نجيب محفوظ،** المصادر هنا هي روايات نجيب محفوظ.

٢- **المجاز فى ديوان المتنبي،** ديوان المتنبي هو مصدرها الأول.

٣- **الوطن فى الشعر العربي الحديث،** دواوين الشعراء ونصوصهم هي مصدرها الأول. وهكذا.

مع أهمية المراجع فالمصادر لابد من توافرها قبل توفر المراجع، لست مطالبا بقراءة المراجع قبل قراءة المصادر (لا يتعارض هذا مع قراءة المراجع التثقيفية غير المرتبطة بموضوع البحث)، فلابد من قراءة المصدر والوعي بما فيه، والخطيئة التي يرتكبها الباحثون أنهم يفترضون وجود قضايا فى مصادر لم يطلعوا عليها وأحيانا لم يحصلوا عليها من الأساس (فى حالة المثال الثالث السابق يمكن للباحث بعد تأكده من تحقق الوطن فى عدد من النصوص يمكنه الاستعانة بنصوص أخرى لاحقا)، ولكن القضية الأخطر التي ألاحظها عند معظم الباحثين وبعض الأساتذة (ممن تعودوا على ذلك)، افتراض قضية فى كتاب أو فى مشروع كاتب ويسجل الباحث موضوعه قبل قراءة المادة التي سيشتغل عليها وبعدها يكتشف أن النقطة البحثية مادتها غير متوفرة أو غير كافية وهي ورطة رغم اشتراك الباحث فيها مع مشرفه فإنه تبعتها ومسؤوليتها تقع على المشرف أولا ولكنها للأسف ورطة يتحملها الباحث.

كثير من الباحثين يخلطون بين المرجع والمصدر مما يفضي إلى خلل منهجي فى التعامل مع الاثنين، المرجع قد يتحول إلى مصدر (قد تقوم دراسة علمية على مرجع ما: أثر النقد القديم فى كتابات شوقي ضيف مثلا تصبح مؤلفات شوقي ضيف مصدرا

للدراسة وهكذا)، والمصدر فى حالات قليلة قد يكون مرجعا (عندما ندرس ظاهرة شعرية فى العصر الحديث كظاهرة الطير مثلا، ونريد التأصيل للظاهرة فى الشعر القديم فنستشهد بأبيات من ديوان شاعر قديم، هنا يكون المصدر قد تحول إلى مرجع وهكذا).

المرجع يعتمد عليه الباحث لإثبات ما يقول أو يؤكده سلبا أو إيجابا، ونتعامل معه بثلاث طرق أساسية:

١- الأخذ نصاً فى حدود متعارف عليها فى المرة الواحدة مع التوثيق الكامل لكل ما نأخذ ونميزه بوضعه بين علامتي تنصيص "....".

٢- الأخذ مع تغيير النص بأسلوبنا مع الإشارة لذلك فى الهامش (بتصرف من كذا ونذكر التوثيق كاملا).

٣- الإشارة لقضية ما أو أمر ما فى كتاب معين، وفى هذه الحالة نستخدم "ينظر"، يرجع إلى كتاب كذا، أو ينظر كتاب كذا ص كذا وما بعدها إن كان الموضوع مفرودا على صفحات متوالية، أو ينظر الفصل كذا أو والفصل كذا إن كان الموضوع مفرودا على فصول متعددة متوالية أو غير متوالية.

خلافا لذلك هناك حالات خاصة للتعامل مع المرجع أو المصدر:

١- يحق للباحث أن يحذف عبارة أو سطورا من الجزء المستشهد به من المرجع (غالبا يكون فى وسط المقتطع) وفى هذه الحالة يضع مجموعة من النقاط بين قوسين إشارة إلى الحذف (.......)، ويحدث فى بعض الأحيان أن يدرس باحث نص قصيدة ما فيستشهد بأبيات منها يذكرها فى موضع ما، المشكلة إنه يقتطع أبياتا دون الإشارة إلى ذلك (المفترض أن يذكر الأبيات متوالية دون حذف أبيات بين أول بيت يأخذه وآخر بيت) فإن كان لابد من الحذف وهذا حقه فليشر إلى المحذوف.

مثلا، لو أن باحثا استشهد بهذه الأبيات لأحمد شوقي:

حَولٌ تُسائِلُ فيهِ كُلُّ نَجيبَةٍ ... سَبَقَت إِلَيكَ مَتى يَحولُ فَتَلحَقُ

وَالمَجدُ عِندَ الغانِياتِ رَغيبَةٌ ... يُبغى كَما يُبغى الجَمالُ وَيُعشَقُ

إِن زَوَّجوكَ بِهِنَّ فَهيَ عَقيدَةٌ ... وَمِنَ العَقائِدِ ما يُلَبُّ وَيُحمَقُ

مـا أَجمَـلَ الإيمـانَ لَـولا ضَـلَّةٌ ... فـى كُـلِّ ديـنٍ بالهدايَـةِ تُلصَـقُ

من حقه أن يحذف البيت الثالث مثلا إذا أراد ولم تكن دراسته فى حاجة له، عندها عليه إدراج الأبيات بهذه الصورة

حَولٌ تُسـائِلُ فيـهِ كُـلُّ نَجيبَـةٍ ... سَبَقَت إِلَيـكَ مَتـى يَحـولُ فَتَلحَـقُ

وَالمَجـدُ عِنـدَ الغانِيـاتِ رَغيبَـةٌ ... يُبغـى كَمـا يُبغـى الجَمـالُ وَيُعشَـقُ

....

مـا أَجمَـلَ الإيمـانَ لَـولا ضَـلَّةٌ ... فـى كُـلِّ ديـنٍ بالهدايَـةِ تُلصَـقُ

إشارة إلى أنه أسقط بيتا أو عدة أبيات يراها لا تخدم موضوعه، ولا تحقق ما يريد قوله.

٢- يحق للباحث الأخذ من المرجع الوسيط فى حالتين أساسيتين:

- كتاب نادر ليس متاحا أو مفتود وجدت استشهادا منه فى مرجع آخر وتطلب الأمر الاعتماد عليه (لابد من ذكر بيانات التوثيق للمرجع الوسيط كاملة مع توثيق المرجع الأساسي).
- مرجع غير مترجم مكتوب بلغة من اللغات غير المتداولة أو التي يتقنها الباحث كاللغة الصينية أو اليابانية مثلا وقد اعتمد باحث ما على هذا المرجع فى هذه الحالة يحق للباحثين الاعتماد على ما أخذ.

٣- يحق للباحث الأخذ من كتاب غير مترجم، بأي لغة يتقنها الباحث، وفى هذه الحالة عليه ترجمة المأخوذ إلى لغة البحث على أن يكون التوثيق بلغة الكتاب وليس بلغة البحث (وجود توثيق بلغة غير عربية فى بحث باللغة العربية تعني أن المرجع غير مترجم وأن الباحث تعامل معه بلغته غير العربية).

المصادر والمراجع (٢ من ٢)

المراجع نوعان أساسيان:

- مراجع مباشرة تتعامل معها مباشرة دون وسيط.
- مراجع غير مباشرة تدلك على المراجع المباشرة وتهديك إلى المؤلفات الداخلة فى موضوعك تماما، يعتمد التعامل معها على قدرات الباحث على الملاحظة والاكتشاف، ولا يفيد منها سوى الباحث واسع الأفق الذي يمتلك حسا نقديا ووعيا علميا يجعله يوسع دائرة البحث مستدلا على المراجع الخاصة بموضوعه، والبحث يتوصل لمراجعه من عدة سبل تتدرج حسب أهميتها وتوفرها:

١- **البيليوجرافيات:** وهي قواعد البيانات الداخلة نصا فى علم ما (بيليوجرافيا الرسائل العلمية فى الرواية أو فى الشعر مثلا)، وهي شحيحة حد الندرة فى مجال البحث العلمي العربي (سنعود لها لاحقا بمشيئة الله) وجودها يغني الباحث بنسبة تتجاوز ٩٥ ٪ من احتياجاته المرجعية، وغيابها يجعل الباحث مضطرا لبذل جهد أكبر وصولا إلى مراجعه.

٢- **الرسائل والأبحاث العلمية والمؤلفات السابقة،** القريبة من التخصص أو الداخلة فيه: وهي التي يعتمد عليها الباحث فى التعرف على المراجع، وتمثل قوائم المصادر والمراجع الملحقة بالرسائل العلمية والأبحاث مجالا شديد الأهمية للباحث.

٣- **قواعد البيانات المختلفة:** وهي الدائرة الأوسع للتخصص، فالنقد الروائي تخصص دقيق داخل ضمن دائرة أوسع هي دائرة الأدب، والأدب المصري مثلا داخل ضمن دائرة أوسع، الأدب العربي وهكذا، ولا يقتصر عمل الباحث على تخصصه الدقيق بحثا عن مراجعه وإنما عليه توسيع الدائرة وصولا إلى مستهدفاته.

٤- **قوائم دور النشر المتخصصة وغير المتخصصة:** وتعد متابعتها مساحة لها أهميتها فى متابعة الجديد وتحديث المراجع العلمية، واكتشاف الجديد منها.

٥- **الأستاذ المشرف** بما يمتلكه من خبرات علمية تجعله قادرا على تقديم زاد معلوماتي لتلاميذه من الباحثين.

٦- **مجموعة الباحثين الأصدقاء**، من ذوي الاختصاص والداخلين فى مجال التخصص الدقيق أو التخصص العام.

٧- **الأحاديث التلفزيونية وعروض الكتب فى الدوريات**، والندوات، حلقات النقاش وصفحات الأدباء والباحثين من صفحات التواصل الاجتماعي وغيرها من الفعاليات التي يمكن للباحث أن يلتقط منها معلومات مرجعية أو إشارات للمراجع والأبحاث والمؤلفات.

وجميعها تمثل مساحة واسعة يكون على الباحث الجاد التحرك فيها للإحاطة بكامل المراجع المتاحة فى موضوعه.

يفتقد بعض الباحثين أبسط قواعد التعامل مع المراجع والمصادر، قديما كانت المشكلة فى الحصول على المعلومات الخاصة بالمراجع أو الحصول على المرجع نفسه، اليوم ليس صعبا الحصول على المراجع، وإنما الصعوبة فى كيفية التعامل معها، وهي مسألة نسبية تخضع لخبرات الباحث وجديته وطموحه العلمي الحقيقي.

للمرجع على الباحث حقوق مرعية وقواعد إلزامية، من أهمها:

- الأمانة العلمية فى التعامل مع المرجع، ألا يستمد الباحث مادته من المرجع دون الإشارة إليه وهي القضية الأكثر تكرارا فى البحث العلمي اليوم، وباتت السرقات العلمية ملمحا أساسيا فى البحث العلمية مما جعلها قضية تكاد لا تنجو منها إلا جامعات قليلة فى الوطن العربي كله.
- توثيق المرجع توثيقا كاملا دون نقصان إلا فى حالة نقص معلومات التوثيق على المرجع نفسه، وألا يغير الباحث معلومات التوثيق (اسم المؤلف – عنوان الكتاب – الناشر – المدينة – السنة – رقم الطبعة – رقم الصفحة)، محققا الأمانة العلمية فى إدراج هذه المعلومات (من المظاهر غير المتبولة من الباحثين وضع اللقب العلمي على كتاب لا يحمل صاحبه لقبا علميا أو أن المؤلف نفسه لم يضع لقبه العلمي مثل طه حسين مثلا الذي يتطوع البعض بوضع لقبه على مؤلفاته، وهي حالة مقبولة على حد ما مقارنة بالباحث الذي وضع لقبا علميا لسيبويه فكتب: الدكتور سيبويه، وباحث آخر يعود لكتاب "التصوير الفني فى القرآن" لسيد قطب فيكتب المرجع باسم سيد الشاذلي (سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي) هذا هو اسم سيد قطب

الكامل كما تذكره المراجع التي كتبت عنه، ولكنه لم ينشر كتبه بهذا الاسم فلماذا نخترع ما ليس مسجلا على المرجع؟ (إدراج الاسم بهذه الصورة يوهم أن المؤلف شخص آخر غير المؤلف المعروف).

- الإشارة إلى المراجع غير المباشرة حال الإفادة منها.
- إثباتها في قائمة مراجع يعتمد ترتيبها على الترتيب الألفبائي (حسب اسم المؤلف أو عنوان الكتاب)، في ترتيب المصادر الخاصة بمؤلف ما لو كان مشروعه خاضعا للبحث يفضل ترتيب المصادر ترتيبا زمنيا.
- الاجتهاد في توثيق المرجع وتجنب عشوائية التوثيق أو التدليس في المعلومات الخاصة بالتوثيق، في حالات خاصة يفقد الباحث معلومات التوثيق بأن يتعامل مع مرجع ما في مكتبة ما، يسجل منه ما يريد ثم ينسى أو يفقد بطاقة التوثيق، مما يضعه أمام عدة خيارات:

١- وضع جزء مما اقتبسه أو كله في أي محرك بحث فقد يصادف أن يكون باحث آخر قد اعتمد عليه كليا أو جزئيا ويجد عنده توثيقا لما فقده من توثيق (أصحاب نظرية الفبركة والفهلوة يبادرون لضرب التوثيق وفبركة معلوماته، وقد رصدت حالات لا حصر لها لباحثين كبار فعلوا ذلك ببساطة منتهكين حقوق المرجع).

٢- البحث عن الكتاب في نسخة إلكترونية.

٣- الاستعانة بصديق تتوفر لديه نسخة ورقية من المرجع.

٤- إن لم يتحقق السابق فليس أمام الباحث سوى الاستغناء عن المرجع حفاظا على الأمانة العلمية (أعرف أن هذا لا يحدث كثيرا الآن وأن معظم الباحثين يعمدون إلى محاولة تشويه النص بتغيير ملامحه اعتقادا منهم أن ذلك يخفي جريمتهم النكراء وفعلتهم الشنعاء، باحثة مصرية وضعني القدر في سبيل تحكيم ترقيتها لدرجة علمية وجدتها تفعل ذلك ببراعة منقطعة النظير مع ثلاث مؤلفات منها كتابي "استراتيجية المكان"، وهي ليست الحالة الوحيدة فيما عاينته من حالات ولن تكون الأخيرة).

إن الحقيقة الأهم التي تغيب عن الباحثين أن ما يقوله الباحث وما تتضمنه الأبحاث في العلوم الإنسانية آراء واجتهادات قابلة للتغيير، فقط الجانب المعلوماتي في البحث

(المعلومات التوثيقية للمراجع خاصة) غير قابلة للتغيير، وهي من الجوانب ذات الأهمية القصوى للبحث العلمي الذي تمثل له العصب الأساسي لقيامه وتحقيقه أهدافه، فكم من بحث ضعيف، وكم من رسائل مهلهلة لا قيمة لها إلا بقدر ما حافظت على توثيق مصادرها وتقديم معلومات ببليوجرافية عن العلم التي تختص بها.



(١١)

نظـام الملـف المــوازي

فى جمع المادة وتحريرها يعتمد الباحثون عدة طرائق وأنظمة منها:

- **نظام البطاقات والفيشات**: وهو نظام تقليدي قديم اعتمد عليه أساتذتنا ويقوم على مجموعة البطاقات (بطاقات بحجم نصف صفحة ورق مقوى مسطر، كانت تباع فى المكتبات خصيصا لهذا الغرض) يستخدمها الباحثون فى تفريغ المقاطع التي يحتاجونها من المراجع، وخاصة من المكتبات المختلفة التي لا يحق للباحث الاستعارة منها.
- **نظام الأخذ من المراجع مباشرة**: وهو مناسب للمراجع الموجودة فى مكتبة الباحث الخاصة فقد لا يحتاج إلى التسجيل من كتب هي موجودة لديه بالفعل.
- **نظام الملفات الورقية**: نظام شبيه بنظام البطاقات والاختلاف فقط فى طبيعة الملف، فبدلا من الكتابة فى الفيشات الورقية يمكن الاعتماد على ملف ورقي يضم مجموعة من الأوراق يضمها الباحث يدويا لصناعة مضمومة ورقية تخص مبحثا أو فصلا من فصول البحث، وهو نظام يسمح له بالتوسع فى وضع الملاحظات أو كتابة الأفكار والوفاء بحق الفكرة فى سياقها من البحث.
- **نظام الملفات الإلكترونية**: وهو نظام لا يعتمد فيه الباحث على الأوراق وإنما يكون اعتماده على ملفات إلكترونية يكتب فيها ملاحظاته وأفكاره، ويعتمد أحيانا فى جمع مادته على التصوير، تصوير الصفحات بماسح ضوئي محمول (اسكانر محمول صغير الحجم، يحتوي على وحدة تخزين متعددة السعات يخزن فيها الباحث الصفحات المصورة بصيغة الصور أو بصيغة (Pdf) يقوم بتفريغها على الكمبيوتر لاحقا)، أو يعتمد على تطبيقات الموبايل من أبرزها (CS) الذي يحول الموبايل إلى اسكانر لمسح الصفحات وتخزينها، وفى هذه المرحلة لا يعتمد الكاتب على الأوراق فى الكتابة وإنما يعمد إلى الكتابة مباشرة على الكمبيوتر دون المرور بالمرحلة الورقية وهي مرحلة متقدمة وتتطلب خبرات سابقة للتعامل مع الوسائط الإلكترونية (من أهم هذه الخبرات إجراء نسخة احتياطية من الملفات فى

مكـان آخـر (وحـدة تخـزين خارجيـة سـحابية أو رفـع الملـف علـى الميـل الخـاص بالباحث) تجنبا لمشكلات تقنية قد يفقد الباحث على إثرها كل جهده السابق.

- **نظام الملف الموازي:** ملف إلكتروني ينشئه الباحث ملحقا بالملف الأساسي للبحث أو منفصـلا عنـه، وتكـون مهمتـه إنشـاء قائمـة المصـادر والمراجـع أولا بـأول بمعنـى أن الباحث فور اعتماده على مرجع ما لأول مرة أثناء البحـث ينقـل معلومـات المرجـع إلى الملف الموازي الخاص بقائمة المصادر والمراجع، وهي طريقة توفر الوقت والجهد(ألا يعود الباحث لجمع القائمة من البحث بعد الانتهاء مما يعني وقتـا إضـافيا مضـاعفا ولعمل له مخاطرة فى وقت ضيق قد يـدخل فيـه الباحـث فـى مرحلة توتر وهـو يضـع اللمسات الأخيرة فى البحث) وتؤمن الباحث من نسيان مرجع أو الخطأ فى نقله مـع طول القائمة وكثرة محتوياتها.

الملف الموازي استثمار للتكنولوجيا وإفادة مـن تطبيقاتهـا، هـو ملـف ينمـو نمـوا طبيعيـا فـى زمـن قياسـي، ويجعـل الباحـث يعمـل بعيـدا عـن ضـغوط السـهو والنسـيان، ويمنحـه القدرة على العمل المنظم.

- على غرار هذا الملف يمكن للباحث إنشاء ملفات أخرى موازية لأفكاره البحثيـة أو النتائج المتولدة من البحث أو التوصيات أو مخططات الفصول التالية وغيرها.



(١٢)

الكلمات المفتاحية

عندما تتقدم ببحث لمجلة علمية يكون عليك أن تحدد الكلمات المفاتيح للبحث (كل المجلات العلمية الآن تطلب من الباحث تحديد الكلمات المفتاحية لبحثه)، وهي كلمات ليست عشوائية وليست حلية تزين البحث أو مجرد كلمات ينتقيها الباحث ليستكمل (بريستيج) البحث، وإنما هو ضرورة تفرضها ظروف التطور العلمي وطبيعة اللحظة الراهنة، ففي ظل اتساع مساحات البحث العلمي وتعدد مصادره، واعتماد البحث العلمي على شبكة الإنترنت بوصفها الكتاب الأكبر الذي عرفته البشرية، أصبح من الأهمية بمكان اعتماد طرائق تسهل الوصول إلى مصادر المعرفة والبحث فى غابة من العناوين اتجه العالم إلى اعتماد كلمات مفاتيح، الكلمات الأكثر دلالة على موضوعك، كلمات هي صلب الموضوع ومدار متنه الأساسي، تمنح الآخرين فرصة الوصول إلى بحثك عبر محركات البحث، وتخدم بحثك بنفسك خدمة ما بعد النشر (هي خدمة غائبة عن ساحتنا العلمية والمعرفية).

الكلمات المفتاحية لا تنتمي لمعاجم اللغة بقدر ما تنتمي لمعاجم المصطلحات، والموضوعات ورؤوس الموضوعات، لا تشرح بقدر ما تختزل، ولا تلمح بقدر ما تحسم المعاني والدلالات.

بداية يبدو أن غالبية الباحثين لا يدركون كنه الكلمات المفتاحية أو وظيفتها أو ما تحققه للبحث أو الباحث خاصة أو ما تضيفه للبحث العلمي عامة، فللأسف على غير هدى وبدون مرجعية وفى غياب واضح للمنطق يحدد الباحث الكلمات المفتاحية لبحثه، فتجد من الكلمات مالا علاقة له بالأمر على الإطلاق: مثلا – حقيقة – جدا – علم – سؤال (ضع كلمة جدا فى محرك البحث فلن تدلك على شيء (ستكون النتائج ٥٥٣ مليونا)، ولكن لو وضعت كلمة المفارقة مثلا ستكون النتائج خمسة ملايين وهو فارق شاسع بين الكلمتين).

من أهم شروط الكلمات المفاتيح كونها:

١- مستمدة من البحث وكلما كانت مباشرة كان ذلك أفضل.

٢- مفـردة (كلمـة واحـدة): المجتمـع – السـرد – الأنثروبولوجيـا – الـراوي – الاستعارة، مركبة (من كلمتين): فضاء النص – الدراسات البينية – السارد العليم، وغيرها من مصطلحات دالة على موضوعاتها.

إن سؤالا عليك طرحه على نفسك وأنت تحدد كلمات بحثك المفتاحية: لو أنني مكان باحث يعد بحثا عن الاستعارة في شعر أحمد شوقي مثلا، فعن أي الكلمات المفتاحية سأبحث؟ (للأسف في الألفية الثالثة مازال هناك باحثون يعجزون عن الوصول إلى مادتهم العلمية رغم توافرها على شبكة الإنترنت) (كلام في سرك هناك باحثون يعدون المصطلحات رجس من عمل الغرب).

كثير من الرسائل العلمية تفتقد كتب المصطلحات المتخصصة، أو العامة، وفي مقدمتها كتاب " الكلمات المفاتيح " للناقد ريموند وليامز الصادر (١٩٧٩)، الكتاب ترجمه للعربية: نعيمان عثمان وراجعه الدكتور محمد بريري وصدر في طبعته الأولى عن المشروع القومي للترجمة بالقاهرة (٢٠٠٥)، وفي طبعته الثانية عن المركز الثقافي العربي ببيروت (٢٠٠٧)، والكتاب متاح في طبعتيه ورقيا وإلكترونيا.

الخلاصة:

لا أحد يولد عارفا أو عالما ولكنها المعرفة تراكمية، والعلم اجتهاد وكلاهما لا يتحققان من فراغ أو في ظل مركبات التكاسل، والبحث العلمي يضعنا على أعتاب المعرفة ويعلمنا كيف ننجز وكيف نحقق ما نريد وفق أنظمة لم يعد من الممكن تجاهلها.

لا أحد يعجز الآن عن الوصول إلى المعرفة ولكن القضية هل أنت تريد، بكل يقين أؤكد لك: لو توفرت الإرادة لتحققت المعرفة، مشكلة باحث الألفية الثالثة لا تكمن في كونه لا يستطيع أن يعرف ولكن في كونه لا يريد أن يعرف.

عند متابعة أي رسالة علمية يمكن للباحث نصف الخبير أن يكتشف مشكلات الرسالة، ما يخص الباحث منها أو ما يخص المشرف ومهما حاول الباحث أن يحتمي وراء المشرف أو يرمي المشرف تبعة الضعف على الباحث فإن الأمور مكشوفة تماما، فضعف الأول واضح ومعروف وتهاون الثاني وإهماله مدرك وبين ولا خفاء له ولكن الاثنين يتجاهلان

(١٣)

المراجـــع
(مذكرة توضيحية)

يتساءل البعض عند نوعية المراجع التي يعتمد عليها الباحث: هل يجب عليه الالتزام بمراجع تخص نقطة بحثه، ولا يجوز له الخروج عنها أو تجاوز دائرة التخصص؟. بمعنى أن الباحث فى الرواية ألا يجوز له الاعتماد على مراجع فى الشعر أو فى البلاغة أو فى النحو أو فى علم اللغة أو التاريخ أو الفلسفة؟

يدرك المشتغلون بالبحث العلمي وظيفة المراجع وقيمتها، فى هذا السياق يهمنا منها وظيفتان:

- **توثيقية**: تؤكد وترسخ أطروحات الباحث.
- **إثرائية**: تكشف عن قدرات الباحث وحسن إدارته عملية البحث ومنها إثراء أطروحاته وقدرته على ربط بحثه بالنشاط الإنساني (قيمة كبرى ومستوى أرقى لا يصله إلا المتميزون فى البحث العلمي).

وهو ما يحدد حركة الباحث فى ثلاث دوائر أساسية (الصورة المرفقة):

الأولى: دائرة النقطة البحثية أو منطقة اشتغاله الخاص، وهي محدودة بالجنس الأدبي الذي يشتغل عليه (باحث يعمل فى الشعر يحبس نفسه داخل دائرة الدراسات المعنية بالشعر فقط).

الثانية: دائرة الأجناس الأدبية الأخرى، وفيها يعتمد الباحث على الدراسات المنجزة فى المنطقة الأوسع، منطقة الأجناس الأخرى أو دائرة الأدب بشكل عام (باحث يشتغل فى الشعر يمكنه توظيف المراجع الخاصة بالرواية والسرد والمسرح).

الثالثة: توسيع الباحث دائرة الإفادة من كل العلوم الإنسانية وغيرها (باحث يشتغل فى الشعر يمكنه توظيف مراجع فى التاريخ والجغرافيا والفلك والطب والهندسة وغيرها).

الحقيقة التي تغيب عن البعض (لا أبالغ إذا قلت الغالبية) أن الباحث يمكنه الاعتماد على كل المراجع فى كل العلوم وليس هناك دستور أو قانون أو منطق يحرم ذلك أو يعده نقيصة فى البحث العلمي، فقط على الباحث أن:

- يبدأ اعتماده على المراجع من الأقرب للأبعد وليس العكس، يعني لا يكون اعتماده على مراجع الدائرة الأبعد على حساب الاعتماد على مراجع الدائرة الأقرب.
- يحسن إدارة المرجع مدركا كيفية توظيفه بشكل مناسب وفى موضعه المناسب، بحيث لا يكون زائدا عن الحاجة أو حشوا (يمكنك الاعتماد على مرجع فى الطب لتحليل رواية، أو معلومة فى الكيمياء لتحليل نص شعري).

أعرف أن هناك مشرفين ومناقشين يأخذون على الباحث اعتماده على مراجع خارج التخصص وهو تضييق على الباحث وإغلاق للعقل الإنساني وتقييده عن الانطلاق للاكتشاف وهو من الأمور السلبية التي يجب مراجعتها وإعادة النظر فيها، تحريرا للبحث وإطلاقا لقدرات الباحثين ،وتوسيعا لمفهوم العلوم البينية وتنشيطا للدراسات المعنية بها ومنجزات البحث العلمي فيها، فالكون كل متصل، ومما أفسد البحث العلمي فى ثقافتنا العربية هذا الانغلاق وهذا التضييق غير المبرر والذي لا يتوافق مع طبيعة البحث العلمي غير المحدد بعلم أو فكرة أو مكان أو زمان أو حتى خيال.



(١٤)
الدراسات السابقة

فى الحلقة الثالثة أشرنا إلى أهمية ضبط العنوان وكيف يعد نقطة انطلاق للوصول إلى ثلاثة عناصر أساسية فى البحث:

١- الدراسات السابقة.

٢- المصادر والمراجع.

٣- المخطط.

العنوان مهما طال أو اتسعت مساحته فهو يتضمن عنصرين أساسيين يقوم عليهما البحث:

- النقطة الخاصة: منطقة عمل الباحث وفكرته الأساسية، وهي منطقة لا يشاركه فيها أحد عبر إضافتها للعنصر الثاني.
- النقطة العامة: المجال الأوسع للبحث، ذلك المجال الذي التقط الباحث منه منطقة عمله.

للتوضيح، نقرأ عناوين الرسائل التالية:

- (المدائح النبوية) فى (الشعر المغربي والأندلسي) فى القرن السابع الهجري.
- ظاهرة (التأمل) فى (شعر جماعة الرابطة القلمية)، دراسة وصفية تحليلية.
- بلاغة (التّناص) فى (شعر نزار قبّاني)، دراسة فى المفاهيم والإجراءات.
- (التشبيه) فى (الشعر العربي القديم)، دراسة نظرية وتطبيقية.

ما بين التقويس الأول فى كل عنوان هو منطقة الباحث الخاصة التي يستهدفها فى المجال العام لبحثه (ما بين التقويس الثاني)، فالباحث يتحرك من الخاص إلى العام، المنطقة الخاصة منطقة عمله الذي سيتحقق أو ما سيستحدثه فيما هو متحقق من قبل (المنطقة العامة)، إذن العام لابد أن يكون موجودا ليعمل الباحث فيه عمله، والعام هو ما يشارك الباحث فيه غيره ممن يعملون فى مناطق خاصة أخرى، فالشعر المغربي (البحث الأول من القائمة السابقة) مجال عام مفتوح ومتاح لعمل عشرات الباحثين كل

منهم له منطقته الخاصة، حيث يمكن للباحثين العمل على مناطق خاصة من مثل: البلاغة فى هذا الشعر ـ آخر الصورة ـ الاستعارة ـ الطبيعة ـ المكان ـ الذات.. إلخ، وغيرها من الموضوعات التي يمكن دراستها فى المجال ذاته.

أما منطقة العمل الخاصة فتتبع خصوصيتها من كونها:

- لم تدرس من قبل فى المجال نفسه، وإلا فالباحث عليه ألا يدرسها مادامت مدروسة وتخص باحثا غيره سابقا عليه.
- لن يدرسها أحد بعده مادام هو قد سبق إليها (بالطبع لا يدخل فى هذا المجال دراسة موضوع واحد وفق منهج مختلف).

فإذا درسها أحدهم فى مجال آخر أصبحت من الدراسات السابقة، بمعنى أن الباحث الذي يدرس التأمل فى شعر الرابطة القلمية غير مسبوق بدراسة العنصرين مجتمعين: الخاص (التأمل)، والعام (شعر الرابطة القلمية)، ولكنه مسبوق وملحوق بدراسات أخرى فى شعر الرابطة القلمية مما يجعلها جميعها نوعا من المراجع بالنسبة له، ولكن لم يسبقه أحد بدراسة التأمل فى شعر الرابطة القلمية، ولكن كل الدراسات التي سبقته بدراسة التأمل فى الشعر هي من قبيل الدراسات السابقة عليه لانطلاقها من النقطة نفسها وإن تغير مجالها.

وهو ما يعني مجموعة من الحقائق:

- الدراسات السابقة: كل الدراسات التي انطلقت من نقطتي الخاصة مع تغيير المجال (العام)، فدراسة التأمل عند الديوان، أو دراسته عند شعراء الجاهلية مثلا، أو دراسته عند شوقي، كلها تعني أنها دراسات انطلقت من منطقة عملي لكنها غيرت مجال عملها بحث لا تتطابق مع مجال عملي، وكلها تدخل فى نطاق الدراسات السابقة.
- تحديد الدراسات السابقة ينطلق من الخاص وليس العام خلافا للمراجع التي تتحدد انطلاقا من العام (راجع الحلقة السابقة).
- من الوارد ألا تكون هناك دراسات سابقة للموضوع، ولكن من الصعب ألا توجد مراجع.
- كل الدراسات السابقة مراجع ولكن ليست كل المراجع دراسات سابقة.

(١٥)

المقدمة/ العنوان التفسيري

نعم لا يوجد باحث لا يعرف المقدمة، ولكن نقاطا كثيرة تفتقدها هذه المعرفة: طبيعة المقدمة، موضعها من البحث، ما يجب أن تتضمنه، متى تكتب؟، وكلها مجموعة من المعارف المؤثرة فى صناعة المقدمة وتسهم فى جاهزية البحث.

المقدمة تمنح متلقيها تصورا كاملا عن العمل وتدفعه لمواصلة التلقي، فهي حلقة الوصل بين العنوان والمتن، وهي عنوان مفسر لعنوان البحث، مذكرة تفسيرية كاشفة، مصباح يضعه الباحث فى يد المتلقي، وخارطة تحدد للمتلقي كيف يسير.

المقدمة تعبر عن مستوى الباحث: ثقافته، إلمامه بعمله، إدراكه بمنهجه، معرفته بموقعه ممن سبقه، أين يقف؟ وما علاقته بمن سبقه فى مجال بحثه؟

المقدمة والخاتمة (سنعود لها لاحقا) يمثلان عنصرين خالصين للباحث، يحققان بعض أهم شروطهما:

- منطقة العمل التي لا يستحب للباحث أن يعتمد فيها على المراجع بشكل مباشر، ولا يستعير فيهما كلام الآخرين.
- اختبار أولي للغة الباحث وعلميتها.
- المقدمة دال على خبرات الباحث وما أفاده من البحث وما اكتسبه فى رحلته الطويلة مع البحث.

تتضمن المقدمة عددا من العناصر، من أهمها:

- تقديم مبسط، سطور قليلة دالة عن الموضوع، من شأنها جذب المتلقي وبث قدر من التشويق للتلقي (بعض الباحثين لا يمتلك القدرة على كتابة هذه السطور فيلجأ إلى استعارتها (الاسم العلمي لسرقتها) من أبحاث أخرى).
- أهداف البحث.
- أسباب دراسته.
- المنهج المعتمد.

- الدراسات السابقة.
- الصعوبات التي واجهت الباحث، ولا يجب أن يكتفي الباحث بذكر الصعاب ولكن عليه أن ينقل الخبرة للآخرين بذكره كيفية التغلب على ما واجهه من صعاب.
- المخطط الذي سار عليه البحث، الفصول والمباحث: عناوينها والتعريف بها وتسلسلها.
- بعض الرموز والمفاتيح التي يستخدمها الباحث بوصفها رموزا اصطلاحية أو إجرائية من حقه الاعتماد عليها.

اعتقادان يجانبهما الصواب فى شأن المقدمة:

١- أن المقدمة تكتب قبل البدء فى البحث، وهو تصرف غير منطقي بالمرة، فكيف يقدم الباحث مالم ينجزه بعد، إن كتابة المقدمة قبل البدء فى الكتابة يشبه أنك تقدم لضيفك الطعام قبل إعداده (طبخه)، المقدمة آخر ما يُكتب وأول ما يُقرأ (آخر ما يكتب الباحث وأول ما يقرأ المتلقي)، فالمقدمة ليست خطة البحث فالخطة تعتمد على تخيل ما سيكون عليه البحث، هي افتراض أكثر منها واقع متحقق، عكس المقدمة فهي واقع يعتمد على الحقائق لا تقوم على التخيل بقدر ما تقوم على واقع.

٢- أن المقدمة عنصر قليل الأهمية مقارنة بالبحث، وهو ما يجعل بعض الباحثين يتعامل مع المقدمة بوصفها تحصيلا حاصلا، يكتبها وهو فاقد للحماس أو فاقد للطاقة، وهناك نوع – قليل لكنه موجود – من الباحثين ينقل المقدمة هيكلا وأحيانا قدرا كبيرا من لغتها.

(١٦)

المرجـع الوسيـط

تعد المراجع نفسها قناة اتصال بغيرها من المراجع، والباحث الموهوب هو ذلك الذي يواصل رحلته مع المراجع متنقلا بينها متفحصا ومدققا وصولا إلى ما يعمل على تعميق بحثه.

والمراجع تدلنا إلى نوعين من المراجع:

١- نوع متاح تمكن الباحث من التوصل إليه ورقيا أو إلكترونيا.

٢- نوع غير متاح لسببين:

أولا: النُدرة، مرجع نادر غير متاح، طبع فى بلد آخر، أو طبع طبعة واحدة قديمة مثلا وليس متاحا ورقيا أو إلكترونيا.

ثانيا: اللغة الأخرى التي لا يجيدها الباحث.

المراجع تضعنا أمام نوعين من العبارات:

- نوع ينتمي لكتب نستطيع التوصل إليها فنعود لها ونتعامل معها مباشرة ويكون للمرجع الوسيط فضل تعريفنا بالمرجع الآخر، فى هذه الحالة نتعامل مع المرجع الآخر مباشرة ونوثق منه دون ذكر المرجع الوسيط (فى هذه الحالة يكون المرجع الوسيط وسيطا مجازيا لأنه يتوارى فور توصلنا للمرجع الآخر).
- نوع ينتمي لمؤلفات نادرة لا يمكننا التوصل إليها مما يجعلنا مضطرين للاقتباس عبره، وهو ما يباح علميا شريطة التوثيق المزدوج: إثبات بيانات المرجع الأصلي كاملة، ثم نضيف (نقلا عن) ونثبت بيانات المرجع الحاضن، أي المرجع الذي نقلنا عنه عبارة المرجع الأصلي.

مثال: فى كتابه "الواقعية فى الرواية العربية" أورد الدكتور محمد حسن عبد الله هذه العبارة لتوفيق الحكيم من كتابه "الرباط المقدس": "إن الكاتب قد يتخيل الحوادث ويلفق الوقائع، ولكن المشاعر والإحساسات لا تخترع ولا تلفق، فهي لابد أن تنبع من الصدق القراح، وتصدر عن نفس تشعر بها حقيقة، وتنبعث عن قلب ينبض بها حية ويحسها فعلا طبيعية كأنها جزء من كيانه الداخلي".

فلو افترضنا أنني أحتاج لهذه العبارة وكتاب توفيق الحكيم نادر مثلا وليس متاحا، عندها يمكنني الاستشهاد بالعبارة وعند التوثيق:

توفيق الحكيم: الرباط المقدس، مكتبة الآداب، القاهرة ١٩٤٤، ص ٢٣٨، نقلا عن: د. محمد حسن عبد الله: الواقعية فى الرواية العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٥، ص ٣٠٦.

وما ينطبق على المرجع الوسيط العربي ينطبق على المرجع الوسيط باللغة غير العربية (موضوع الحلقة القادمة بمشيئة الله).

هذا والاعتماد على المرجع الوسيط يكون فى أضيق الحدود فلا يحبذ تكرار الاعتماد عليه مما يعد سلبيا فى حق الباحث.



(١٧)

المراجع الأجنبية

المراجع الأجنبية، تلك المكتوبة بغير لغة البحث، والحاجة لها واردة فى كل البحوث فى العلوم الإنسانية، والباحث يتعامل معها عبر وضعيتين:

- مترجمة للغة البحث.
- غير مترجمة.

فى الحالة الأولى يتم التوثيق منها على الشاكلة المعروفة مع إضافة اسم المترجم (الكاتب: عنوان الكتاب كاملا، المترجم، الناشر، المدينة، السنة، رقم الصفحة).

فى الحالة الثانية يكون المرجع غير مترجم ولكن الباحث يكون فى وضعية من وضعيتين يختلف معهما طريقة التعامل مع المرجع غير المترجم:

الأولى: الباحث يعرف لغة المرجع ويمكنه فهمها والتعامل معها، له أن يأخذ منها ما يناسبه شريطة أن يترجمه للغة البحث، موضوعا بين علامتي التنصيص الدالتين على الاقتباس، ولكن التوثيق فى الهامش يكون بلغة المرجع، فيدرج كل بيانات المرجع بلغته دون ترجمتها للغة البحث.

الثانية: الباحث لا علاقة له بلغة المرجع ولكنه وجد من ترجم هذا المقتبس فى دراسة أخرى، هنا ينطبق عليه ما ينطبق على المرجع الوسيط حيث يكون التوثيق مزدوجا، توثيق المرجع الأجنبي كما جاء فى المرجع الوسيط ثم (نقلا عن) وتذكر بيانات المرجع الوسيط، على سبيل المثال:

فى كتابه "تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم" أورد الدكتور محمد بوعزة: يميز "جينيت" بين ثلاثة أنواع من الخطاب" ويطرحها موثقا طرحه فى الهامش بلغة المرجع الجينيتي، فإذا أراد باحث أن يستعير طرح جينيت يكون توثيقه على النحو التالي:

- Gerard Genette:Figures111,Edilion du Seuils, Paris.1972,P:191

نقلا عن: د. محمد بوعزة: تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ٢٠١٠، ط١، ص ١١٨. وهكذا..

(١٨)

المراجع الإلكترونية: (١ من ٣)

فى الألفية الثالثة، وما اتسمت به من تقدم تكنولوجي أصبح عنوانا للعصر، لم يعد الكتاب الورقي وسيلة وحيدة للمعرفة، ومصدرا فريدا لها، وإنما فرضت التكنولوجيا وجودها منتجة وسائل أخرى، ليس بمقدور الباحث الجديد أن يتجاهلها أو أن يتغافل عن وجودها ،وليس من حق أي أستاذ مشرف أو مناقش أن يحجر على الباحث الاعتماد عليها، والذين انشغلوا برفض الأمر لو أنهم شغلوا أنفسهم بتقنينه ووضع المعايير العلمية له لكان البحث العلمي عربيا قد قطع أشواطا فى رحلة تقدمه.

لقد أتاحت التكنولوجيا أشكالا متنوعة من المصادر، من أهمها:

- شبكة الإنترنت بوصفها الكتاب الأكبر للبشرية.
- الموسوعات الإلكترونية.
- التطبيقات والبرمجيات المتنوعة.

مع انتشار الإنترنت نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي، رفض الكثير من الأكاديميين العرب فى مجال العلوم الإنسانية خاصة (من أساتذة مشرفين ومناقشين) رفضوا اعتماد الباحثين الجدد على شبكة الإنترنت مطلقا، كما رفضوا نشر أبحاثهم على الشبكة، وهو رفض ليس علميا ولا يقوم على أسس من العلم (أعلنها أحدهم صراحة إنه لا ينشر أبحاثه أو أجزاء منها على الإنترنت خوف سرقتها)، ولذلك أسباب لا يغني ذكرها عن الإقرار بأن الزمن غير نظرة بعضهم إجبارا وليس اقتناعا، ومن هذه الأسباب:

- رسوخ مبدأ الإنسان عدو ما يجهل.
- اعتقاد راسخ فى الثقافة العربية يسيطر على الكثير: الكمبيوتر وتطبيقاته، التلفزيون وبرامجه، الموبايل وتطبيقاته جميعها إنما هي أدوات للترفيه، وهي نظرة تسيطر على عقول البعض حتى يومنا هذا.
- اعتقاد البعض أن الشبكة تمنح الفرصة الأكبر للسرقة (كأن السرقة ما وجدت إلا الآن) وفاتهم أن سهولة السرقة يقابله سهولة الكشف (لا يصعب علينا كشف

سارق من الإنترنت وهو ما قد يستحيل كشفه من سرقة الكتب الورقية على الأقل نحتاج لزمن تلعب فيه المصادفة دورها للكشف عن السرقة من كتاب ورقي، منذ يومين توصلت لسرقة بحث في أقل من خمس دقائق).

- عدم قابلية البعض للتعلم (كثير من أبناء جيلي من الأساتذة لم يلزموا أنفسهم بتعلم مهارات البحث العلمي رغم توفر آلاف الطرائق لذلك).
- أما آخر الأسباب وأغربها اعتقاد البعض أن الإنترنت يسهل عملية البحث العلمي وأن الباحث الجاد لابد أن يتعب أكثر، مثلا لو كان الكتاب متاحا على الشبكة فمن الخطأ التعامل معه، وإنما الصواب أن تذهب للبحث عنه في أصقاع الأرض، وهم نوعية ترغب (رغبة مرضية) في تصدير تجربتها المريرة في زمن لن يعود (بعضهم يحفظ جملة يكررها بصور مختلفة على مسامع تلاميذهم: لازم تتعبوا كما تعبنا).

المواقع الإلكترونية ليست واحدة، وعلينا التفرقة بين أنواعها مما يكون له تأثيره في التعامل معها علميا، المواقع ثلاثة أنواع أساسية:

- المواقع الرسمية للمؤسسات الثقافية والعلمية.
- مواقع دور النشر والمكتبات العامة.
- المواقع الشخصية والمدونات، وصفحات التواصل الاجتماعي الخاصة بالأفراد.

وجميعها مصدر موثوق يمكن للباحث التعامل معها دون شروط باستثناء النوع الأخير (المواقع والصفحات الشخصية) الذي يخضع لعدد من الاشتراطات، من أهمها:

- أن تكون صفحة رسمية لصاحبها.
- أن تكون لصاحبها حيثية (باحث – ناقد – مفكر – أديب – إعلامي – سياسي).
- أن يثبت إدارته للصفحة بنفسه أو إشرافه عليها.
- أن يغلب على الصفحة طابع الجدية في التناول والعمق في الطرح وهي مسألة متروكة للباحث يكتشفها وفق خبراته أو مكاشفته لما تطرحه الصفحة مخضعا إياه للفحص والنقد والتحليل).

وأما المادة المتاحة على المواقع فهي واحدة من اثنتين:

- مادة معدة مسبقا ومنشورة ورقيا ويبثها صاحبها إلكترونيا (الكتب – الدراسات – المقالات) في عملية إعادة نشر مقننة.

- مادة منشورة إلكترونيا ولم تنشر ورقيا، ولكنها تخضع لمعايير البحث العلمي، وهناك مؤسسات علمية تصدر مجلات إلكترونية فقط وتنشر الأبحاث بعد خضوعها للتحكيم العلمي (بوابة المجلات الجزائرية مثالا).

فى النوع الأول يكون التوثيق مشابها تماما للتوثيق من المرجع الورقي (نحن نتعامل مع صورة مطابقة للأصل الورقي).

فى النوع الثاني (بحث أو مقالة على الإنترنت)، يكون التوثيق كما يلي:

اسم الكاتب: عنوان المقالة - اسم الموقع - رابط المقال، تاريخ التعامل مع الموقع (الساعة والتاريخ)، حيث اسم الموقع بمثابة الناشر، والرابط يقوم مقام الصفحة فى الكتاب الورقي، والتاريخ والتوقيت يمثلان علامة توثيقية لها دورها فى تجنب زوال الموقع لأسباب فنية.

المراجع الإلكترونية: (٢ من ٣).

الموسوعات:

مما استحدثه العصر الموسوعات الإلكترونية، بالطبع لا يخفى ما تحققه من توفير للوقت والجهد، وما يمكنك أن تحصله فى شهور توفره لك الموسوعات الإلكترونية فى ثوان معدودة، وخاصة عملية البحث عن معلومة أو مادة علمية يعرف جميع الباحثين قديما وحديثا التحدي الأكبر فى البحث هي الحصول على المادة العلمية، وهي العملية التي كان الباحث قديما يفرد لها معظم وقت البحث وكان الباحثون قبل الإنترنت (أو الذين يعملون الآن دون الاعتماد عليه) يعدون الانتهاء من جمع المادة يعني الانتهاء تقريبا من البحث، فالانتهاء من جمع المادة يعني التوقف عن التنقل بين المكتبات والسفر إلى مكتبات بعيدة لا سبيل إلى محتوياتها إلا بزيارتها.

الآن تسهم الموسوعات الإلكترونية إلى جانب الشبكة العنكبوتية فى توفير المادة العلمية كلها أو القدر الأكبر منها، وإليك بعض الحقائق المعتمدة على تجارب حققت ما استهدفته اعتمادا على التكنولوجيا:

- أمس تواصل معي أحد الباحثين معربا عن قلقه لعدم وجود مراجع فى موضوع أقدم على دراسته، بعد نصف ساعة كان لديه ٧٥ مرجعا فى الموضوع.

- عام ٢٠٠٤ كان علي الانتهاء من دراسة فى معارضات نونية ابن زيدون، والمساحة الزمنية لا تزيد عن شهر بالطبع كان التحدي الأكبر كيف أصل لقصائد عارضت النونية لا أعرف عددها ولا أين أجدها، لك أن تتخيل رحلة تحتاج إلى شهور للبحث، فى ظل وجود الموسوعة الشعرية الإلكترونية تمكنت من من التوصل إلى ٢٤ قصيدة فى يومين وإنجاز دراسة " استواء الضوء وانكساره، دراسة فى معارضات نونية ابن زيدون"، والتجربة التي كانت الأولى لم تكن الأخيرة.
- بالاعتماد على الموسوعات والمكتبات الإلكترونية وفى مقدمتها: الموسوعة الشعرية، والمكتبة الشاملة يمكن إنجاز عشرات الأبحاث فى زمن قياسي.
- أكثر مما أتعجب له ولا أجد له تفسيرا أن مئات الباحثين العرب المتخصصين فى دراسة الآداب عامة، والأدب العربي خاصة لا معرفة لهم بالموسوعة الصادرة مطلع الألفية عن المجمع الثقافي بأبي ظبي وتعد – من وجهة نظري- العمل الثقافي الإلكتروني الأهم فى مطلع الألفية الثالثة وما قبلها، وعلى الرغم من توفرها وإمكانياتها الكبرى فإنها غير مستثمرة من قبل الباحثين العرب (فى حلقة لاحقة سأقدم شرحا تعريفيا بالموسوعة وكيفية الإفادة منها).
- تمنحك المكتبة الشاملة على سبيل المثال آلاف المجلدات التراثية والحديثة التي توفر للباحث مراجع كاملة لمئات الأبحاث العلمية، ولكن استثمارها مازال دون المستوى.
- إذا اعتقد البعض (من يفضلون الطرائق التقليدية) أن الموسوعات ليست للقراءة فإن خاصية البحث والوصول للمصادر فى زمن قياسي ليس هو الميزة الوحيدة إلى جانب عشرات المميزات.
- الباحث فى الألفية الثالثة ليس فى حاجة إلا إلى جهاز كمبيوتر متصل بالإنترنت ليقدم للبشرية ما يتقدم بها، وللبحث العلمي ما يثريه، ولكن.....!

المراجــع الإلكترونية : (٣ من ٣).

الموسوعة الشعرية:

من أهم الموسوعات الإلكترونية العربية، من إصدار المجمع الثقافي بأبي ظبي صدرت مطلع الألفية الثالثة.

- تضم مليوني بيت من الشعر، وعشرة معاجم، ومائة وخمسة وستين كتابا من كتب التراث من بينها كتاب الأغاني (يقع فى ١٥٩٦٤ صفحة)

- تضم النتاج الشعري العربي من الجاهلية حتى منتصف الخمسينيات.
- أهم ما تقدمه الموسوعة للباحث:
- البحث عن نتاج أي شاعر بدلالة بيت واحد أو كلمة واحدة من شعره، يكفي أن تتذكر كلمة أو بيت أو شطر من بيت لتصل لنتاج الشاعر بكامله.
- البحث فى النتاج الشعري، والمكتبة والمعاجم العشرة.
- نسخ القصيدة مضبوطة بالشكل فلا يحتاج الباحث المشتغل بالشعر العربي فى هذه المرحلة أن يكتب بيتا واحدا من الشعر أو يجتهد فى ضبطه بالشكل.
- نسخ مقاطع استشهادية من كتب الموسوعة.
- بطاقات تعريف بالشعراء.
- إحصائيات حول بحور الشعر، تكرار كلمة فى نتاج شاعر أو نتاج عصر.

العمل على الموسوعة لا يتطلب مهارات خاصة كل ما عليك هو التعرف على كيفية عملها عبر الفيديو المتاح فى الرابط التالي:

https://www.youtube.com/watch?v=GBxonpNrqpQ&t=185s

https://www.youtube.com/watch?v=lrdJAXX_lEQ

ولأن أهم ما يعتمد عليه الباحث التوصل للأبيات والقصائد ونسخها فهناك طريقتان لتوثيق النصوص الشعرية:

- أن تستدل على الأبيات من الموسوعة وتنسخها فى البحث وتوثيق من النسخة الورقية لديوان الشاعر (أفضل هذه الطريقة فى بعض الأحيان).
- أن يكون التوثيق بالإشارة إلى الموسوعة مباشرة والتعامل معها بوصفها مرجعا فيكون التوثيق كما يلي:

الموسوعة الشعرية – المجمع الثقافي – أبو ظبي (يمكن إدراج رابط الموسوعة)

رابط تحميل الموسوعة:

http://www.mediafire.com/file/0ez3mhvn694t32c

(تجدر الإشارة أن هناك إصدارا أحدث ولكنه ليس متداولا يمكن الحديث عنه فى حلقة لاحقة)



الاعتماد على مرجع جماعي التأليف

حسب المؤلف يتعامل الباحث مع نوعين من المراجع: فردي التأليف (التوثيق منه معلوم للجميع)، جماعي التأليف، أي شارك فى تأليفه عدد من المؤلفين (اثنان أو أكثر)، ومثل هذا النوع من المراجع تخضع لوضعيتين حسب طبيعة التأليف:

- **تشارك الفريق**: وهو التأليف الذي لا يتحدد فيه مساحة عمل كل مؤلف فيأتي الكتاب كتلة واحدة غير محددة منطقة عمل كل واحد فى الفريق، مثلا: كتاب "أساسيات علم الحيوان"، شارك فى تأليفه خمسة باحثين: د. محمد إسماعيل محمد، د. حلمي بشاي، د. يحيي العاصي، ود. منى شرقاوي، ود. تغريد عبد الرحمن، عند التوثيق منه ندرج اسم أحد المؤلفين متبوعا بكلمة "وآخرون" (غالبا يكون الاسم المذكور أولا لاعتبارات علمية، مع جواز ذكر الثاني أو الثالث) فيكون التوثيق على النحو التالي مثلا:

د. محمد إسماعيل محمد وآخرون: أساسيات علم الحيوان – دار الفكر العربي – القاهرة ٢٠٠٢.

- **تشارك الأفراد**: وهو الكتاب الذي يتشارك فيه مجموعة من المؤلفين مع تحديد منطقة عمل كل فرد حتى وإن كان الموضوع واحدا، وهذا النوع بدوره له وضعيتان:

١- كتاب جماعي حول موضوع واحد: مثل كتاب: اتجاهات الرواية العربية المعاصرة، تحرير وتقديم د. نجم الدين كاظم، وشارك فى التأليف: د. إبراهيم السعافين، د. عبد الله السلامي، د. عبد المالك أشهبون، د. محمد صابر عبيد، مصطفى الضبع، فى حال الاعتماد على واحد من فصول الكتاب يكون التوثيق:

اسم الباحث: عنوان الفصل، ضمن كتاب " اتجاهات الرواية العربية المعاصرة " تحرير وتقديم: د. نجم الدين كاظم، مع ذكر بقية معلومات التوثيق.

فإن لم يكن هناك محرر للكتاب يشار ذلك بالقول: مجموعة باحثين بدلا من اسم المحرر.

٢- كتاب يجمع أعمال مؤتمر ما أو ندوة ما، وهو ما يعني أننا نعتمد على دراسة من دراسات المؤتمر، وفي هذه الحالة يكون التوثيق على النحو التالي:

الباحث: عنوان دراسته، ضمن أعمال مؤتمر (ذكر عنوان المؤتمر كاملا) - مكان انعقاد المؤتمر - تاريخ الانعقاد، فإذا كان الكتاب نشر متزامنا مع المؤتمر لا يذكر تاريخ نشر حيث تاريخ النص لا يختلف عن تاريخ الانعقاد، وفي حال اختلاف التاريخين يشار إلى سنة النشر، والناشر إذا كانت المؤسسة قد أسندت النشر لدار نشر أخرى كأن تسند الجامعة نشر مؤتمر لها إلى دار نشر خارج الجامعة، مثال على ذلك:

- **مصطفى الضبع: سلطة النص البصري** - المؤتمر الدولي الثالث "الكتابة والسلطة" - جامعة مولاي إسماعيل - مكناس ١٢- ١٤ مارس ٢٠١٤ - دار كنوز المعرفة - عمان.
- **مصطفى الضبع: النكتة أسطورة العصر الحديث** - المؤتمر الدولي السابع للجمعية المصرية للنقد الأدبي "جماليات الكتابة الجديدة" - القاهرة ٢٩- ٣١ يناير ٢٠١٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ٢٠١٨.



(١٩)
إدارة المعــلومــات

خـلال رحلـة البحـث، ومعايشـة الموضـوع والمراجـع والأفكـار، تتجمـع لـدى الباحـث كميات كبرى من المعلومات والأفكار عن موضوعه أو قريبا منه أو خارجه، ونتيجة طبيعية للرحلة فمن المنطقي أن يكون فائض المعلومات غالبا على نقصها (الباحث الجيد هو الذي يكون ما تجمع لديه من معلومات أكبر مما يحتاجه البحث) مما يجعل الباحث فى حاجة لمهارة إدارة المعلومات.

والمعلومات فى هذا الجانب نوعان أساسيان:

١- **نوع يخص المراجع**، يتصل بعناوين المراجع والمصادر وناشريها وكيفية الحصول عليها، والمكتبات العامة التي تحتويها بوصفها قاعدة بيانات لازمة للباحث ومعرفة مطالب بنقلها للآخرين (يوما ما ستكون فى حاجة لمرجع، وسيكون عليك أن تدل الآخرين على مراجع سبقتهم إلى معرفتها).

أثناء عملي فى الماجستير بداية التسعينيات (١٩٩١- ١٩٩٥) بدأت إنشاء قاعدة بيانات خاصة بي أو لنقل خارطة لتذكر مكان المراجع، كنت قد سجلت اشتراكا فى خمس مكتبات بالقاهرة: مكتبة حلوان العامة – مكتبة جاردن سيتي العامة – مكتبة دار الكتب بباب الخلق – مكتبة العباسية – مكتبة الجامعة الأمريكية، بالإضافة لمكتبة جامعة عين شمس، ومكتبة دار الكتب والوثائق القومية ومكتبة جامعة القاهرة، عملا بقاعدة أن المكتبات يكمل بعضها بعضا والمرجع الذي تفتقده هناك يمكن أن تجده هناك، زيارتي الأولى للمكتبة تكون استكشافية، محاولة الإحاطة بكل ما فى المكتبة من مراجع ، مطالعة قاعدة البيانات أو تفحص الأرفف، مطالعة الأرفف والاكتشاف متعة فى حد ذاتها كما أنها تحقق نوعا من الذاكرة البصرية (دائما هناك كتاب أو كتب تتذكر تفاصيل غلافها اللون خاصة)، دائما معي الأجندة الصغيرة ولكل مكتبة قسم فيها أسجل فيه المراجع التي قد أحتاجها يوما فى التخصص، تسهل لي معرفة مكان الكتاب عند الحاجة إليه، بالطبع يمكن للباحث الآن الاعتماد على طرائق متنوعة لإنشاء قواعد البيانات الخاصة به (هناك الكثير من الأفكار فى هذا المجال).

٢- **نوع داخل البحث،** يخص البحث تماما ويمثل عموده الفقري، بالطبع يعرف كل باحث المعلومات اللازمة لبحثه، لذا لست معنيا بمقتضيات البحث من معلومات، ولكن ما يشغلني هو ما يعتقد الباحث أنه فائض معلومات بالنسبة له ولبحثه، من ذلك مادة غزيرة تجمعت لدى البحث حينما يشتغل على مشروع كاتب واحد أو معلومات تخص الأعلام والوقائع والأحداث الدالة، مما يكون له قيمته لاحقا، فالباحث الذي يشتغل على مشروع كاتب الآن تتوفر لديه معلومات لن تكون متوفرة فى زمن لاحق، ومعلومة واحدة قد ترد بشكل عابر فى سياق كتاب قد تفتح بابا لباحث وقد لا تقدر بثمن فى زمن لاحق، لذا أتعجب من ناقد أو باحث يكتب عن مبدع دون أن يعرف به (من أكثر ما يسوء أن أجد كاتبا يضع قائمة مؤلفاته دون الإشارة لسنة النشر أو الناشر وغيرها من معلومات ببليوجرافية هو مصدرها الأول والأوثق)، ومن أكبر خطايا الباحث أن يسجل معلومات مصادره من الأعمال الإبداعية دون معلوماتها التوثيقية.

فى كثير من الأحيان يشتغل باحث على مشروع شاعر ويمده الشاعر أو أسرته بكل الوثائق والملفات، ولكنه يهمل ذلك كله ولا يقدم على إنشاء ببليوجرافيا لمادة متوفرة عنده بالفعل أو ملاحق للدراسة تتضمن نماذج خطية مثلا أو أغلفة دواوين أو وثائق تتعلق بالشاعر ومشروعه يكون عمله هو المصدر الوحيد عنها، إنها طاقة معلوماتية مهدرة يرتكب الباحثون خطيئة إهدارها.



(٢٠)

التحكيم العلمي

(في العلوم الإنسانية خاصة)

المحكم شريك الباحث والمانح الأول للبحث مشروعيته العلمية، والتحكيم ليس مجرد قراءة للبحث، والمحكم ليس مجرد مراجع للغة أو باحث عن أخطاء أسلوبية وان كان هذا داخلا فى عمله.

التحكيم عملية لها نواتجها العائدة على عدد من الأطراف، وكل بحث علمي يمثل إضافة لـ: الباحث، المحكم، أهل التخصص، جمهور القراء.

- **الباحث**: تنمية مهاراته واكتسابه الخبرات لتطوير عمله.
- **المحكم**: خبرات التحكيم – توسيع الأفق – اكتشاف الأفكار – تنمية السيرة الذاتية.
- **أهل التخصص**: اكتشاف الأخطاء ومواطن الضعف لتلافيها مستقبلا.
- **جمهور القراء**: التعامل مع وثيقة علمية محكمة هي مصدر للثقة.

والتحكيم العلمي يحقق عددا من النتائج الخاصة بالبحث العلمي نفسه:

- **تقويم وتقييم (البحث المحكم).**
- **تطوير (البحث العلمي) والارتقاء به.**
- **تخليص (البحث العلمي) من نقاط الضعف.**
- **صناعة الباحثين وفق معطيات العصر.**
- **منح الدرجات العلمية وفق معايير وضوابط.**

التحكيم العلمي ثلاثة أنواع:

- تحكيم الرسائل العلمية (الماجستير ـ الدكتوراه).
- تحكيم البحث العلمي المخطوط إجازة للنشر.
- تحكيم المنشور أو المقبول للنشر للترقية.

وللتحكيم ضوابطه وأخلاقياته:

١- تحكيم البحث وليس محاكمة الباحث.

٢- احترام جهود الآخرين.

٣- الموضوعية والاحترافية.

٤- الحفاظ على السرية.

٥- تجنب التأثير على المحكمين الآخرين.

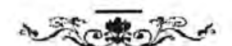
٦- النزاهة والحيدة.

٧- الشجاعة فى طرح الإيجابيات والسلبيات.

٨- اعتماد لغة علمية بعيدة عن القدح والتجريح.

وكما أن لكل تحكيم أهدافه فلكل تحكيم آلياته وخبراته، فى تحكيم الرسائل أنت إزاء باحث مبتدئ (باحث الماجستير)، أو باحث متمكن، ممتلك بعض الخبرات السابقة (باحث الدكتوراه).

فى تحكيم الأبحاث العلمية أنت إزاء باحث خبير (افتراضا) أنجز على الأقل الماجستير والدكتوراه وله عدد من الأبحاث العلمية المحكمة أو المقدمة للتحكيم، وما نقبله من باحث الماجستير لا نتبله من باحث الدكتوراه، ومالا نقبله من الاثنين بالضرورة لا يمكن قبوله من المتقدم للنشر العلمي أو للترقية.



(٢١)

دوائر المسؤولية فى التحكيم العلمي

إذا وجدت رسالة علمية مليئة بالأخطاء (أيا ما كان نوعها) فى مكتبة إحدى الجامعات فإنها ليست مسؤولية الباحث وحده (أقول الأخطاء وليس ضعف المستوى فهذا له شأن آخر)، وإنما هي مسؤولية أربع دوائر (فنية) تمر بها الرسالة العلمية:

- **دائرة الباحث:** وهي دائرة منفتحة من حق الباحث فيها الإفادة من كل المصادر المعرفية (المكتبات- الباحثين المناظرين – الأساتذة والخبراء) مكتسبا من الخبرات ما يجعله قادرا على تقديم بحث علمي جديد بالاحترام (كثير من الباحثين ينغلقون على أنفسهم فلا يعول على بحوثهم)، والباحث ملزم بتصويب الأخطاء فى ثلاث حالات: عند مراجعته للرسالة بعد إنجازها – عند إشارة المشرف لها- عند إشارة لجنة المناقشة لها.
- **دائرة المشرف:** كما أن دوره التوجيه فهو ملزم بالتقويم وكشف مناطق الضعف وتنمية مهارات طلابه، وأن يفتح أمامهم المجال للإفادة من كل ممكناته (توجيههم لحضور المناقشات العلمية – إمدادهم بالمراجع – توجيههم للإفادة من الأساتذة الآخرين من أهل التخصص – نقل خبراته العلمية والمعرفية إليهم)، وقبل كل ذلك ويعده هو مطالب بأن يكون إنسانا بكل ما تعنيه كلمة إنسانية من معنى وهي الخاصية التي تسهل له القيام بكل الأدوار المشار إليها.
- **دائرة المناقشة:** دائرة تستهدف تحقيق هدفين أساسيين: تقويم البحث وتقييمه – إفادة الباحث وفتح آفاقه المعرفية والعلمية، والمناقشون أنواع لا حصر لها، ومنهم:

١- مناقش يقرأ بجدية ويضيف للبحث والباحث واللجنة والحاضرين وهم قلة الآن وفى الغالب هذا النوع متواضع ويفسح فى يقينه مساحة يكون فيها حريصا على التعلم وأستاذيته لا تقف حائلا دون تعلمه المستمر من كل الجلسات العلمية.

٢- مناقش ينصب اهتمامه على الجوانب الشكلية وخاصة الأخطاء التحريرية ولا يضيف شيئا أكثر من معرفة الحاضرين على تنوع تخصصاتهم.

٣- مناقش يستعرض عضلاته الفكرية ولا يضيف شيئا مطلقا، فقط هو يرى أنه عالم كبير ليس فى حاجة للتعلم.

٤- مناقش يأتي إلى المناقشة بوصفها حربا يختصم فيها الباحث أو المشرف أو هما معا.

٥- مناقش لا علاقة له بالتخصص يعتمد على معلومات فات أوانها ومنطقة عمله فائت العلم وغابر المعرفة (من هؤلاء المناقش لرسالة فى الرواية ولم يقرأ رواية فى حياته، والمناقش لرسالة فى المسرح ولم يقرأ مسرحية، وهكذا.

٦- مناقش لم يقرأ الرسالة مطلقا وهو أكثر هؤلاء كلاما إذ ينطلق إلى كل العلوم أو كل جوانب العلم دون أن يقول شيئا فى الرسالة أو موضوعها.

٧- مناقش يرى أن العلم توقف عنده وأنه جاء بما لم يأته الأوائل وهو على يقين أن الباحث (ومشرفه أحيانا والحاضرين كذلك) عيال عليه فى العلم لذا لا يرى فى الرسالة أي مساحة من التميز مهما كانت جدية الباحث.

بالطبع يمكنك بسهولة معرفة توجه كل نوع ومساحة تدقيق كل نوع

- **دائرة القسم العلمي**: تنحصر مسؤوليته فى متابعة مراجعة الباحث لتعديلات لجنة المناقشة وإلزام الباحث ومشرفه بإجراء التصويبات والتعديلات.

ولأنها دوائر فنية فإنها تكاد تكون بمثابة الفلتر متعدد المراحل، وكل منها يتحمل وزرا ويتكفل بجانب من المسؤولية، وخاصة الأطراف الأقوى المتوالية، فالمشرف أقوى من الباحث ولجنة المناقشة أقوى من المشرف والقسم العلمي سلطاته أوسع ومسؤوليته تبدأ قبل المناقشة باختيار اللجنة وبعدها بمتابعة التعديلات وألا يتساهل فى منح الدرجة قبل إجراء ما انتهت إليه لجنة المناقشة.

يمارس المحكم العلمي دوره وفق وضعيتين أساسيتين:

١- **التحكيم العلني**: فى مناقشة الرسائل العلمية العلنية، والعلنية هنا قد تكون دافعا للتجويد ومحاولة المحكم الإعلان عن خبراته (وهذا من حقه مالم يكن مغاليا فى ذلك على حساب الموضوعية)، إضافة إلى الدخول فى مساحة من المنافسة بين المحكمين (المنافسة هنا مقبولة ومطلوبة لصالح كل الأطراف).

٢- **التحكيم السري**: فى ثلاث حالات:

- تحكيم الأبحاث المقدمة للنشر العلمي فى المجلات العلمية المحكمة.
- تحكيم الأوراق العلمية المقدمة للمؤتمرات العلمية.

- تحكيم الأبحاث المقدمة للترقية.

والحالات فى ثلاثيتها تضع المحكم فى واحدة من وضعيتين:

- التحكيم قبل النشر.
- التحكيم بعد النشر.

ولكل منهما طريقته المختلفة للتحكيم، ومن العبث أن يتعامل المحكم معهما بطريقة واحدة أو بأهداف متماثلة.

أولا: التحكيم قبل النشر: تحكيم سري تتسع فيه مساحة الحرية المتاحة للمحكم للتقويم والتقييم والإضافة والتعديل والتوجيه، والإضافة هنا تكون ضرورة ومتطلبا من متطلبات التحكيم، إضافة ملاحظات حول اللغة والمنهج والأسلوب والنتائج والمراجع والمصادر وغيرها من مكونات البحث، فوضعية المحكم بوصفه متخصصا وخبيرا فى مجال البحث تجعل الإضافة مطلبا منطقيا.

والسرية (قد) تكون مساحة لتجاوز الدور وموضوعيته وقد تكون بابا للتقصير الذي يتجلى عند النشر، ويمكن إدراكه بسهولة فور قراءتك بحثا منشورا تتجلى فيه مظاهر ضعف التحكيم ومن أبرزها:

- كثرة الأخطاء اللغوية.
- الأخطاء العلمية.
- غياب المنهج العلمي.
- غياب التوثيق العلمي.
- افتقاد البحث للأمانة العلمية.

وهو ما يجعل المحكم قبل النشر مطالبا بمراعاة هذه المظاهر ومن أهمها وضع قائمة بالأخطاء اللغوية، واستثمار الأدوات العصرية وفى مقدمتها برامج الانتحال.

إن أسئلة كبرى تطرحها وقائع كارثية، وتكاد تتكون ظواهر يعاني منها البحث العلمي فى كثير من جامعاتنا العربية:

- كيف يكون البحث محكما وهو مفتقد للأمانة العلمية وأحيانا يكون مسروقا بكامله؟
- أي تحكيم هذا الذي ينتج بحثا تتنافس فيه الأخطاء اللغوية والعلمية؟

– أي تحكيم هذا الذي لا يضيف للباحث وبحثه خاصة، والبحث العلمي عامة؟
إن مئات الأبحاث المنشورة تعاني من هذه المظاهر وتكشف عن خطايا التحكيم العلمي وتجعلك على يقين من أن البحث لم يُقرأ ولم يُحكم بعد انتهاء صاحبه منه.

(٢٢)

مراحل التحكيم العلمي

يمر البحث العلمي المحكّم بمرحلتين أساسيتين فى التحكيم:

- مرحلة التحكيم قبل النشر.
- مرحلة التحكيم للنشر (غالبا يستهدف صاحبه نشره لغرض التقدم للترقية).

الأولى تذكرة لمرور للنشر والإجازة تؤهله للمرحلة الثانية المبنية أساسا على المرحلة السابقة، والمحكم قبل النشر يلقي بتقصيره على المحكم قبل الترقية، والمتضرر الأول من تقصير محكم النشر هو الباحث نفسه، والباحث الذي يتلقى خبر نشر بحثه بسعادة لا يتوقع ما ينتظره عند التقدم للترقية فقد يباغت برفض أبحاثه التي تفاخر بنشرها محكمة من قبل، والذين صفقوا لمستوى أبحاثه قبل النشر ضللوه، وفى ظل مشكلات النشر العلمي المتفاقمة فى الوطن العربي تتعدد حالات الرفض.

هناك باحث يصدق نفسه حين يجد من ينشر له بحثا ضعيفا أو بحثا مسروقا (الحالات لا حصر لها فى وطننا العربي، ولي عودة للنشر العلمي قريبا بمشيئة الله).

يعد تحكيم الأبحاث العلمية المقدمة للنشر أخطر أنواع التحكيم، فقبول بحث ضعيف للنشر يترتب عليه تفشي الضعف وانتشار كل أشكال الأخطاء وتقصير محكم واحد قبل النشر أو ضعف مستواه معناه تدشين أستاذ ضعيف المستوى سيكون محكما يوما ما وسيمارس التقصير نفسه وسيعيث فى البحث العلمي فسادا (من شب على شيء شاب عليه ومن تعود فى بدايته حياته العلمية على التقصير فى إنتاجه العلمي سينشأ على ذلك ولن يصحح مساره، والذين تعودوا على التدقيق والإجادة سيكون هذا ديدنهم طوال تاريخهم العلمي والشواهد على ذلك لا حصر لها).

البحث العلمي المنشور مسؤولية دائرتين اثنتين:

- المحكم.
- هيئة تحرير المجلة العلمية.

والدائرتان تقومان بعملهما وفق سلسلة من الإجراءات التي لا يجب أن يصيبها الخلل فى أي حلقة منها:

١- الباحث يتقدم ببحثه للمجلة العلمية.

٢- هيئة تحرير المجلة تحدد محكمين اثنين لتحكيم البحث.

٣- المحكمان ينجزان التحكيم ويعيدان للمجلة البحث مشفوعا بتقرير التحكيم.

٤- هيئة التحرير تفحص التقرير وتعيد البحث للباحث حال وجود تصويبات أو إضافات أو طلب تعديلات من المحكم.

٥- على الباحث إجراء التعديلات وإعادة البحث فى صورته النهائية للمجلة.

٦- المجلة تفحص البحث وتراجع التعديلات ولها أن تقر البحث أو تعيده للباحث حال وجود نقص فى التعديلات أو عدم التزام الباحث بالمطلوب (بعض المجلات - فى خطوة إجرائية جديدة - تعيد البحث للمحكم ليراجع بنفسه ما أشار على الباحث من تعديلات).

الخلل فى هذه المنظومة مسؤولية التحكيم أولا وهيئة تحرير المجلة ثانيا وفق عدد من الاحتمالات:

- المحكم اشتغل بما يرضي الله ولكن المجلة لم تعد البحث للباحث ولم تأخذ بملاحظات التحكيم.
- المجلة أعادت البحث للباحث ولكنه دلّس على المجلة ولم يكن دقيقا فى مراجعة ملاحظات التحكيم، والمجلة لم تفحص ولم تراجع عمل الباحث فى التعديلات.
- المحكم قصر فى التحكيم والمجلة قصرت فى التدقيق (التدقيق فى اختيار المحكمين أولا والتدقيق فى عملهما أو عمل واحد منهما ثانيا).

من الواضح أن الخلل الأساسي فى هذه الحالة مسؤولية هيئة تحرير المجلة التي لم تحسن الاختيار ولم تعتمد معايير علمية للتحكيم (مع اتساع قاعدة التحكيم وتعدد حملة لقب الأستاذية، فليس هناك ما يجبر أي مجلة على الإبقاء على محكم ضعيف المستوى إلا إذا كانت قاعدة المحاباة هي قانون المجلة فى وضع قوائم المحكمين).

الخلاصة تتحمل هيئة تحرير المجلة الجانب الأكبر من المسؤولية فى التحكيم أولا والنشر ثانيا.

مجرد أسئلة (بريئة):

١. كيف أحكّم دراسة فى رواية لم أقرأها؟ (هل سأكون مارقا لو طلبت من المحكم قراءة النص المدروس قبل تحكيم البحث؟).

٢. هل سيكون المحكم دقيقا حال تحكيمه دراسة حول نوع أدبي لا يعرف عنه شيئا؟.

٣. كم محكما لديه الاستعداد لاكتساب خبرات من التحكيم: أي بحث تحكمه بالتأكيد يضيف لك شيئا ما مهما كانت قيمته والأمر يتوقف على استعدادك، على رؤيتك للعمل، على توجهك حين تقارب البحث؟ هل تقاربه بمنطق المستعد للإفادة (حتى لو كانت اكتشاف كتاب جديد لم تعرفه من قبل أو عرفته ولم تحصل عليه أو حصلت عليه ولم تقرأه بعد).

٤. كيف يقبل محكم متخصص في فرع من فروع اللغة العربية أن يكتب تقريرا عن بحث تتنافس فيه الأخطاء اللغوية ولا يسجل الأخطاء في تقريره؟

٥. لماذا يتغاضى المحكم عن نقص التوثيق العلمي والخلل فيه (بعض الباحثين يفبركون معلومات التوثيق بشكل واضح لا يخفى على خبير)؟.

٦. لماذا لا يجتهد المحكم في تطوير أدواته مواكبا العصر وأدواته؟.

٧. لماذا لا تتابع المجلات العلمية عمل المحكمين، ولماذا لا تضع المجلات قائمة سوداء بالمحكمين المقصرين؟.

٨. لماذا تحولت بعض المجلات إلى دكاكين تجارية انشغالها بزيادة الدخل المادي أكبر من انشغالها بالعلم والبحث العلمي؟.

٩. لماذا لا تضع المجلات (الجادة) قائمة سوداء للمحكمين المقصرين والمتهاونين والمتعاملين مع التحكيم بوصفه عملا يؤدى في وقت الفراغ؟

١٠. لماذا تغيب عنا حقيقة لها أهميتها: التحكيم علم له أخلاقياته وأسسه وقوانينه وأدواته وخبراته أيضا؟

١١. لماذا لا تكلف المجلات العلمية والمؤسسات الأكاديمية نفسها بعقد دورات في التحكيم العلمي (للأمانة جامعة واحدة طلبت ذلك العام الماضي وعقدنا أول ورشة من نوعها في التحكيم العلمي).

مجرد نماذج غير نموذجية:

للبحث العلمي مكونان أساسيان:

- أفكار وآراء وتأويلات وما شابه، قابلة للتغيير والدحض أحيانا، ينتجها الباحث غالبا مستندا فيها على آراء الآخرين، أو تمثل أفكاره الخالصة.

- معلومات لا ينتجها الباحث ويكون دوره إعادة استخدامها ملتزما توثيقها العلمي وليس من حقه التغيير فيها لأنها بطبيعتها غير قابلة للتغيير (المعلومات التاريخية وأسماء الأشخاص وتوثيق المراجع والمصادر والوقائع والأحداث وما شابه)، ويكون التغيير فيها واحدا من مظاهر الخلل التي يقع فيها الباحث ويشاركه فيه أطراف البحث العلمي (التحكيم ـ النشر).

يكون الحفاظ على المعلومات دون خلل معيارا من معايير الحكم على الباحث نفسه، وألا يعتني الباحث بمعلومات ينقلها من مصادرها فهو غير آمين وغير ممتلك الوعي بأبسط قواعد البحث العلمي، بل هو يمارس نوعا من أنواع التزييف المعرفي والتدليس العلمي (الكارثي بالطبع فلنتخيل معلومة خاطئة يتناقلها الباحثون دون أن يكون لها أساس من الصحة).

الأمثلة على الخلل المعلوماتي لا حصر لها، ولا يصعب على الباحث الوقوف على مئات الأبحاث التي تتضمن آلاف الأخطاء الكاشفة عن مشكلات فى البحث العلمي من هذا النوع(ليست مسؤولية الباحث وحده كما سبق الإشارة).

الصورة مجرد نموذج بسيط، جزء من صفحة من بحث علمي منشور، مر على تحكيم وعلى هيئة تحرير مجلة علمية! (سأنشر تباعا عددا من هذه النماذج) وهي نموذج تطبيقي على ما أشرت إليه فى الحلقات السابقة.



(٢٣)

من خطايا التحكيم العلمي

في التعليم قبل الجامعي يحاسب الطالب على الخطأ الإملائي بحسم نصف درجة عن كل خطأ، ورقة الاختبار لا يراها الطالب ولا يفيد من معرفة أخطائه، ولا ضرر منها ولا خطر على الآخرين فالورقة لا تتحول إلى مجال للاقتداء أو التأثير السلبي، مادامت حبيسة الأدراج قبل إتلافها.

عكس ذلك تماما وخلافه ما يحدث في مجال التأليف والنشر عامة وفي مجال البحث العلمي خاصة، وهنا أكتفي بست نقاط:

- **أولا**: تتعدد الأخطاء في كثير من الأبحاث المنشورة في مجلات علمية محكمة، والسؤال المتكرر: إذا كان الباحث قد أهمل فأين التحكيم؟، وإذا كان التحكيم قد نبه فأين هيئة تحرير المجلة؟.
- **ثانيا**: كثير من المجلات تتقاضى رسوما للتحكيم والنشر (قد تكون رسوما ضعيفة ولكن المحكم يقبل العمل التحكيمي وهو على دراية بضعفها وله حرية الاعتذار عنها وليس من حقه بعدها أن يعمل وفق مبدأ: على قدر فلوسهم (بالمصري على أد فلوسهم)، فهذا مما يدخل تحت بند الخيانة، خيانة العلم وأمانته وخيانة المنطق والتاريخ والجغرافيا والكيمياء والفيزياء وما وراء الطبيعة...
- **ثالثا**: هل يدرك أي من الأطراف خطورة نشر مثل هذه الأبحاث في صورة قابلة لأن يأخذ منها الآخرون؟، وهل يدرك الباحث أن نشر بحثه يمنحه قدرا كبيرا من الموثوقية لدى الآخرين حين يعتمدون عليه دون أدنى شك فيما يقول؟، يعتمدونه مصدرا معرفيا قد يكون الوحيد بالنسبة لهم فلا يكون هناك مجال غيره؟ وهو ما يعني تداول الخطأ وانتشاره على حساب الصواب.
- **رابعاً**: الباحث الأستاذ القائم على أمر الطلاب تدريسا وتوجيها وتعليما وإكسابا للخبرات هل يحاسبهم على أخطاء يقع هو فيها، وحين يناقش باحثا في رسالة علمية هل يكتشف أخطاء الباحث وينبهه لها (هناك احتمالان: ألا يكون أصلا على معرفة بما أخطأ فيه وهذه كارثة تفقده قدرا من علم لابد أن يتصف به، أو

أن يكون عارفا ولكنه يتمتع بقدر من التبجح، أن يحاسب تلميذه على ما يقع فيه وهذه كارثة أعظم لأنه بذلك يكون قد فقد جانبا من إنسانيته ومن شخصيته العلمية.

- **خامسا:** جميعنا معرضون للخطأ وخاصة فى الكتابة والتحرير ولكننا مطالبون بالتدقيق والمراجعة، وإلا فإننا نتعمد مخالفة ما كان علينا أن نكون قدوة فيه، تحري الدقة والصواب.
- **سادسا:** ما نكتبه يدل علينا ويكشف عن قدراتنا ووعينا ومساحة تقديرنا لأفكارنا، فهل يدرك هؤلاء أنهم ينتقصون من شخصياتهم بنشر ما يسيء لهم ولأفكارهم ولعقولهم وشخصياتهم؟.

تحكيم مفتوح وفريضة غائبة:

في المحكمة: قبل أن يصدر القاضي حكمه يسبقه بالحيثيات، وفى أي جلسة حكم لن تجد قاضيا:

- يصدر حكما دون حيثيات.
- يؤخر الحيثيات عن منطوق الحكم.

لأن السامع مشدود للحكم فهو منتبه للحيثيات المؤهلة، فإذا جاء الحكم غير مسبوق بها تظل فى النفس بعض الشكوك أن المتهم برئ أو العكس ولكن وجودها وسبقها يخلصان الذهن من الشكوك ويؤهلان النفس لتقبله.

فى تحكيم الترقية يكون المحكم ملزما بتقديم حيثيات الترقية إضافة إلى التقرير الفردي عن كل بحث ويكون عليه أن يكون حكمه محددا بواحد من اثنين: يستحق الترقية – لا يستحق الترقية.

فى جلسات المناقشة العلنية تصدر اللجنة حكمها ممثلا فى رئيسها، وهي جلسات لا تقل أهمية عن جلسات الأحكام القضائية غير أن الرئيس هنا يكتفى بالإشارة إلى أن اللجنة اجتمعت وناقشت وتداولت وتقترح منح الباحث الدرجة بتقدير كذا، معظم الحضور لا يدرك حقيقة الحكم وحيثياته والمناقشة قد لا تفي بذلك ولا تعطي انطباعا حقيقيا عن البحث ومستوى الباحث، وكثيرا ما يحدث خروج المتابعين للمناقشة فى حالة ذهول من مفارقة عظمى، اللجنة التي انتقدت الباحث بشدة وكشفت عن كثير

من مساوئ البحث تمنح الباحث التقدير الأعلى (قد لا يدرك البعض أن الانتقاد الشديد ليس دليلا على سوء الرسالة كما أن المدح أحيانا لا يكون دليلا على جودتها)، يحدث هذا لأن اللجنة لا تعلن الحيثيات ولا تشير فى تقريرها النهائي المعلن عن طبيعة مستوى الباحث(هناك تقرير جماعي روتيني يتضمن ذلك ولكنه غير معلن رغم جدارته بالإعلان)، وهو ما يعني أننا فى جلسات المناقشة نصدر أحكاما وعلى المتابع أن يبحث عن الحيثيات.

والباحثون الشباب حين يتابعون مناقشات الرسائل العلمية يُواجهون بنوع من البلبلة فى بعض النقاط الخاصة بتقييم البحث، فما يوافق عليه مناقش قد يرفضه آخر، وما يروق لأستاذ قد لا يروق لغيره والعكس صحيح.

للتحكيم فى العلوم الإنسانية عامة والأدب خاصة نوعان حاكمان من المعايير:

١- **معايير موضوعية لا خلاف عليها:** مشكلتها فى غيابها وتجاهل المؤسسات العلمية وضعها، وقد بدأت بعض الجامعات تحرص على وضعها وإلزام المحكمين بها، وكثير من المجلات العلمية تقرنها بالبحث المرسل للمحكم، وكثير من الجامعات تحرص على إرسال نسخة من لوائح الترقية للمحكم ليكون على بينة بنظام الجامعة، ولكنه نظام ليس معمولا به فى اللجان العلمية لكل الجامعات العربية مما يتطلب إعادة النظر فيه لصالح التحكيم العلمي الجاد، المشكلة الكبرى أن هذه المعايير غير موجودة وإن وجدت قد تظل حبيسة الأدراج ولا يطلع عليها المحكم وإن اطلع عليها تظل خفية على الباحثين وحضور المناقشة ، إن إعلان المعايير للجميع حل لكثير من المشكلات وتجنب لكثير من الأسباب.

٢- **معايير ذاتية تخص الذائقة الخاصة بالمحكم وخبراته العلمية والمعرفية:** وتضيق مساحتها حال تحقق المعايير الموضوعية، وتزيد سيطرتها عندما يجد المحكم نفسه ليس ملزما بمعايير موضوعية تحددها له الجهة الطالبة للتحكيم، ذائقة المحكم مطلوبة فى ظل المعايير الموضوعية، شريطة ألا تتحول إلى هوى شخصي.

المعايير لابد أن تكون واضحة للفريقين: الباحثين قبل المحكمين، وهو واحد من الأسباب الأساسية للبلبلة أن المعايير غير واضحة والحيثيات غير معلنة فالباحث قد يكون قصر فى جانب وبرع فى غيره والجمهور تنبه لما قصر عنه ولم يكن عنده خبر بما برع فيه، وهو ما يترتب عليه أن:

١- يصبح لكل محكم معاييره المختلفة.

٢- يتخبط الباحثون بين معايير التحكيم.

٣- يفقد البعض كثيرا من الثقة فى الأحكام العلمية.

إن توفر المعايير الواضحة والمعلنة تضمن القدر الأكبر من الشفافية أولا وتكافؤ الفرص ثانيا ، وإعداد الباحثين على أسس علمية من المعايير ثالثا.

في النهاية تفرض الأسئلة نفسها :

- لماذا لا تحرص الجامعات والمؤسسات العلمية على الإفادة من تقارير التحكيم بالخروج منها بتوصيات ومعايير تُحدث باستمرار؟.
- ولماذا لا تُعلن الحيثيات وهي قائمة وموجودة بالفعل (فى التقرير الجماعي)؟
- لماذا تصر بعض الجامعات على الارتكان لقوانين عفا عليها الزمن؟.

(ما سبق ليس مبررا لخطايا التحكيم السابق طرحها).



(٢٤)
ترهــل البحــث

تشترك البحوث العلمية (الماجستير ـ الدكتوراه ـ بحوث المؤتمرات وبحوث الترقية) فى كونها تعتمد نظاما ومنهجا وطرائق علمية تمثل عصبها وأسس بنائها، غير أن ذلك كله لا يعني تشابهها التام، فلكل بحث مواصفاته الضامنة له شخصيته المستقلة، وما هو متاح ومقبول فى بحوث الماجستير والدكتوراه ليس مقبولا فى غيرهما والعكس صحيح.

وعلى الباحث العابر من مرحلتي الماجستير والدكتوراه إلى مرحلة الترقية للدرجة العلمية الأعلى إدراك ذلك، وما كان باستطاعته أن يقوله فى مئات الصفحات يكون عليه أن يقوله فى عشرات الصفحات (لا تتجاوز ثلاث عشرات على حد أقصى) وتكون واحدة من علامات نضج الباحث أو اكتسابه خبرات البحث العلمي أن يستوفي طرح موضوعه فى عشرين صفحة أو ما يزيد قليلا.

أولى مظاهر غياب الوعي العلمي وإدراك طبيعة البحث العلمي ومتطلباته أن يشتغل الباحث فى أبحاث الترقية (أستاذ مساعد (مشارك) – أستاذ) بالآلية نفسها التي اشتغل بها فى مرحلتي الماجستير والدكتوراه، فكثير من الباحثين فى مرحلة الماجستير تستغرقه الاستطرادات فإذا كان موضوعه معنيا بالشخصية الروائية مثلا يبدأ تعريف الشخصية من المعجم ويروح يستجليها فى مظانها المختلفة وفى علوم متعددة قاربتها (علم النفس، علم الاجتماع، وغيرهما) مما لا حاجة للبحث به، ومما يمكنه الاستغناء عنه مادام عارفا به، ومما يؤسف له ألا يجتهد المشرف فى السيطرة على الأمر، وقد يقبله المحكمون مما يقر فى ذهن الباحث أن الأمر مطلوب ومرغوب ويعد ركيزة علمية تصاحبه فى بقية الأبحاث.

كثيرة هي الأبحاث التي يصيبها الترهل وتكشف عن غياب الوعي لدى الباحثين بما هو مطلوب وبما هو زائد عن الحاجة، وكثيرة هي الأبحاث التي تشعر أنها تريد تسويد صفحات وأن تملأ مساحة البحث باستطرادات لا طائل من ورائها مطلقا، وعلى الرغم من أن آليات البحث العلمي تعطي الباحث القدرة على التصرف فى مادته فإنه يغفل عن

ذلك ويثقل بحثه بمقولات وتعريفات على حساب فكرته الأصلية، والباحث خروجا من هذا المأزق لديه طريقان لا ثالث لهما:

- الاستغناء عن كل مالا يتطلبه البحث (بعض الباحثين يفشلون فى توصيل أفكارهم فيستغرقون فى التفاصيل الجانبية ظنا منهم أن القارئ لن يفهم مقصدهم).
- إن كان ولابد من ذكر التعريفات والتفريعات والاستطرادات والإشارات الجانبية فليكن مكانها الهامش وليس المتن.

وما يصيب البحث من ترهل يكون معيارا لكشف ضعف التحكيم، فماذا فعل المحكم وأين دوره فى بحث ثلاثة أرباعه استطرادات أثقلت المتن على حساب موضوع البحث وفكرته، أو أن الباحث يصر إصرارا غريبا على أن يبدأ العلم من أوله حتى إذا ما وصل لفكرته الأصلية مر عليها مرور الكرام أو لنقل مرور المجهد القادم من رحلة طويلة أنهكت قواه البحثية وأضنت معرفته العلمية.

الكارثة أن الباحث يصدق نفسه وأن ما يفعله هو الحقيقة العلمية المطلقة، ويظل محتفظا بقناعاته حتى إذا ما أصبح يوما محكما مارس دوره التحكيمي بالقناعات نفسها، والخاسر الأول (والأخير) هو البحث العلمي طبعا.



(٢٥)

التنظــير والتطبــيق

الإطار النظري مطلوب، وهو ما يعطي البحث مساحة العمق الأولى، وعلامة التجذر فى الفكر الإنساني، وهو مجموعة الأفكار الأصيلة المحركة للباحث، ومانحته آفاقا أوسع للعمل.

الأفكار النظرية نوعان:

- منقولة عن الآخرين والسابقين على زمن التأليف (غالبا)، وهي جهد الآخرين الذي يكون على الباحث أن يحسن إدارته.
- من بنات أفكار الباحث (أحيانا).

والأبحاث من هذه الزاوية ثلاثة أنواع:

- البحث نظري تماما تتشكل مادته من أفكار نظرية قابلة للتطبيق.
- البحث تطبيقي منطلق من إطار نظري خفي، يتجلى فى عمق التطبيق وموثوقيته، أعمال الدكتور مصطفى ناصف رحمه الله على سبيل المثال.
- البحث تطبيقي مسبوق بإطار نظري واضح المعالم.

والباحثون فى هذا الجانب أنواع:

- من يستهل بحثه بمادة نظرية مكثفة تمثل إطارا نظريا مركزا، يتبعها بمادة تطبيقية رابطا بين الاثنين.
- من يستهل بحثه بإطار نظري موسع على حساب مادة البحث وأهدافه المحددة (الفئة الغالبة الآن على كثير من الباحثين)، وهو ما يكشف عن عوار البحث وافتقاد الباحث للخبرة فهو لم يقرأ بشكل كاف فى موضوعه ثم يبلور ما قرأ ممررا بأفكاره، وإنما هو قرأ القليل وغالبا حفظ المقولات ويروح يسود بها صفحات بحثه على حساب ما يجب أن يدرجه إثباتا لشخصيته العلمية.
- من يجمع بين النظري والتطبيقي مضفّرا بينهما، اعتمادا على خبرة علمية تتكشف من خلال مجريات البحث (أحبذ شخصيا هذه الطريقة).

- من يشتغل الجانب النظري حتى إذا ما بدأ فى الجانب التطبيقي سار فى طريق آخر مختلف فيبدو أننا إزاء باحثين اثنين كل منهما يسير فى واد مختلف.
- من يستغرقه الإطار النظري فيروح يبدأ العلم من أوله كأنه ليس مسبوقا بباحثين آخرين حتى إذا ما وصل إلى الجانب التطبيقي بدا منهكا خائر القوى فلا يضيف شيئا ذا قيمة وهو ما يترتب عليه ضياع شخصية الباحث العلمية (إن وجدت).

من أوهام الباحثين:

- تتصي الجوانب النظرية للموضوع ولا يستشعر الباحث أن فكرته تاهت فيما هو نظري.
- تعبئة الصفحات بالمقولات النظرية غير المطلوبة (التعبير بالتعبئة مقصود تماما حيث تتحول الصفحات إلى معلبات معبأة بمحفوظات ونقول من المراجع).
- تنتهي الرسالة بانتهاء الجانب النظري فلا يعطي الجانب التطبيقي قدرا من الاهتمام متناسيا أن هذا عمله الأساسي وإضافته الحقيقية.
- الفصل بين النظري والتطبيقي بشكل حاد وواضح لدرجة تقسيم الرسالة لقسمين: القسم النظري، والقسم التطبيقي، وهو فصل مخل إلى حد كبير.
- الاشتغال فى الجانب التطبيقي يعني أن الباحث لم يعد فى حاجة للأفكار النظرية وهذه خطيئة فى حد ذاتها فالباحث فى حاجة طوال اشتغاله بالبحث لما هو نظري وليس بإمكانه الاستغناء عن الأفكار النظرية على مدار بحثه.

والحال هكذا كيف يمكننا قبول:

- رسائل علمية مجموع فصولها ثلاثة، الأول والثاني تنظير والثالث (فقط) تطبيق؟
- بحث علمي منشور بمجلة محكمة عدد صفحاته أربعون (٤٠) خمس وعشرون (٢٥) منها تنظير وعشرة (١٠) أو أقل تطبيق وخمسة (٥) قائمة مراجع.

هي مجرد أمثلة دالة على كثير من العطب فى الطرح، والخلل فى التحكيم وإلا فكيف أجيزت هذه الرسائل أو كيف نشرت هذه الأبحاث؟!

(٢٦)
التقمـيش

الباحث في تقديمه الأفكار نوعان:

- باحث يقدم أفكاره في سياق تقديمه أفكار الآخرين (لا يعول عليه، وإن كان من الفئة الغالبة في زماننا).
- باحث يقدم أفكار الآخرين في سياق أفكاره وهو المنتج الموسع آفاق متابعه، وكلما أنتج الباحث أفكارا أبرز شخصيته، ومتى كانت له شخصيته العلمية أصبح باحثا فنانا متميزا وهو النموذج المثالي للباحث.

النوع الثاني يدرك طريقه فهو باحث موهوب وإن كان من الفئة القليلة في زماننا، لكنه يدرك ما يفعل لذا لا مشكلة لديه، ولكن المشكلة في الفريق الذي يمثل السواد الأعظم، هؤلاء الذين يفهمون أن البحث عملية توليف أفكار الآخرين واستقطاب المنقولات من بطون الكتب (أكثر من مرة وفي مواقف مختلفة سمعت أستاذا يؤكد: كلما زادت المراجع وكثرت النقول دل ذلك على نشاط الباحث وقدرته على الوصول لأكبر عدد من المراجع ومن ثم تميزه وهي مقولة مغلوطة تعتمد على الكم وليس على الكيف فليس كل ما يلمع ذهبا).

الاعتماد على المراجع وكثرتها تقوم على عاملين أساسيين:

- الموضوع وطبيعته التي تستلزم الاعتماد على عدد كبير من المراجع والمصادر، والأهم هنا كيفية إدارتها وتقديمها منتجا جديدا.
- خبرة الباحث وهي خبرة تنمو عكسيا كلما زادت خبرة الباحث قل اعتماده على المراجع أو بعبارة أخرى أصبح قادرا على الاستقلال معتمدا على العدد الأقل من المراجع فمن المنطقي أن تكون له أفكاره الخاصة فلو اعتمد الباحث في الماجستير والدكتوراه على ١٠٠ مرجع مثلا بدأت هذه النسبة في التراجع كلما تقدم في أبحاث الترقية وما بعدها وإلا ما فائدة الخبرات التراكمية.

الأمر هنا يعتمد على القدرة على الانتقاء والفحص فكثير من الباحثين يعتمدون على مراجع يمكنهم أن يستغنوا عنها ويمكنهم أن يتولوا المعنى المنقول دون أخذه من

غيرهم، وهو ما قد يباح فى المراحل الأولى من البحث العلمي لكنه ليس مقبولا بالمرة فى أبحاث الترقية وما بعدها فكثرة النقول دون مسوغ وزيادتها عن الحد تغيب شخصية الباحث ويبدو بحثه مجرد تقميش، صفحات مقمشة من الآخرين.

التقميش مصطلح يستخدمه الباحثون والخبراء صفة لمرحلة جمع المادة العلمية، ولكنه قد يستخدم بصورة غير علمية حين يصر الباحث على إدراج كل ما جمع فى البحث دون فحص أو تدقيق أو مراجعة، فمن المنطقي أن الباحث يجمع أضعاف ما قد يحتاج والجمع يعتمد على التوقع أحيانا، توقع الحاجة للمجموع ولكنه عند الكتابة قد يختلف الأمر (ولابد أن يختلف)، ولو سألت أحد أساتذتنا الكبار الذين كانوا يعتمدون على طريقة البطاقات والفيشات فى جمع المادة لأخبرك أن لديه مئات البطاقات التي لم يستخدمها فى بحثه (بعضهم يستثمرها فى أبحاث لاحقة وهؤلاء هم الأذكياء بحق)، فالتقميش إن لم يكن مقرونا بغربلة المادة والاعتماد على الأهم منها تحولت إلى عملية قص ولصق.

"ورد فى لسان العرب: مادة قمش القَمْشُ: الرّديءُ من كل شيء، والجمع قُماشٌ، ونظيرها عَرْقٌ وعُراقٌ وأَشياء معروفة ذكرها يعقوب وغيره. والقُماشُ أَيضاً: كالقَمْش واحدٌ مثله. والقَمْش: جمع الشيء من هنا وهنا، وكذلك التَّقْمِيش، وذلك الشيء قُماشٌ. وقَمَشَه يَقْمِشُه قَمْشاً: جمعه. الليث: القَمْشُ جمعُ القُماشِ وهو ما كان على وجه الأَرض من فُتاتِ الأَشياء حتى يقال لرُذالةِ الناسِ: قُماش. وقُماشُ كل شيء وقُماشتُه: فُتاتُه".

التقميش ليس عملية إحكام للبحث بقدر ما هو عملية هلهلة أو بالأحرى ترهل البحث وخوائه

البحث العلمي يبيح للباحث أن يعتمد على المراجع ولكن بشروط يلتزم البعض بأولها مهملين بقيتها:

- الأمانة بنسبة الأفكار والمقولات إلى أصحابها.
- الالتزام بالمنهج العلمي وأساليبه فى النقل.
- ألا يزيد النقل طاغيا على أفكار الباحث.

الباحث الحقيقي يقرأ ويجمع أولا ثم يفحص ويدقق وينتقد وينقد فإذا قرأته شعرت أنه قدم لك بعض ما لديه وليس كله، وأن البحث حفنة ماء من بحر (أو من محيط) فوراء البحث باحث يملك أكثر مما كتب.

الباحث الذي يعتمد على الآخرين متمشا بحثه يشبه الأب الذي لا أبناء له لكنه ينسب أبناء الآخرين له دون وجه حق وكما يقول المثل المصري الأصيل: القرعة تتباهى بشعر بنت أختها.

وفى أدبيات البحث العلمي الحديث تنبهت الجامعات والأكاديميات لهذا الأمر فحددت نسبة التشابه أو الاستلال فى الأبحاث العلمية بنسبة بين ١٥٪ أو ٢٠٪ وهو ما تتكفل برامج كشف الانتحال بتبيانه، ورغم كل ذلك يبقى السؤال البريء:

كيف تنشر هذه الأبحاث المقمشة التي تصل فيها نسبة النقول إلى أكثر من ٥٠٪، وكيف تجاز للنشر من الأساس؟ وكيف يقبل الباحث أن يكون بحثه ٣٠٠٠ آلاف كلمة لم يكتب منها سوى ألف كلمة وبقيتها نقول مرجعية؟



(٢٧)

السرقات العلمية

سيكون من النادر أن تجد جامعة عربية لم يرد اسمها فى واقعة سرقة، وأي جامعة عربية تتخذ موضعا من أربعة مواضع:

- من بين أعضائها عضو هيئة تدريس هداه تفكيره للسطو على الآخرين.
- فى واحد من أقسامها نوقشت رسالة علمية لباحث من غير أعضائها والباحث مارس الفعل نفسه.
- من بين أعضائها واحد ممن اكتوى بنار السطو على جهده العلمي.
- من بين الباحثين (من غير أعضائها) من أصيب بالسطو على نتاجه العلمي.

وجميعها مواضع تتطلب موقفا حاسما من الجامعة والموقف له وضعيتان:

- أن تحمي الجامعة المنتسبين إليها والجهد العلمي المسجل باسمها مساندة من ينتسب لها وقد سطا البعض على جهده.
- أن تطبق القانون (القوانين الرادعة موجودة والحمد لله) منتسبيها ممن يثبت عليهم القيام بالسطو على الآخرين.

لدينا عشرات الوقائع المثبتة والمؤكدة ولكن مواقف الجامعات متباينة وغير موحدة رغم وجود القوانين، وفى كل يوم تتوالى اكتشافات الوقائع حتى فقدنا حاسة الاندهاش.

السرقة العلمية بعد وقوعها وسقوط الباحث فى بحر الرزيلة العلمية (إن صح التعبير) فإنها تمر بدائرتين:

- دائرة أولى قبل النشر.
- دائرة ثانية بعد النشر.

الدائرة الأولى ولها ثلاث وضعيات حسب نوع البحث:

١- الماجستير والدكتوراه مسؤولية المشرف ولجنة المناقشة ثم القسم العلمي.

٢- الأبحاث العلمية المنشورة مسؤولية التحكيم العلمي وهيئة تحرير المجلة العلمية.

٣- الأبحاث المقدمة للمؤتمرات والملتقيات العلمية، مسؤولية اللجنة المنظمة للمؤتمر وتشمل اللجنة العلمية ولجنة التحكيم العلمي لأبحاث المؤتمر.

الدائرة الثانية مسؤولية الجامعة بعد النشر والاكتشاف.

الوصول للدائرة الثانية يعني تقصير الدائرة الأولى وأن خللا واضحا قد لحق بعمل الدائرة الأولى وهو ما تطلب تدخل الدائرة الثانية، مما يعني تفاقم الأوضاع وخروجها من الدائرة السابقة.

الدائرة الأولى هي دائرة التحكم الأساسية فى الموضوع وتجنيب كل الأطراف مغبة الدخول فى دوائر العطب والخلل.

ماذا لو اجتهد المشرف فى أداء دوره، وتعامل مع البحث الذي يشرف عليه تعامل المحكم لبحث آخر؟، والأمر لا يتطلب منه سوى التعامل مع ما أصبح متاحا إلكترونيا الآن (منذ بدأت الإشراف والتحكيم لا يمر بحث دون عرضه على برنامج الانتحال وللعلم أي برنامج لا يتطلب سوى خمس دقائق لتقديم تقرير واف عن حالة البحث)، بالطبع لا يمكنني أن أحمل المحكم أو المشرف قراءة كل المراجع فى التخصص لاكتشاف السطو ولكن التكنولوجيا أنجزت ما من شأنه أن يسهل الأمر (صحيح أن هناك نوعا من اللصوص يسطون على الأفكار ويستلون جملا لا تكشفها البرامج ولكن المطمئن (تماما) أن ٩٠٪ من اللصوص يتميزون بحالة شديدة من غياب العقل أو سمها عمى البصيرة لأنهم فى الغالب يسطون على بحوث بكاملها أو صفحات بكاملها لذا يسهل اكتشافهم).

أن تمر السرقة دون اكتشاف فى دائرة التحكيم فلذلك أربعة أسباب، أقول أسبابا وليست مسوغات:

- تهاون هيئة التحرير مع الأبحاث وبإمكان هيئة تحرير المجلة أن تقوم بخطوة الكشف عن الانتحال قبل إرسال البحث للتحكيم وبذلك تجنب الجميع الدخول فى مشكلات لا حصر لها، وعندها ترد البحث لصاحبه وتكفي لجان التحكيم تضييع الوقت والجهد وهي نقطة أصبحت فرض عين على هيئات تحرير المجلات العلمية المحكمة، مع الوضع فى الاعتبار أن إنجاز المجلة لهذه الخطوة يكون مطلوبا.
- عدم معرفة المحكمين ببرامج الانتحال، أو عدم الدراية باستخدامها.

- تهاون المحكمين في تمرير الأبحاث دون تدقيق وهم المحكمون الذين يترجمون التحكيم ماديا.

الكارثة الكبرى والمحصلة الطبيعية للدائرة الجهنمية التي دخلتها بعض الجامعات العربية منذ سنوات، أعني ظهور أساتذة لصوص حصلوا على درجات علمية عليا بأبحاث مسروقة وتمت ترقيتهم، هؤلاء بحكم القانون أصبحوا محكمين، والسؤال الذي يفرض نفسه: كيف ينظر المحكم من هؤلاء لبحث اكتشف سرقته؟ هل سيتغاضى تغاضي محكميه على فعلته هو سابقا؟ أم سيدرأ عن نفسه الشبهة ويفضح السارق؟ المنطق يميل للإجابة الثانية، لكن الواقع يتجه بقوة إلى الإجابة الأولى، فلا تسألني عن منطق في سياق عمل من المنطقي أن يكون محكوما بالمنطق ولكن...

(٢٩)

التعامل مع النص

١ ـ القـرآن الكريــم:

البحث فى حد ذاته يتعامل يشتغل على نصوص أو يقاربها بطريقة ما وتتشكل مادته منها، النصوص فى العلوم الإنسانية أنواع:

١- القرآن الكريم.

٢- الحديث الشريف.

٣- الشعر قديمه وحديثه.

٤- السرد.

٥- نصوص النقد والمؤلفات الفكرية وما شابهها.

والبحث العلمي ينظم علاقة الباحث بنصه وبنصوص الآخرين، واضعا ما يشبه اللوائح المنظمة لإدارة العلاقة، منها ماهو مشترك بين كل النصوص ويكون على الباحث اتباعه مع كل نص يقاربه، ومنها ما هو خاص بكل نص وفق ما تفرضه طرائق البحث فى الألفية الثالثة.

من اللوائح المشتركة الأمانة فى:

- النقل الصحيح.
- التوثيق العلمي.
- التوظيف المنطقي.

وفى الحلقات القادمة نتوقف عند ما يخص كل نوع من أنواع النصوص، وأولها القرآن الكريم.

إدراج نص قرآني يعني واحدة من الوضعيات التالية:

- إدراج عددا من الآيات.
- آية كاملة.
- جزء من آية.

تحقيقا لعدة أهداف:

- الاستفتاح، ويكون مرتبطا بالعلم والجهد الإنساني دون أن يكون مرتبطا بالضرورة بموضوع البحث.
- الاستشهاد للتأكيد وتوثيق الأفكار الخاصة بجزئية خاصة من جزئيات البحث، دون الارتباط بالموضوع الأساسي للبحث.
- دراسة النص القرآني نفسه بوصفه موضوعا للبحث.

فى كل الأحوال ليس منطقيا أن يعيد الباحث كتابة الآيات القرآنية مرة أخرى فقد تكفلت البيئة التكنولوجية بتوفير عشرات البرمجيات والتطبيقات التي تتيح للباحث نسخ الآيات القرآنية برسمها العثماني وضبطها، وتمكن الباحث من تحرير النص (تغيير الفنط وتكبيره دون الإخلال بضبطه بالشكل) والنسخ يوفر على الباحث جهد الكتابة والضبط ويحقق عملية نسخ آمنة من الخطأ (كثير من الباحثين مازالوا خارج نطاق الخدمة حين يعيدون كتابة الآيات وخاصة الآية الاستفتاحية وتأتي الآية دون الضبط بالشكل وأحيانا تقع أخطاء فى الكتابة دون التنبه لذلك ودون الإفادة من البرمجيات المتاحة).

البرمجيات والتطبيقات متوفرة للعمل فى كل بيئات التكنولوجيا: أجهزة الكمبيوتر - الموبايلات بكل أنظمة تشغيلها، وبعضها يمكن تثبيتها على حزمة الأوفيس وخاصة برنامج Word بوصفه البرنامج الأساسي لكل باحث، مما يعني أن لا مسوغ أو مبرر مطلقا ولا مجال للخطأ، ولا يكون مقبولا مطلقا ألا يعتمد الباحث على مكتسبات العلم ومنجزات التكنولوجيا.

بعض التطبيقات لا تكتفي بتقديم القرآن الكريم نصيا، وإنما تقدم كتب التفاسير، وترجمة معاني القرآن الكريم مما يجعلها واحدة من البرمجيات الأساسية للباحث فى القرآن الكريم تسهل البحث والإحصاء والتفسير وغيرها مما يتطلبه البحث العلمي فى هذا المجال.

٢- الحديث الشريف:

تتحدد مواضع الحديث الشريف فى الدراسات الإنسانية بثلاثة مواضع:

- التصدير دون أن يكون الحديث مرتبطا بموضوع الرسالة ويكون غالبا فيما ينص على طلب العلم أو التعلم أو ما شابه ذلك من موضوعات إنسانية وفكرية.

- الاستشهاد بالحديث فى سياق قضية ما.
- أن يكون الحديث الشريف موضوعا للدراسة.

وفى جميع المواضع يكون إدراج الحديث كاملا فى الغالب ويكون على الباحث التنبه إلى إجراءات منهجية يفرضها السياق:

- إيراد الحديث مضبوطا بالشكل.
- الحرص على إثبات الحديث بنصه دون الإخلال بالنقل.
- تخريج الحديث وهو مالا يحرص عليه كثير من الباحثين الذين لا يكلفون أنفسهم العودة لكتب الحديث وما أيسر الحصول عليها ورقيا والكترونيا، وهناك برمجيات موسوعية خاصة بكتب الحديث يمكن للباحث التعامل معها بسهولة توفر له نسخ الحديث بنصه وبضبطه دون إعادة كتابته.

العجيب أن من تتضمن بحوثهم الحديث الشريف غالبا هم الباحثون المتخصصون فى علوم العربية وآدابها أو الدراسات الإسلامية ومع ذلك تجد قلة من هؤلاء يوفرون قدرا من العناية بإيراد الحديث الشريف بصورة علمية منضبطة، وأكثر من تجده فى معظم الأبحاث العلمية أخطاء متكررة تتمثل فى:

- النقل الخاطئ لنص الحديث.
- إغفال تخريج الحديث.
- أن يورد أحدهم مقولة: وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم ما معناه، وهو ما يكون مقبولا فى الخطاب الشفاهي، ولكنه لا يكون مقبولا فى سياق البحث العلمي؟.

إن العناية بالحديث الشريف لا تخص موقعه من الثقافة العربية والإسلامية فحسب (فهذا لا خلاف عليه ومحسوم أمره) ولكنها مسألة تخص آليات البحث العلمي ومنهجيته، ومصداقية الباحث واهتمامه بما يقدم من خطاب دال عليه وعلى مساحة وعيه بعمله.

٣ ـ الشعــر:

للشعر موضعان أساسيان فى البحوث العلمية:

١- التصدير حين يشير الباحث إلى معنى ما يتكفل الشعر بتقديمه، دون أن يكون المعنى الشعري مرتبطا بموضوع البحث.

٢- البحث حين يكون الشعر موضوعا للبحث وفى هذه الحالة هناك مساحتان يتحرك فيهما الباحث لإدراج الشعر:

- **المتن:** حين يكون الشاعر أو الديوان أو القصيدة موضوعا للبحث ويكون الباحث فى حالة من الحوار مع النص تحليلا وتدليلا وتأويلا.
- **الهامش:** حين يريد الباحث الإشارة مثلا إلى تعدد تجليات الظاهرة الشعرية عند شعراء آخرين موردا بيتا أو نصا لشاعر آخر، عندها يتكفل الهامش بذلك دون إثقال المتن، مثلا لو أننا ندرس الليل عن علي محمود طه وأردنا أن نشير إلى مظهرين: تأصل ظاهرة الليل فى الشعر العربي القديم، أو اتساع مساحة حضور الليل فى الشعر الرومانسي متجليا عند شعراء آخرين، محمود حسن إسماعيل مثلا أو إبراهيم ناجي، ففي الحالتين يكون إيرادنا للأبيات فى إشارة موضعها الهامش دون أن نسترسل فى ذلك فى المتن فالمتن خاص بالدراسة بالأساس والهامش يشبه طريق الخدمات الذي نلجأ إليه حين نتحاشى إحداث الزحام.

الباحثون فى الشعر القديم (من العصر الجاهلي حتى منتصف الخمسينيات) ليسوا فى حاجة إلى إعادة كتابة بيت واحد من الشعر فى بحوثهم وإنما تتكفل الموسوعة الشعرية بتقديم المادة الشعرية كاملة.

ومن أبسط قواعد تعامل الباحث مع النص الشعري:

١- الضبط بالشكل (الشعر القديم حتى منتصف الخمسينيات متاح مضبوطا بالشكل فى الموسوعة الشعرية وأتعجب كثيرا من باحث لا يعرف الموسوعة أو يعرفها ولا يستثمرها ويعيد كتابة الأبيات بدون ضبطها بالشكل أو يبذل جهدا فى ضبطها أو يوردها ناقصة أو سقطت منها بعض الكلمات أو وقوع التصحيف أو التحريف فى النقل أحيانا).

٢- نسبة الأبيات لقائلها بالعودة إلى ديوان الشاعر أو المصادر الأساسية لمادة شعره.

٣- احترام سياقها عند التحليل أو التأويل.

٤- الإشارة عند الاقتطاع: ليس منطقيا ولا علميا ما يفعله معظم الباحثين الآن: يدرج البيت الرابع من القصيدة مثلا ويتلوه مباشرة بالبيت السابع مثلا دون إشارة إلى ذلك، من حقك أن تقتطع من الأبيات ومن القصائد ما يخدم فكرتك والبحث العلمي يمنحك كل الحق فى ذلك ولكن عليك أن تدرك أن هناك من

سيقرأ يوما وستكون مصدره لأبيات قد لا يعثر على مصدرها الأصلي، لذا حددت أدبيات البحث العلمي طريقة بسيطة للإعلان عن ذلك

البيت الرابع مثلا:

٤- قد زُرْتُهُ وَسُيُوفُ الهِنْدِ مُغْمَدَة   وَقد نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالسُّيُوفُ دَمُ

....

٦- فَوْتُ العَدُوِّ الذي يَمَّمْتَهُ ظَفَرٌ   فى طَيِّهِ أسَفٌ فى طَيِّهِ نِعَمُ

فالاجتزاء دون إشارة تضليل للمتلقي وتشويه للنص وافتقاد لدقة البحث ووعي الباحث بنص غيره ومعرفته حدود حركته، ولن يضر الباحث مطلقا أن يحدد مواضع الأبيات فى قصيدة الشاعر كأن يشير إلى رقم البيت مثلا.

٥- ادراج الأبيات كما وردت بترتيبها فى قصيدة الشاعر وبعض الباحثين يمارس خطيئة جسيمة حين يتصرف فى ترتيب الأبيات خدمة لسياقه، أو ينقل بعض الأبيات من القصيدة ويمنحها ترقيما مخالفا لترقيم الأبيات فى القصيدة وهي واحدة من أكثر الأخطاء شيوعا ويمارسها ٩٩،٥٪ من الباحثين والأساتذة.

٦- الأصل فى دراسة الشعر أو نقل الأبيات العودة للديوان الأصلي إلا فى حالات نادرة، وحتى عندما نعود إلى الموسوعات الإلكترونية فيمكننا التوثيق من الديوان ويكون دور الموسوعة الإلكترونية الأهم يتمثل فى:

- توفير الوقت والجهد واختصار زمن البحث.
- نسخ الأبيات بضبطها ونصها دون الحاجة لإعادة كتابتها.

٧- ألا يكون تعليقك أقل من النص المستشهد به، ألا يكون النص المستشهد به أكبر من التحليل (بعض الباحثين يورد عشرين بيتا ويعلق عليها فى سطرين، كأنه أدرج القصيدة لزيادة حجم البحث وليس لتحليل النص والإحاطة به).

٨- فى حال حاجتك للقصيدة كاملة يمكن إدراجها بوصفها ملحقا فى نهاية الرسالة، دون أن تثقل بها المتن.

مجرد نموذجين:

١- الصورة المرفقة (رقم ١) نموذج من خطايا التحكيم بالتغاضي عن الأخطاء الواردة فى الأبيات (الصورة فى الجزء الأعلى الأبيات كما وردت فى مصدرها، وفى الجزء الأسفل الأبيات كما أوردها الباحث فى بحثه).

٢- الصورة الثانية (رقم ٢) لأبيات نقلها الباحث مخلا بوزنها حين حرف فى النقل دون أن يستشعر ما لحق الأبيات من كسر عروضي واضح.

٤-السـرد:

فى إطار البحث العلمي لابد أن نكون على وعي - بداية - بالفارق بين:

- **السرد بوصفه تقنية**، وهو تقنية مطلوبة لكل الأبحاث بلا استثناء، أي إحكام البحث وترابط تفاصيله ومنطقية التدرج من نقطة إلى أخرى (أدق تشبيه للبحث العلمي كونه يشبه جسم الإنسان المكون من: رأس ـ جذع ـ أطراف، وأهم ما يميزها: التماسك والترتيب وهما سمتان أساسيتان لكل بحث حين يفقد واحدة منهما يفقد قوامه العلمي ويسيطر عليه الخلل.
- **السرد بوصفه موضوعا**: أي السرد بوصفه نوعا أدبيا (قصة ـ رواية) حين يكون موضوعا للبحث العلمي، والسرد بهذه الصفة يتمثل فى مجموعة من الأشكال، منها:
  - دراسة ظاهرة سردية بعينها، "المجتمع العربي فى رواية الألفية الثالثة".
  - دراسة ظاهرة فنية أو أسلوبية، بناء الشخصية فى رواية السراب لنجب محفوظ مثلا أو الشخصية فى روايات بهاء طاهر مثلا وغيرهما من الظواهر الفنية.
  - دراسة مشروع روائي لكاتب معين أو مجموعة كتاب ينتمون لمدرسة واحدة.
  - دراسة مرحلة زمنية أو حقبة تاريخية ذات طبيعة خاصة فى عدد من النصوص.

ومع تناميها فى مقابل الدراسات حول الشعر فإن الدراسات السردية ماتزال تشق طرق التنامي خروجا عن تقليديتها فمازالت النظرة المسيطرة على كثير من الدراسات الأكاديمية فى السرد الركون إلى المناهج الموضوعية أكثر من الاعتماد على المناهج النصية مما يجعل كثيرا من الدراسات يغلب عليها التلخيص وتحميل النص مالا يحتمله أو (تقويله) مالا يقول ويغيب عن أذهان الباحثين أن كل النصوص صالحة للدراسة النصية، وليست كل النصوص صالحة تماما للدراسة الموضوعية التي قد تتوفر وقد لا تتوفر فى النص.

والغالب على الدراسات السردية الميل إلى الموضوعات (الموضة)، فمرة ترتفع دراسات المكان، وحينا تتعدد دراسات الزمان، وثالثة تتكرر دراسات الشخصية، وهكذا

يعتمد معظم الباحثين طرائق تفضي إلى تشابه المنتج دون محاولة التماس التفرد النصي وهو شرط أساسي لوجوده أصلا.

من الممارسات الخاطئة القائمة على معتقدات تفتقد الدقة فى دراسة السرد:

- الدراسة السردية لا تقوم إلا على عدد كبير من النصوص السردية، وفق هذا التصور دراسة مشروع روائي معين يشترط أن يكون إنتاج الكاتب يقارب عشر روايات، أو خمس مجموعات قصصية على الأقل، أو أن يكون مجموع الاثنين يقارب العشرة، وهي نظرة غير دقيقة بالمرة، تخلصت منها أكاديميات المغرب العربي ومازالت مسيطرة على وعي معظم الباحثين فى الجامعات العربية الأخرى خلاف جامعات المغرب العربي (تونس- الجزائر – المغرب) وفى الوقت الذي تقوم فيه رسالة علمية أو أكثر على دراسة رواية واحدة فى المغرب العربي مازال الباحثون العرب يلتزمون الرؤية الكمية على الرؤية الكيفية.
- دراسة مجموعة روايات تعني دراسة كل رواية على حدة، دراسة مشروع روائي لكاتب واحد معناه أن يفرد الباحث فصولا بعدد الروايات، وهو ما يحول الدراسة إلى مجموعة مقالات أو دراسات منفصلة فاقدة للتماسك والتدرج فى الرؤية، وضاربة بمنطقية البحث عرض الحائط (ومن الطرائق المثلى للدراسة السردية حال الوقوف على عدد من النصوص، أن يتعامل الباحث مع النصوص بوصفها نصا واحدا دون دراسة كل نص على حدة).
- بإمكان الباحث دراسة السرد دون أن يكون لديه خبرة ولو قليلة بالسرد وفنونه وأن يكون لديه مرجعية من القراءة السردية (لا أستوعب حتى الآن أن يكون أول نص روائي يقرأه الباحث فى حياته هو النص الذي يختاره موضوعا لرسالته الأكاديمية)، ومعظم الأبحاث العلمية الضعيفة فى مجال السرد مردها هذا الجانب، الذي يجعل عديدا من الباحثين دخلاء على الدراسات السردية بالأساس.
- افتراض موضوع البحث ووضع خطته قبل قراءة النصوص، وتكاد تكون واحدة من أكبر أخطاء الباحث ولا أدري كيف يتجرأ باحث على وضع خطة لبحث علمي دون أن يقرأ النصوص التي يشتغل عليها بحثه (والمشرف يشارك تلميذه فى هذا الجانب من المسؤولية العلمية).

- الاكتفاء بالدراسة المضمونية والاشتغال على النص من خارجه وليس من داخله باعتماد مسكوكات تنطبق على كل النصوص دون أن يقف الباحث على خصوصية النص.
- البلاغة العربية حصرية على الشعر دون السرد، وهي قضية أكبر من أن نقاربها فى هذا الموضوع ولها عودة موسعة تليق بها.
- افتراض أن كل من يكتب سردا صالح للدراسة، وهو ترجمة لغياب الذائقة، ومظهر واضح لتراكم الإنتاج السردي دون المستوى (في ظل توفر فرص النشر امتلأت الساحة بعشرات الروايات والقصص التي لا تصل لأي مستوى فني، والكارثي أن يتوفر عليها باحثون لدراستها على حساب الجيد من المنتج السردي مما أدي إلى غياب شبه كامل لإنتاج الروائيين الحقيقيين لصالح ما هو زائف المستوى).

٥-الدراسات السابقة:

الدراسات السابقة ليست استعراضا لما توصل إليه الباحث من جهود السابقين، إنها فى أي بحث علمي محكومة بواحد من احتمالين:

- **الأضعف**: عدم وجودها، نعم قد لا تكون هناك دراسات سابقة فى الموضوع وهو اختيار الباحث أن يعبر طريقا ليس مطروقا (غالبا يحدث هذا فى أبحاث الترقية، ومع باحثين خبراء لهم شخصياتهم العلمية التي تمنحهم القدرة على تعبيد طرق جديدة لغيرهم فاتحين آفاقا لم تكن قائمة من قبل)، وهي واحدة من سمات الباحث الحقيقي والخبير فمن الطبيعي والمنطقي أن يصل – بخبرته – إلى مرحلة متقدمة فى البحث العلمي لا يكون فيها تابعا بقدر ما يكون متبوعا (طوال الوقت هؤلاء من نسميهم الأساتذة أصحاب المدارس هم قلة والآن أصبحوا قليلين حد الندرة).
- **الأرجح**: وجود دراسات سابقة يكون عليه الاطلاع عليها بعناية متخلصا من المظاهر الإشكالية فى التعامل مع الدراسات السابقة ومن أهمها:

أولاً: ضبابية مفهوم الدراسات السابقة والتفرقة بينها وبين المراجع، فكل دراسة سابقة مرجع، وليس كل مرجع دراسة سابقة (سبق أن وضحنا الفرق فى الحلقة

التاسعة عشرة (١٩) من هذه السلسلة)، ويكاد معظم الباحثين يضلون طريقهم فى التحديد، وهي الخطوة الأولى فى الخلط وعدم الإفادة من الدراسات السابقة.

ثانياً: حين يطرح الباحثون أسباب اختيارهم للموضوع هناك اعتقاد كبير عند معظمهم (يصرحون بذلك نصا) أن السابق كان متصرا وأن دراسته لم تصل إلى الدراسة الراهنة، وهو ما يعطيها مشروعيتها وتكاد تقرأ هذه العبارة بصيغ مختلفة:" والباحث (الفلاني) لم يتناول كذا مما يجعل دراستنا تغطي هذا الجانب"، الباحث يتناسى أن الدراسة السابقة حددت له معالم طريق عليه الإفادة منه، وأن بحثه نفسه سيكون دراسة سابقة وإن طال زمن اشتغاله.

ثالثا: بعض الباحثين يتعمد إخفاء الدراسات السابقة حال تماسها مع عمله.

من مرحلة الماجستير إلى بحوث الترقية من المنطقي أن تتناقص مساحات اتباع الباحث الآخرين وهي واحدة من سنن البحث العلمي الأصيل، وهناك مجموعة مبادي أساسية للتعامل مع الدراسات السابقة، من أهمها:

١- ضرورة الإحاطة بالدراسات السابقة قبل اختيار الموضوع فبعض الباحثين ينشغل بالحصول على المراجع ويسجل الموضوع وبعدها يكتشف ما يعد شكلا من أشكال التورط (حدث منذ خمسة أعوام تقريبا تلقيت اتصالا من باحث عراقي كان قد انتهى من رسالته للدكتوراه ولكنه اكتشف رسالة شبيهة بموضوعه فى جامعة الإسكندرية، وكان الباحث أمينا حين عاد لمشرفه الذي ضرب مثالا فى الأمانة العلمية حين كلف تلميذه بالحصول على الرسالة السابقة بأي ثمن للاطلاع عليها قبل المناقشة، كانت الرسالة، لم أكن أعرف الباحث ولكن احتراما للموقف تكبدت وقتا للتوصل إليه عبر سلسلة من الأصدقاء).

٢- يمكنك أن تقرأ المرجع بعد تسجيل موضوعك رسميا، لكن الدراسة السابقة لابد من الإحاطة بها قبل التسجيل فقد تتحول الدراسة السابقة إلى دليل اتهام بالتقصير (على أدنى تقدير) أو الاتهام بالانتحال (على أقصى تقدير) حين يقع الحافر على الحافر.

٣- يمكن للباحث ألا يتحصل على مرجع معين، ولكن ليس مقبولا منه أن يتقاعس فى الحصول على دراسة سابقة.

٤- أهمية قراءة الدراسة السابقة ودقة الاطلاع عليها لا تقل أهمية عن دقة الاطلاع على المصدر محل الدراسة.

٦ ـ قواعد البيانات والببليوجرافيات:

من الفرائض الغائبة عن بعض الباحثين العودة إلى قواعد البيانات والببليوجرافيات بوصفها أوعية معرفية يختبر الباحث فيها خطواته الأولى حيث تتكفل جميعها بالإجابة عن واحد من الأسئلة الأولى للباحث: هل موضوع بحثي مدروس سابقا؟ ومهما اعتمد الباحث على الذاكرة (ذاكرته أو ذاكرة أستاذه/ أساتذته/ زملائه/ أو غيرهم من المتخصصين) فإن حاجة الباحث لقواعد البيانات وقوائم الإنجاز والببليوجرافيات المتخصصة خطوة أساسية فى البحث (الببليوجرافيات المقصودة هنا على المستوى العربي وليس على المستوى المحلي لكل بلد عربي، فدائرة التكرار ليست وقفا على البيئة المحلية).

بالطبع هناك نقص واضح فى هذا الجانب وتغافل جد كبير من الأكاديميات العربية والمؤسسات الثقافية (أعني فى اللغة العربية وآدابها على وجه التحديد) والتغافل هنا يصل حد الإهمال، ينتج عنه بالضرورة معاناة الباحث مرة واحدة أو مرتين أحيانا:

- المرة الأولى قبل تسجيل البحث حيث يكون عليه تبين موضع قدمه ولا يكون أمامه إلا زيارة مواقع مئات الجامعات العربية للوقوف على موضوع اختاره للدراسة ويكون عليه معرفة النقطة الفاصلة: هل الموضوع سبق دراسته؟ (بعض الجامعات العربية لا تتيح قوائم الرسائل المنجزة فيها على مواقعها مما يجعل مهمة الباحث شبه مستحيلة).
- المرة الثانية بعد تسجيل بحثه للماجستير أو الدكتوراه واكتشاف أن الموضوع سبق تسجيله وهي ورطة لا يتوقاها بعض الباحثين.

فى أبحاث ما بعد الدكتوراه قد يكون الوضع أهون كثيرا فالباحث عند اكتشاف كونه مسبوقا فى بحثه لا يكون قد خسر كثيرا لأنه ليس مطالبا بالخطوات الإدارية التي يمر بها تسجيل الدرجات العلمية (الماجستير- الدكتوراه)، والأساتذة الخبراء يستطيعون تغيير وجهة البحث فى الموضوع ذاته بطرائق بسيطة يعرفونها جيدا.

دور القواعد والببليوجرافيات يتبلور فى أربع وظائف أساسية يكون على الباحث استثمارها:

١- تحديد نقطة الانطلاق.

٢- مد الباحث بالدراسات السابقة.

٣- منح الباحث قوائم المراجع.

٤- اقتناص أفكار بحثية وموضوعات جديدة صالحة للبحث (مجرد تصفح البيليوجرافيات يضع الباحث أمام خارطة يرى فيها مناطق الزحام والمناطق البكر التي لم يسبقه إليها أحد).

وهي وظائف يدرك الباحث الحقيقي دورها فى توفير الوقت والجهد، فالباحث الذي كان سابقا أو يكون عليه الآن أن يقضي شهورا طويلة فى جمع مادته، يمكنه من خلال قواعد البيانات التوصل لمادته فى غضون ساعات وأحيانا دقائق يستثمر فيها محركات البحث وقواعد البيانات والببليوجرافيات، وكثير من الباحثين يظلمون أنفسهم باستهلاك وقت ثمين فى اعتماد طرائق بدائية لم تعد صالحة للحظة التاريخية المعيشة ولا تتناسب مع ممكنات باحث مطلع الألفية الثالثة.

هامش مزدوج:

- في اللغة العربية وآدابها تفتقد الدراسات العلمية كثيرا من الببليوجرافيات فى تخصصاتها المختلفة (الأدب – علم اللغة – البلاغة - النحو.....).
- هناك فقط ببليوجرافيا نقد الرواية (منشورة ٢٠١٥)، ببليوجرافيا دراسات الشعر (قيد النشر)، ببليوجرافيا دراسات البلاغة (قيد الإنجاز) وجميعها جهود فردية لا تنتمي لأي مؤسسة أكاديمية.

٧ ــ المعاجم:

فى انضباطها تتطلب لغة البحث العلمي الاتصال المستمر بالمعاجم اللغوية تحقيقا لوظيفتين علميتين:

- ضبط المصطلحات الواردة فى البحث لغويا.
- تجنب استخدام مفردات غير دقيقة الدلالة وغير أصيلة فى اتصالها باللغة العربية.

وما أكثر المفردات الواردة فى أبحاث المتخصصين فى العربية وآدابها وهي أقرب للعامية منها للفصحى أولا أو يستخدمها الباحثون بدلالات لا علاقة لها بمعانيها الأصلية وهو ما يتطلب الاستعانة بالمعجم طوال الوقت.

بعض الباحثين يعتقدون أن عودتهم للمعجم مرهونة بتأصيل المصطلحات فقط، نعم من الممكن ألا يحتاج الباحث للمعجم فيما سوى ذلك، ولكن تبقى القضية فى كيفية استخدام المعاجم فى البحث العلمي، وهو ما سنوضحه فى المبادئ التالية:

أولا: الأساس فى العودة للمعجم اعتماد المعاجم الأصيلة أولا (لسان العرب على سبيل المثال)، فإن لم توجد المادة فى المعجم الأساس كأن تكون لفظة مستحدثة مثلا مما يستدعي العودة للمعاجم الحديثة.

ثانيا: أن يحسن الباحث إدارة المادة المستمدة من المعجم دون إثقال متن البحث بمادة أكثر من المطلوب، مثلا يعود الباحث لمعجم واحد أساسي فى المتن فإن كان هناك ما يستدعي العودة لأكثر من معجم فلتكن فى الهامش دون إثقال المتن.

ثالثا: أن يكثف الباحث ما ينقله من المعجم فلا يثقل المتن بكم أكبر من النص (بعض الباحثين لا يستثمر مادة المعجم بقدر ما يستغلها مكيلا الصفحات فى المتن دون حاجة لذلك والغريب أن تكون مساحة البحث لا تسمح بذلك بحوث الترقية على سبيل المثال)، الأصل فى التعامل مع المعجم أن يجتزئ الباحث موضع الشاهد من مادة المعجم دون أن يثقل البحث بمادة الجذر اللغوي كلها (في بعض البحوث يشعرك الباحث أنه تائه فميا ينقل من المعجم فيروح يضم للبحث صفحات من مادة لغوية بحثه ليس فى حاجة لها بالمرة).

رابعا: عند التوثيق فى الهامش نكتفي بذكر مادة الكلمة دون ذكر الصفحة فى المعجم أو رقم الطبعة وتاريخها مالم يستدع الأمر ذلك حال الضرورة العلمية.

خامسا: أن يكون المعجم الحاضر الغائب طوال الوقت لضبط لغة الباحث تجنبا الخروج عن صحيح اللغة وحقولها الدلالية.

٨-كتب المصطلحات:

واحدة من الأدوات الأساسية للبحث العلمي، والعودة لها تناظر العودة للمعاجم، فإذا كانت العودة للمعاجم ضرورة لضبط لغة الباحث وأسلوب البحث، فإن العودة لكتب المصطلحات – فى زمن اختلاطها – ضرورة معرفية أولا وعلمية ثانيا لخدمة التخصص.

فى كثير من الأبحاث لا تخطئ العين مشكلات استخدام المصطلح، وهي مشكلات تتراتب متراكمة على بعضها البعض ومن أبرزها:

١- فى تحرير المصطلح يعود الباحث للدراسات التطبيقية وليس للمراجع الخاصة بالمصطلحات، وتكاد هذه المشكلة تكون من أكبر المشكلات المتسببة فى الخلط أولا وسوء التطبيق ثانيا، وفى كثير من الأبحاث حين نتتبع مرجع الباحث فى تحرير المصطلح نجده يعود إلى دراسات تطبيقية فى كثير منها اعتمد أصحابها على فهمهم الخاص الذي قد ينحرف أحيانا عن الفهم الأصيل للمصطلح، والمشكلة مردها: تكاسل الباحث عن التوصل لكتب المصطلحات الأصلية، افتقاد الباحث القدرة على فحص ما يقرأ فبعض الباحثين يعانون من غياب الذائقة النقدية والعين الفاحصة تحكمهم فكرة: كل ما هو مطبوع صالح للاعتماد عليه.

٢- غياب المفاهيم الصحيحة للمصطلحات مما يترتب عليه انتشارها بصورتها العلمية الدقيقة.

٣- استطراد الباحثين فى رصد المصطلح بكل مفاهيمه المختلفة عند سابقيهم، وهو ما يثقل المتن بما يجب ان يكون فى الهامش، وهو ما يكشف عن تشويش فى ذهن الباحث وافتقاده القدرة على الفحص والانتخاب والترجيح مستقرا على مفهوم واحد أو ترجيح مفهوم على آخر، أو اختيار اقرب المفاهيم لموضوعه أو أقربها للدقة.

٤- التطبيق الخاطئ للمصطلح أو المفهوم وخاصة مصطلحات النقد النصي (راجع الأبحاث الخاصة بالأسلوبية، وبمفهوم الحداثة وما بعد الحداثة).

وعلى الرغم من دقة البحث العلمي وصرامته فى استخدام المصطلحات، فإن البحث العلمي أباح للباحث أن يصك مصطلحاته الخاصة على أن يصف ذلك المصطلح بتعبير: "مصطلح إجرائي"، يكون خاصا بالبحث، وللآخرين الحق فى استخدامه وقد يجد رواجا لديهم أن يظل رهين البحث الذي صُك من أجله.

حال مواجهة الباحث لاختلاف فى المصطلح بين مرجع وآخر أو بين ترجمة وأخرى لا يكون دوره رصد الخلافات فحسب، وإنما تتدخل شخصيته العلمية لتحديد أيها أقرب لموضوعه، وهنا يكون قد أجرى ما يمكننا أن نسميه "حسم إجرائي" للمصطلح لخدمة بحثه وكيلا يترك الأمور معلقة وإلا فليتجنب كل ذلك.

٩-المصادر والمراجع غير التقليدية:

خلال رحلة البحث يتعامل الباحث مع مصادر عدة للمعرفة، يكون فى حالة تواصل معها مرتحلا بين صفحاتها، ومحاورا أصحابها، متفقا مرات ومختلفا أخرى، والباحث الحقيقي يجعل من الكون كله من حوله مصدرا للمعرفة، ومرجعا للعلم. المصادر والمراجع نوعان:

١- المراجع التقليدية المعروفة والمتداولة: الكتب – الرسائل العلمية – الأبحاث العلمية – الصحف – المجلات – الأوراق العلمية المقدمة للمؤتمرات- الكتب المخطوطة.

٢- المراجع والمصادر غير التقليدية وغير المتداولة مفهوما وإن كانت معروفة للجميع، ومعظمها شفاهية غالبا وتتمثل فى:

- **الأشخاص:** المقابلات الخاصة ــ اللقاءات التلفزيونية ــ الاتصالات الهاتفية ــ التواصل عبر الوسائل المختلفة حديثا، ويكون توثيقها بذكر التاريخ والمكان واسم المصدر وطريقة التواصل (مثال: اتصال هاتفي مع فلان بتاريخ كذا/ لقاء تلفزيوني للباحث.... برنامج..... قناة..... الحلقة المذاعة يوم كذا الساعة كذا وإن كانت الحلقة متاحة على اليوتيوب يكون من الأهمية إدراج رابطها).
- **الندوات والمحاضرات وجلسات المؤتمرات:** الإشارة فى الهامش للندوة أو المحاضرة ومعلوماتها التوثيقية: عنوان المؤتمر وتاريخه ومكان انعقاده ((حال توفر تسجيل المؤتمر أو الندوة على اليوتيوب يدرج رابط التسجيل).
- **الأحاديث الإذاعية:** الإشارة فى الهامش لبيانات البرنامج التوثيقية: عنوانه – شبكة البث (اسم الشبكة) حلقة يوم كذا، اسم المتحدث، موضوع الحلقة (حال توفرها على اليوتيوب يدرج رابط الحلقة)

١٠-ملاحق الرسالة العلمية:

مجموعة من النصوص المعلوماتية غالبا والتوثيقية أحيانا يضيفها الباحث فى موضع محدد/ بعد انتهاء فعاليات الرسالة، تمثل إضافة معلوماتية لها قيمتها فى إطار البحث.

فى كثير من الأحيان تفضي رحلة البحث إلى تحصُّل الباحثين على مادة لا يدرك بعضهم كيفية الإفادة منها رغم كونها فرصة لإثراء البحث أولا وخدمة البعث العلمي

ثانيا، وتتوفر لديهم مالم يتوفر لغيرهم، وما سيكون متاحا لهم في زمنهم ولن يكون متاحا لآخرين في زمن لاحق، مثالا: باحث يشتغل على مشروع شاعر، وتواصل معه أو مع أسرته التي أمدته بوثائق ونصوص لم يطلع عليها أحد من قبل، قد تكون دراسة الباحث دراسة نصية مثلا أو منهجه لا يسمح له أن يفيد بشكل مباشر بالمادة المتاحة، عندها قد يرى الباحث أن ما توفر لديه لا يمثل قيمة علمية مباشرة لمشروعه، والحقيقة يكون من واجبه حفظ هذه المادة بوصفه حلقة وصل وقناة توصيل للآخرين، فرب معلومة تبدو بسيطة، ورب وثيقة تبدو غير مجدية، ورب غلاف كتاب يبدو خاصا بزمنه، كل هذه قد تكون مدخلا لباحث مدقق، وقد تسد خللا أو تكمل نقصا أو تغلق دائرة مفتوحة.

الملاحق نوعان:

- نوع معروف متداول: تتطلبه معظم البحوث (الفهارس مثالا): إجرائيا يهتم بعض الباحثين – وهي سنة حسنة- بإثبات مسرد لآيات القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو الأشعار الواردة في الرسالة، وهو ما يمثل ملاحق للرسالة وهو مالا يحض عليه معظم المشرفين ولا يتنبه له الباحثون وبعضهم يعده نوعا من أنواع الترف.
- نوع غير متداول/ غائب تتطلبه بعض البحوث (آثار شاعر أو أديب معين – أغلفة مؤلفات – نماذج خط الكاتب).

المادة متاحة غالبا، ولكنها خارج نطاق خدمة البحث العلمي، ومتتبعها يلاحظ:

- لم يعد معمولا بها في كل الرسائل.
- لم يعد المشرفون يشجعون تلاميذهم عليها.
- هي فريضة علمية حاضرة في قليل من الجامعات العربية (حد الندرة)، ولكنها غائبة تماما في معظم الجامعات العربية.
- هناك اعتقاد سائد بأن الرسالة هي المقدمة والفصول والخاتمة وقائمة المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات وما سوى ذلك ترف.
- لجان المناقشة لا تهتم بمناقشة الملاحق حال وجودها أو الإشارة على أهميتها حال حاجة البحث لها وغيابها من البحث.

- لا يهتم الباحثون بالإشارة إلى المتوفر من المادة لديهم جهلا بقيمتها وما يمكنها أن تؤديه للآخرين، وبعضهم يخفيها بفعل الأنانية.

خلاصة أولى: كل المواضعات تؤكد أن البحث العلمي يتطلب باحثين لهم مواصفات خاصة، هي مزيج من صفات الكرم والعطاء والتدقيق والتنقيب والشعور العميق بالمسؤولية، والإيثار وإعلاء قيمة الفريق ووو... ولكن.

خلاصة ثانية: البحث العلمي يشبه جري التتابع كل منا يقطع مسافة ليسلم الخشبة لمن يتابع، ولو أن السابقين عليك احتجزوا ما توصلوا إليه ما تعلمت شيئا.

١١- الملخص والمستخلص:

بعض التفاصيل ذات الأهمية، يتغافل عنها الباحث ويتجاوزها المشرف، ولا يهتم بها المحكمون (شركاء الباحث والمشرف).

بعد المناقشة وإجراء التعديلات (إن وجدت) تمر الرسالة بموافقة ثلاث جهات أساسية: القسم-الكلية - الجامعة، بعدها تستقر فى مكتبة الجامعة بوصفها وثيقة علمية معترفا بها، وتصبح صالحة لأن تكون مرجعا علميا مقبولا.

الرسالة فى المكتبة يتصفحها نوعان أساسيان من المهتمين:

- العربي، متخصصا أو غير ذلك.
- الأجنبي، متخصصا أو غير ذلك.

الرسالة فى المكتبة نسخة واحدة غير قابلة للإعارة الخارجية وإذا كانت المقدمة كافية لتشكيل صورة عن مضمونها للمتلقي المتخصص الممتلك وقتا للاطلاع عليها، فإن ملخص الرسالة ومستخلصها يتومان بالدور نفسه (التعريف بالرسالة) عند غير المتخصص وغير الممتلك وقتا.

الملخص:(SUMMARY)

صورة مصغرة من الرسالة، يكاد يكون فهرسا مصغرا لأهم خطوطها، يتشكل ملتزما ترتيبها على النحو التالي:

١- عنوان الرسالة واسم الباحث والمشرف (معلومات صفحة المرآة).

٢- نبذة عن موضوع الرسالة (فقرة واحدة تكفي).

٣- المنهج.

٤- إشكالية البحث.

٥- الأهداف:

٦- الفصل الأول (يدرج عنوان الفصل) متبوعا بتفرة قصيرة عن مضمونه.

٧- الفصل الثاني""""""""""""""""""""""""

٨- الفصل الثالث.""""""""""""""""""""""""

٩- أبرز النتائج والتوصيات.

الملخص يجذب المتخصص للرسالة مستوفيا المعرفة ببعض جوانب البحث، وتفاصيله يفهمها المتخصص، وقد لا يستوعبها غيره.

المستخلص:(ABSTRACT)

فكرة مضمونية، خلاصة معنوية للنص، تعبير عن الرسالة ومضمونها دون الاعتماد على النظام السابق للملخص، المستخلص فكرة أعمق عن النص، قارئ المستخلص ليس معنيا بالخطوات الإجرائية للبحث وغنما تهمه خلاصتها، الاستخلاص اصطفاء، قال تعالى في سورة يوسف(٥٤):(وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ).

للمستخلص مكونان أساسيان:

- معلومات الصفحة الأولى من الرسالة.
- الفكرة المضمونية للرسالة .

المستخلص يوجه غير المتخصص لمعرفة طبيعة الموضوع .

الملخص والمستخلص موجهان لأربعة أنواع من المتصفحين والقراء:

- الباحث المتخصص.
- الباحث غير المتخصص.
- القارئ العادي .
- المهتم بموضوع البحث من غير أبناء لغة البحث .

وهو ما يعني ألا يتغافل الباحث عن إدراجهما في الرسالة بوصفهما من الملاحق الكاشفة عن جهد الباحث وتمثل بطاقة تعريف بالبحث (على أيامنا كنا نحرص على وضع ملخص للرسالة وتصويره وتوزيعه لجمهور الحاضرين في قاعة المناقشة وتقديمه للإعلاميين المهتمين بنشر الأخبار العلمية، وهو ما يغيب عن ذهن الباحثين الآن إذ يمكنهم وضع الملخص ونشره مع إعلان المناقشة أو نشره عبر الجروبات المختلفة وما أكثرها، فكثير من الرسائل يتشوق الباحثون أو المهتمون أو حتى القراء لمعرفة مضمونها حين مطالعة الإعلان عنها، كما يعد وسيلة تقريب بين القارئ والبحث العلمي).

الأبحاث العلمية المحكمة والمنشورة في مجلات علمية محكمة يناسبها المستخلص وليس الملخص، ويكاد الجميع (الباحث – هيئة تحرير المجلة – لجنة التحكيم) يخلطون بين الاثنين، فالمجلة تطلب ملخصا للبحث باللغتين العربية والأجنبية في حدود ١٠٠ كلمة والأدق كونه مستخلصا وليس ملخصا .

الملخص (صفحتان)، والمستخلص (صفحة واحدة أو أقل) مكانهما في نهاية الرسالة (قد يتقدم المستخلص ليكون في بداية الرسالة)، وقد بدأت بعض الجامعات تشترطهما بلغة الرسالة وبلغة أخرى (الإنجليزية غالبا)، والباحثون – غير مدركين أهميتهما – يؤديانهما بآلية أو بتأفف على كره، دون إدراك القيمة أو الدور الإعلامي والتعريفي بهما .

١٢- الصعوبات التي واجهت الباحث:

لكل عملية بحث متعتها (لدى الباحث الموهوب طبعا)، وأحيانا تواجهها بعض الصعاب التي تذوب في سياق المتعة (في ظل النظرة الاجتماعية للعلم قد يواجه الباحث أحيانا بعقبات نفسية يكون عليه تجاوزها).

إن كل عملية بحث تجربة إنسانية وما كان للبشرية أن تتقدم دون خبرات تتناقلها الأجيال وتتوارثها الأمم والشعوب والأفراد، كل تجربة حالة قائمة بذاتها وإن بدا ظاهرا تشابهها، قد تتشابه المقدمات والمظاهر ولكن لا تتشابه الإجراءات والنتائج، وإن تشابهت الإجراءات فلن تتشابه النتائج وهكذا، فكل منا له طريقته وطرائق تفكيره في تجاوز المشكلات وتذليل المصاعب.

الباحث حين يدرج الصعوبات التي واجهته ينقل خبراته إلى اللاحقين (شريطة ذكر كيفية تجاوز هذه المشكلات)، ويكاد الباحثون فى الغالب الأعم يكتفون بذكر الصعوبات التي واجهتهم بوصفها مجرد فقرة لابد من إدراجها، وبعضهم يخترعها اختراعا، والفريضة الغائبة فى هذا الجانب هي ذكر الحلول التي اعتمدها الباحث، والنوع السائد من الباحثين الذي يعتقد أن دوره يقتصر على تنظيم المادة ونقل أفكاره وآرائه ومعلوماته لمتلقيه هو باحث ينقصه النضج وعليه إعادة النظر فى معتقداته.

معظم الصعوبات تتكشف قبل البدء فى البحث مما قد يترتب عليه تأخير البحث أو تأجيل العمل وجميعها تتوقف على قدرات الباحث ومساحة حركته ومهارته فى التواصل مع الأفراد والمؤسسات لتجاوز المشكلات البحثية.

ومن أبرز الصعوبات التي تواجه الباحث:

١- **تحديد موضع القدم:** معرفة كون الباحث مسبوقا فى دراسة موضوعه، فأول سؤال يواجه الباحث حين يقرر العمل فى موضوع ما: هل الموضوع مدروس من قبل؟ وكيف أستكشف ذلك؟

يمكن للباحث الاعتماد على: محركات البحث عبر الإنترنت – البيليوجرافيات المتخصصة – قواعد بيانات الرسائل العلمية على مواقع الجامعات - قوائم المصادر والمراجع فى المؤلفات أو الرسائل– قوائم النشر الخاصة بدور النشر- فهارس المكتبات العامة – فهارس المكتبات الإلكترونية- فهارس المجلات العلمية المحكمة.

٢- **افتقاد المصادر:** حين يكون عملك على شاعر ما مثلا تعرف أنه موجود ولكن ديوانه أو أحد دواوينه ليس متاحا، فى حال الديوان الواحد ليس هناك مفر من التأجيل، وفى حال كان للشاعر أربعة دواوين مثلا وحصل الباحث على ثلاثة منها يمكنه البدء فى العمل مع استمرار البحث حتى إذا توصل للناقص يكمل به عمله، فإذا لم يصل للديوان الأخير فإن البحث العلمي يمنحه الحق فى الإشارة إلى فقدان الديوان ولم يتمكن من الحصول عليه شريطة طرق كل الأبواب المتاحة للحصول على الديوان.

٣- **افتقاد المعرفة بالمراجع:** فى ظل غياب البيليوجرافيات وقواعد البيانات وقصر بعض الجامعات العربية قواعد بياناتها على منسوبيها قد يواجه الباحث صعوبة التوصل لمراجع خاصة بموضوعه وهنا يكون عليه الاعتماد على: محركات

البحث عبر الإنترنت – قوائم المصادر والمراجع فى المؤلفات أو الرسائل أو الأبحاث العلميـة ذات الصـلة بموضـوعه أو بمجـال عملـه – قـوائم النشـر الخاصـة بـدور النشر...إلخ من السبل المتاحة للبحث.

٤- **ندرة المراجع:** تمثل صعوبة لدى الباحث المبتدئ، ولكنها لا تعد كذلك عند الباحث الخبير ممتلك الأفكار والرؤى الخاصة، الأول قد يؤجل البحث والثاني يستمر معتمدا على ما يملك.

٥- **معرفة المراجع مع صعوبة الحصول عليها:** مع صعوبة حركة الكتاب العربي فى نسخته الورقية قد يصعب على الباحث الحصول على كتاب منشور فى مكان ما، وقد أتاحت التكنولوجيا وسائل تواصل مع الناشرين أو المكتبات الإلكترونية أو مع المؤلفين أنفسهم أحيانا لتجاوز مشكلة صعوبة الحصول على الكتاب.

٦- **مرجع متاح ولكنه بلغة أخرى:** يمكن للباحث الاعتماد على مترجم لترجمة أجزاء من الكتاب.

١٣- التوصيات:

يحرص بعض الباحثين على اتباع النتائج بتوصيات تبلورت من خلال رحلة البحث وتكشف عن دائرة اشتغال الباحث، ومساحة اهتمامه، ومن سماتها:

- التوصيات نتائج خارج البحث.
- خبرات يكتسبها الباحث.
- أفكار لم يتطرق إليها أو تطرق إليها جزئيا وماتزال صالحة للدراسة.
- اكتشافات الباحث التي يروق له تقديمها للآخرين.

التوصيات تدل على:

- موهبة الباحث فى اقتناص الأفكار والتفكير بعمق واستكشاف المجال الحيوي لموضوع بحثه.
- وعي الباحث وشمولية تفكيره فما من موضوع بحثي إلا ويطرح أفكارا جانبية صالحة للدراسة، والمعروف أن البحث يولد بحثا وأكثر الباحثين اكتنازا بالأفكار أولئك الذين ينشغلون بالبحث دوما.

التوصيات نوعان:

- توصيات عامة تخص المجال المشابه: أن تدرس شاعرا من مدرسة أو من بيئة أدبية أو من عصر ويكون موضوعك واحدا من موضوعات المدرسة وقد أفضت بك الدراسة إلى اكتشاف مجال أوسع.
- توصيات خاصة تخص موضوعك على وجه التحديد: اكتشاف قضية فنية عن الشاعر الذي درسته.

الباحث الذي تجمعت لديه عدة أفكار أو انتهى به البحث إلى عدد من الموضوعات الصالحة للدراسة يكون له حرية التصرف بواحدة من الطرق التالية:

- طرح كل ما توصل إليه من أفكار للباحثين لدراستها بمعنى إدراجها فى التوصيات لتكون متاحة للجميع.
- طرح البعض والاحتفاظ بالبعض الآخر ليتولى هو دراسته لاحقا، وهذا حقه المطلق لا جدال فى ذلك.



اصنع ببليوجرافيتك
وأقم قواعد بياناتك (اصنع ذاكرتك)

- أنت باحث في بداية حياتك البحثية.
- أنت باحث بدأت رحلتك العلمية منذ سنوات.
- أنت باحث خبير.

في كل الأحوال أنت تتعامل مع المعلومات طوال الوقت، منطقيا هناك مساحة من التراكم المعرفي (على الأقل فيما يخص المراجع والمصادر وفيما يخص مناطق الازدحام في البحث)، ولكن من غير المنطقي ألا تعتمد على التدوين لأنك ببساطة أنت في حاجة إلى عدم الثقة في الذاكرة.

مشكلة الباحث العربي الاستنامة للذاكرة، يعتقد دائما إنه سيتذكر أو أن من علامات الجودة حفظ عناوين الكتب والمراجع، وهي نظرية غير صحيحة أو على الأقل غير دقيقة.

طوال الوقت ستمر عليك عناوين كتب ومراجع وأبحاث وسترد على ذهنك أفكار، ومن المبادئ الأساسية في البحث العلمي: كلما شغلت نفسك بالبحث وأدواته ومنهجيته فالأفكار تتوارد إليك وتتدفق باستمرار، والذين لا يجدون أفكار للبحث هم الكسالى الذين ينتجون بحثا كل سنة أو أكثر وبقية الوقت هم في حالة من الفراغ العلمي والكسل المعرفي تدخلهم في نفق الخمول لا محالة.

خروجا من هذه الحالة يلزم الباحث أن يعتمد بعض الإجراءات البسيطة التي لا تكلفه شيئا شريطة أن تكون واحدة من عاداته الإجرائية في البحث العلمي:

١- اعتمد التدوين طوال الوقت موسعا آفاقك المعرفية بتسجيل كل ما هو متوقع نسيانه (تعامل مع الأمر وفق قاعدة الذاكرة المثقوبة: كل المعلومات قابلة للنسيان).

٢- سجل ملاحظاتك وأفكارك مهما بدت غير واضحة وغير مواتية لحظة التسجيل، بعض الأفكار كالبشر تولد صغيرة وتحتاج وقتا للنمو والنضج.

٣- اصنع قواعد بياناتك وببليوجرافياتك الخاصة: فى كمبيوترك الشخصي اجمع المراجع الإلكترونية (PDF) فى فولدرات حسب التخصص والموضوعات (فولدر خاص بالنقد مثلا، وآخر خاص بالشعر، وآخر خاص بالسيميائية مثلا وهكذا)، أحيانا لا نتذكر عنوان كتاب معين فى مجال ما ولكن يمكننا أن نتذكر مجالا معينا أو قطاعا رئيسيا فى العلم، مع مرور الوقت تتزاحم الملفات فى جهاز الكمبيوتر مما يصبح معه استحالة التوصل لملف ما لا نتذكر عنوانه، ولسهولة الحصول على الملفات، تعود على:

- حفظ ملفات (PDF) بعنوان الكتاب واسم المؤلف حتى إذا ما نسيت عنوان الكتاب تذكرت اسم المؤلف والعكس.
- الاستعانة بمحركات البحث على جهازك (هناك برمجيات صغيرة الحجم يمكنها القيام بذلك بالإضافة لما هو متوفر فى الويندوز، منها على سبيل المثال برنامج everything الذي يبحث لك بكل سهولة عن كل شيء فى جهازك).

(فى مرحلة الماجستير فى منتصف التسعينيات – قبل ظهور قواعد البيانات الإلكترونية- كنا نطوف على المكتبات العامة نسجل المراجع الخاصة بنا حتى إذا ما احتجنا أحدها نعرف مكان وجوده بسهولة الآن يمكن بسهولة تسجيل كل ذلك إلكترونيا).

٤- حوّل سيرتك الذاتية إلى قاعدة بيانات خاصة بك تعود إليها عند الحاجة: مثلا عند تسجيل بيانات المؤتمرات والندوات التي شاركت فيها احرص على تسجيل عنوان بحثك – عنوان المؤتمر – مكان انعقاده – تاريخه، وكذا عناوين المحاضرات، الرسائل التي أشرفت عليها، والأبحاث التي حكمتها أو الذين قمت بالمشاركة فى ترقيتهم، ستقدم خدمة عظمى للباحثين حين تسجل هذه الأبحاث: عناوينها وأماكن نشرها، أولا: ستعطي سيرتك الذاتية مصداقية وموثوقية، وثانيا: ستحولها إلى قاعدة بيانات يهتدي بها الباحثون (يحدث كثيرا أن يقرأ أحدهم سيرتي الذاتية فيجد بحثا يعد مرجعا فى موضوع يشتغل فيه أو ينوي الاشتغال فيه مما يسهل عليه التوصل للبحث).

(٢٩)

من مشكلات البحث العلمي

(١) الدوائر الضيقة : (الموضوعات) .

البحث يعني حركة مادية ومعنوية ، وأن تبحث يعني أن تتحرك بين الكتب والأفكار والمكتبات والمفكرين والأدباء.

عملية البحث هي بالأساس استكشاف، إضافة لما هو كائن، توسيع لمجال الرؤية وصولا إلى تعميق نقطة محددة تضيف إلى المتلقي مالم يكن قادرا على التوصل إليه لولا جهد الباحث.

فى مطلع الألفية الثالثة ونحن على قرابة ربع القرن منها لا يخطئ المتأمل فى حال البحث العلمي ضيق مساحات الحركة ، حركة الباحثين إلى الحد الذي يشعرك أن الجميع يتحركون فى دائرة أضيق من قاعة صغيرة دون محاولة استكشاف مساحات جديدة هي من صميم مخرجات البحث العلمي.

الدوائر الضيقة فى البحث العلمي ترجع إلى:

- خلل التكوين وضحالة المنشأ : نظام التعليم القائم على التلقين لا ينتج باحثين بقدر ما ينتج معلبات تجعل من أي وزارة تعليم "وزارة تعبئة وتعليب".
- ضيق أفق الباحث أو تكاسله: غياب الدافعية ومن قبلها غيب الاستعداد النفسي، يضاف إليها أو ينتج عنها ضعف إمكانياته العلمية والمعرفية والمنهجية.
- افتقاد عدد كبير من الباحثين روح الإبداع والابتكار: غاب الباحث الموهوب لصالح الباحث الموظف.
- غياب المشرف ودوره الأكاديمي والإنساني: وندرة القدوة العلمية والإنسانية.

فى مظهرين أساسيين يتجلى ضيق الأفق: الموضوعات ــ المراجع.

١- **الموضوعات**: بعض الموضوعات تتحول إلى موضة: مرة الحداثة، ومرة ما بعدها، ومرة البنيوية، ومرة الأسلوبية، وهلم جرا ، كأنها موضوعات مسكوكة لا روح فيها، يعود الباحث لموضوعات تراثية دون أن يدرك كيف يستخرج منها جوهرا،

ويعود لموضوعات عصرية دون أن يدرك حقيقة ما تقدمه من جماليات ولا ما تطرحه من أفق حضاري للعصر.

بات من النادر أن تجد موضوعا نابعا من روح الكاتب أو آفاق العصر، موضوعات تتناسل من موضوعات محتفظة بجينات من السطحية، وتكاد تخلو من فكرة جديدة أو اكتشاف نص جديد أو مقاربة مشروع شعري جديد لم يدرس من قبل بمستوى ما من مستويات العمق.

وفى الوقت الذي تتزاحم فيه الموضوعات المكررة هناك مئات الشعراء والروائيين وآلاف الأعمال الشعرية وآلاف الروايات لم تقاربها المؤسسة الأكاديمية ولا يعرف عنها الباحثون الأكاديميون شيئا.

التكرار المقصود هنا نوعان:

١- **مقبول بدرجة ما:** دراسة شاعر أو ديوان وفق منهج مختلف، وهو إن كان مقبولا علميا ولكنه قد يشير إلى افتقاد الباحث الطموح لاستكشاف أرض بكر يمتلك زمام الريادة فيها.

٢- **غير مقبول تماما:** تكرار موضوعات بعينها ودراسة موضوع واحد مرتين وخاصة فى المناهج الموضوعية أو فى دراسة مضمون شعري معين كأن يدرس باحثان مثلا ظاهرة الاغتراب عند شاعر معين، أو يدرس باحثان موضوع قضايا المجتمع عند شاعر معين، وهكذا.

أسباب التكرار هي نفسها أسباب ضيق الدوائر يضاف إليها اعتقد بعض الباحثين أن عودتهم للتراث – ليس حبا فيه-   ولكن لأنهم سيجدون من عبّد لهم طرقا فيه وهو ما يجعلني أدخل الأساتذة والمشرفين فى دائرة أسباب الضيق وأسباب التكرار.

إن فهمنا للأدب العربي بوصفه قديما وحديثا هو من قبيل القسمة الظالمة فهناك منطقة وسيطة مليئة بالمبدعين وأعمالهم أسميها بالتراث الوسيط تتمثل فى قرنين من الزمان من منتصف القرن الثامن عشر وحتى منتصف القرن العشرين (دون تحديد صارم)، على سبيل المثال قبل شوقي كان هناك شعراء، وفى عصر شوقي وما بعد شوقي كذلك ولكن هناك عشرات من الباحثين والأساتذة الأكاديميين لديهم اعتقاد راسخ أن أحمد شوقي آخر شعراء العربية!.

مئات الدواوين لمئات الشعراء خارج نطاق الخدمة البحثية، يكفي التمثيل بهذه القائمة القصيرة التي تمثل ١١٪ من قائمة أحصيتها الشهر الماضي (القائمة مرتبا هجائيا والدواوين متاحة في نسخ إلكترونية (PDF) لمن يريدها:

١- أسعد رستم: **ديوان رستم**، المطبعة الأدبية، بيروت ١٩٠٨ (٤١٢ صفحة).

٢- جرجي شاهين عطية: **ديوان نسمات الصبا في منظومات الصبا**، المطبعة العثمانية، بعبدا ١٩٠٤ (١١٦ صفحة).

٣- **ديوان أحمد الماجدي**، مطبعة السعادة، القاهرة، ط٢/ ١٩٠٦(٦٤ صفحة).

٤- **ديوان أمين الجندي**، مطبعة المعارف، بيروت ١٩٠٣ (٤٦٠ صفحة).

٥- **ديوان بليغ الشعراء وخاتمة الفصحاء معتوق الموسوي**، المطبعة الميمنية، القاهرة ١٩٠٤ (١٩٢ صفحة).

٦- **ديوان تذكار راغب وصبري**، مطبعة الأخبار، القاهرة ١٩٠٦(١٠٤ صفحات).

٧- **ديوان فياض** جـ١، المطبعة الأمريكانية، بيروت ١٩١٨ (١٠٦ صفحات).

٨- رشيد بن حنا مصوبع: **ديوان النخبة**، مطبعة السلام، القاهرة ١٩٠٢(٧٢ صفحة).

٩- صلاح لبكي: **أرجوحة القمر**، منشورات المكشوف، بيروت ١٩٣٨(٦٢ صفحة).

١٠- فارس الخوري: **وقائع الحرب**، مطبعة الأخبار، القاهرة ١٩٠٦.

١١- ميليا مالك: **ديوان ميليا**، إدارة مطبعة ومكتبة الشباب، القاهرة ١٩٢٨(٤٠ صفحة).

١٢- نجيب ليان: **نغمة الشباب، مجموعة شعرية نثرية**، المطبعة المارونية، حلب ١٩٢٠(١٣٦ صفحة).

١٣- نجيب مشرق: **المشرقيات**، مطبعة القديس بولس، حريصا (لبنان) ١٩٣١ (٢١٦ صفحة).

١٤- نسيب أرسلان: **روض الشقيق في الجزل الرقيق**، مطبعة ابن زيدون، دمشق ١٩٢٥ (٢٨٨ صفحة).

(٢) الدوائر الضيقة: (المراجع).

منذ سنوات وصلتني خطة بحث مقدمة للتسجيل لدرجة الدكتوراه، كان موضوعها – على ما أتذكر – **"السرد عند جبران خليل جبران"**، نظرة واحدة على الخطة تكشف

أن صاحبها لم يقرأ جبران قراءة الباحث، فالمخطط مجموعة افتراضات لا صدى لها فى إنتاج الشاعر، ولم تكن هذه المشكلة الوحيدة فنظرة أخرى إلى قائمة المراجع تتكشف عن مشكلة أشد، الباحث بكل بساطة نقل قائمة المراجع من رسالة أخرى (نوع جديد من الاستلال قد يمر بسهولة على التحكيم والفحص)، وقد تأكدت من ذلك حين عرضت الخطة بكاملها على برنامج Turnitin، وهو شكل من أشكال التدليس العلمي له ممارسوه وما أكثرهم.

الواقعة تمثل مظهرا من مظهرين لحركة الباحثين فى دائرة ضيقة، المظهران هما:

- استلال قائمة المصادر والمراجع فى الخطط أولا وفى الأبحاث ثانيا، بعض الباحثين يعتقد أن كثرة المراجع وطول قائمتها نوع من الجودة فلا يتورعون عن إضافة مراجع لم يعتمدوا عليها لتنمية القائمة ويعتمدون على أن كثيرا من المحكمين لا يدققون، وقليل منهم من ينتبهون للمفارقة القائمة بين المراجع الواردة فى متن البحث والمراجع الواردة فى قائمة المصادر والمراجع.
- تكرار بعض المراجع فى موضوعات معينة رغم وجود مراجع أخرى، يتذرع البعض بعدة ذرائع من بينها:

١- قلة المراجع فى موضوعات بعينها.

٢- صعوبة الحصول على مراجع معينة يعرفونها ولكنهم لا يستطيعون التوصل لها.

ظاهريا هي أسباب منطقية، ولكن من الصعوبة بمكان قبولها علميا، فى المناقشة على سبيل المثال إذا كان الباحث لم يعد لمرجع معين معروف وأساسي فى الموضوع فالباحث لديه خياران أحدهما مقبول (أن يرد بقوله: اطلعت على المرجع ولم أجد فيه إفادة لي فهذا رأيه ولا تثريب عليه)، وثانيهما غير مقبول (لم أستطع الحصول على المرجع)، مما يعني أن هناك مراجع أساسية فى الموضوع على الباحث التوصل لها مهما كانت درجة صعوبة التوصل لها (في ظل ما تتيحه المكتبات الإلكترونية لم يعد من المقبول تذرع الباحث بصعوبة الوصول للمرجع) وهناك مبدأ أساسي حاكم فى هذا الجانب: أن تطلع على المرجع ولا تفيد منه خير من ألا تطلع عليه وتتذرع بصعوبة التوصل له.

فى تصميمها استمارات التحكيم تدرج المجلات العلمية المحكمة بندا أساسيا من بنود الاستمارة " حداثة المراجع وتنوعها "، فهو واحد من أهم بنود جودة البحث ووعي الباحث وسعة اطلاعه التي تترجمها تنوع المراجع وحداثتها وليس عددها فقط.

نعم هناك مراجع أساسية في موضوعات بعينها، ولكن هذا لا يعني مطلقا أن تتكرر المراجع مستلة من أبحاث أخرى مهما تقاربت موضوعاتها، فحركة الباحث وما يبذله من جهد أو يتكاسل عنه ينتج عنه نوعان من الباحثين (ولاحقا الأساتذة):

- الباحث الكسول: يتعود على التكاسل المعرفي في بداية حياته يظل على حاله حين يكون أستاذا مشرفا (من شب على شيء شاب عليه، وفاقد الشيء لا يعطيه).
- الباحث النشط: يبذل جهدا في البحث في مراحل حياته العلمية الأولى، تتوافر له خبرات غاية في الأهمية والإفادة في قابل مستقبله العلمي (العرق في التدريب يوفر الدم في القتال).

مجرد مثال:

في موضوع المكان مثلا يكاد كتاب " جماليات المكان لباشلار" يمثل مرجعا أكثر تكرارا، يعود إليهم الباحثون على اختلاف مناهج البحث ، فالكتاب يخدم المناهج الموضوعية أكثر من خدمته المناهج النصية، وإذا كنا في منتصف التسعينيات على سبيل المثال نعاني في دراسات المكان التي لم تكن بهذا الكم من الكثرة كما هو الوضع الآن حيث تعددت المراجع والأبحاث الأحدث في المكان (يكفي الإشارة على سبيل المثال لكتابي الدكتور صلاح صالح: قضايا المكان الروائي الصادر عن دار شرقيات بالقاهرة في طبعته الأولى ١٩٩٧، وفي طبعته الثانية عن دار فواصل ٢٠١٩، وكتابه الثاني الرواية العربية والصحراء الصادر عن وزارة الثقافة في دمشق ١٩٩٦).

(٣) الحجم والكم:

من أبرز القضايا الخلافية بين الباحثين فيما بينهم، وبين الباحثين والأساتذة، قضية الحجم، حجم الرسالة وكم إنتاج الباحث، وهل هناك عدد صفحات محدد للبحث؟

التحديد الوحيد هو ما تضعه المجلات العلمية المحكمة وهو تحديد موضوع لاعتبارات تقنيات الطباعة أكثر منه موضوعا لاعتبارات البحث العلمي، وغالبا سنجد التحديد يدور حول ٢٠ صفحة بوصف هذا العدد يكاد يكون المعيار المتعارف عليه منذ القدم في تحديد المقالة بمعناها العلمي.

تضخم البحث هو المشكلة بالأساس وفي عصر أصبح لزاما على الباحث أن يستخدم لغة محددة، واضحة، دالة، مكثفة تصل بخطابها من أقصر الطرق (سنعود إلى لغة

البحث ومواصفاتها فى حلقة قادمة بمشيئة الله)، نجد أبحاثا ذات لغة مترهلة وصفحات لا تخرج منها بفكرة أو معلومة أو تغير فى كيمياء متلقيها شيئا.

المظهر الأبرز للقضية:

- موضوع منطقية معالجته تفرض قرابة مائة صفحة مثلا، تجده فى أكثر من مائتي صفحة.
- إصرار بعض الباحثين على بدء العلم من أوله، وعند دراسة أي موضوع لا يدركون أين يجب عليهم أن يضعوا الخطوة الأولى فى البحث.

أسبابها:

١- **المفاهيم غير الصحيحة لدى الباحثين ومشرفيهم:** وهي مفاهيم تنتصر للكم على حساب الكيف (مرة سمعت باحثا يصرح أن حجم الرسالة الكبير وظيفي ليشغل المحكمين فى الحجم فيتوهون فى الصفحات ويستغرقهم الكم، فلا يدققون فى التفاصيل، وحجم الرسالة الصغير يجعل المحكمين يدققون فى التفاصيل وهو مالا يعد فى مصلحة الباحث) ووصل الأمر ببعضهم أن يقول: دع الأخطاء اللغوية أو بعضها لينشغل بها المحكمون فهناك منهم من لا يشتغل إلا عليها !)، ولا يخفى أن باحث الأمس الذي انشغل بالكم وتربى عليه هو أستاذ اليوم المشرف الذي لا يرى من البحث إلا كمه ولا يفضل فى الرسالة إلا حجمها (الكبير طبعا).

٢- **الطريقة المدرسية فى تحليل النصوص الشعرية خاصة:** وما أكثر الباحثين الذين لا يتقنون من التحليل سوى الطريقة التي يقفون فيها عند كل بيت بطريقة شديدة الملل ويروح يسود الصفحات تلو الصفحات فى معاني الكلمات ومعاني الأبيات منفصلة مقطعا أوصال التصيدة ومشرذمها، وتكاد مشكلة تحليل النصوص تمثل واحدة من أبرز مشكلات الباحثين العرب الآن (الشباب منهم خاصة).

٣- **تخبط الباحث وافتقاده لفهم موضوعه:** من يعرف طريقه يسير سريعا ومن يجهل طريقه يتباطأ خوف التيه، مبدأ تترجمه كثير من الأبحاث والرسائل التي يظل الباحث طوال الوقت يبحث عن فكرة أو ثغرة ينفذ منها ليصل إلى فكرة

محددة، هو لا يفهم موضوعه (وأسباب ذلك كثيرة) فكيف يفضي به إلى نتائج علمية؟!.

٤- **غياب الحس الإبداعي فى التعامل مع البحث العلمي:** نسبة كبيرة جدا من الباحثين يفتقدون لحس الإبداع والابتكار مما يجعلهم يؤدون عملا روتينيا لا مجال فيه لإبداع هو سمة أصيلة فى البحث العلمي الحقيقي.

٥- **افتقاد الوعي بالمفردة اللغوية وفقدان الذائقة اللغوية:** باحث لا يدرك من اللغة إلا نحوها وصرفها (بنسبة ما طبعا)، كيف يقدم بحثا فى حدود علمية، فاللغة ذائقة بالأساس ومن لا يتعامل معها بوعي من التذوق كانت بالنسبة له كالأعمى الذي يقلب صورا لا يدرك ما فيها من جمال.

نماذج دالة:

- كتاب فن الشعر لأرسطو الموضوع قبل خمسة وعشرين قرنا من الزمان سابقا كل الإنتاج البشري ومازال صالحا للقراءة واكتشاف جواهره (الكتاب موضوع قبل عام ٣٢٣ قبل الميلاد)، لا تزيد كلماته عن عشرة آلاف كلمة ولا تزيد صفحاته عن خمس عشرة صفحة ولا تزيد ترجمته فى أي لغة عن خمسين صفحة (ينظر مقدمة الدكتور إبراهيم حمادة فى ترجمته للكتاب الصادرة عن مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة ١٩٨٣).
- محاضرات سوسير المترجمة بعنوان "محاضرات فى علم اللغة العام" أو "فصول فى علم اللغة العام" أو "محاضرات فى اللسانيات العامة" وتعد الأساس العلمي للنقد النصي ومعروف تأثيره فى اللسانيات وعلومها، الكتاب فى أصله الفرنسي الصادر عام (١٩١٦) يتجاوز ٣٠٠ صفحة (٣٥٩) فطبيعته التأسيسية والتنظيرية تتطلب ذلك، وهذا ما نجده فى المؤلفات الكبرى المؤسسة للنظريات مثلا (الوجود والعدم لسارتر تصل ترجمته العربية قرابة ١٠٠٠ صفحة، مورفولوجيا الحكاية الخرافية لفلاديمير بروب تتجاوز ترجمته ٣٠٠ صفحة، رأس المال لكارل ماركس تتجاوز ترجمته ٧٠٠ صفحة.

النموذجان محكومان بطبيعتهما، النموذج الأول (قليل الصفحات) كاف فى كمه لا نقص فيه، والنماذج الأخرى (كبيرة الحجم) دالة فى حجمها لا زيادة فيها ولا ترهل وفى ثقافتنا العربية لدينا آلاف النماذج لآلاف الكتاب قديما وحديثا يعالجون

موضوعات تأليفهم دون زيادة ودون ترهل ويصلون إلى ما يريدون الوصول غليه من أقصر طرق الوصول.

منطق البحث العلمي يقوم على أن حجم البحث محكوم بعاملين أساسيين:

- **موهبة الباحث وخبراته:** طبيعة اللغة الإبداعية التي يعتمدها الباحث وخبراته فما يكتبه الباحث فى ٢٠٠ فى الماجستير، يقل إلى ١٥٠ فى الدكتوراه، ويصل إلى ٣٠ صفحة أو أقل فى الأبحاث العلمية المحكمة (المجلات الآن تحدد عدد كلمات او عدد صفحات لا تزيد عن ٢٠ صفحة)، والباحث الحقيقي من يستطيع أن يقول ما يريد فى أقل عدد من الصفحات أو فى الصفحات المحددة أيهما أقرب، وهناك باحث يوصل فكرته فى ٢٠ صفحة، وآخرون يحتاجون إلى ٧٠ صفحة يتخبطون فيها بين العناوين والمصطلحات دون أن تدرك فى النهاية ماذا يريدون أن يقولوا.
- **طبيعة الموضوع:** نعم هناك موضوعات تتطلب تأسيسا معرفيا (قليلة هي الموضوعات ذات الأفكار الجديدة تماما التي تصنف كذلك) مع الإقرار بأن متطلبات البحث العلمي فى الرسالة العلمية (الماجستير والدكتوراه) تتطلب من الصفحات ما يفي بهذه الجوانب (مقدمات وفهارس وملخصات ومستخلصات إلى آخره)، لكن الأمر يختلف تماما فى الأبحاث المحكمة التي تكاد الأزمة تنحصر فيها فلا تفهم كيف يصل بحث حول موضوع تطبيقي مثلا إلى ١٠٠ صفحة فيما يمكن معالجته فى ٣٠ صفحة على أقصى تقدير مما يعني أن هناك أكثر من نصف حجمه صفحات لا تقدم ولا تؤخر.

في النهاية لا أطالب الباحث بالتحديد الصارم وإنما بكيفية إدارة بحثه كيلا يأتي فائضا عن الحاجة وعبئا على متلقيه وركاما من لا شيء.

(٤) الإشـــراف:

المشرف أستاذ علميا، خبير معرفيا، صديق ووالد إنسانيا، وشريك فى الدرجة العلمية قانونيا، هو أب بدرجة أستاذ وأستاذ مشرف بدرجة إنسان.

هو ناقل خبرة قبل أن يكون معلما، وموجه قبل أن يكون صديقا، ومدرب قبل أن يكون مسددا لخطوات تلميذه.

إداريا دور المشرف معروف، وهو الوجه الظاهر أو السطح المكشوف للمشرف، لكن وراء ذلك هناك وجوه عدة لعلاقة الطالب بأستاذه المشرف، وجوه تترجمها حكايات

ومواقف لأساتذة وصلوا قمة العطاء الإنساني، جيلي والأجيال السابقة لدينا جميعا من القصص التي تترجم مواقف أساتذة عظام (في سياق لاحق سأفرد مساحة لعدد من هذه القصص والمواقف ولن أتطرق للمواقف السيئة كيلا نكرس لها).

حتى الآن قد تبدو الصورة وردية ومن حق سائل أن يسأل وأين القضية؟، القضية أن الصورة السابقة لم تعد متحققة بالقدر الذي نتصوره، والأجيال التي تكتنزها مواقف أساتذتنا لم تعد تتكرر، وهذه الحلقة ليست مكتوبة للشخصيات المضيئة فقط سنشد على أيديهم فكل المعاني لن توفيهم حقهم، ويمكننا اختزال الأمر فى كلمات قليلة: هم عظماء، عرفوا دورهم وأدوه على أكمل وجه.

القضية فيمن يشكلون خطرا على البحث العلمي علميا، وعلى الأجيال البشرية إنسانيا، وهو ما انعكس على مستوى الأداء العلمي وتترجمه الأبحاث الضعيفة والمسروقة والمشتراة فى أسواق النخاسة العلمية.

القضية تكمن فى إشراف بلا إشراف ولا توجيه، وأساتذة بلا أستاذية لا يملكون أبسط ممكناتها ولا أدنى درجات تحققها.

هناك جانبان للقضية:

- **جانب إداري يخص الأقسام العلمية ومجالسها، من مظاهرها:**

١- إغفال التخصص أحيانا (كما أشرت من قبل أستاذ لا علاقة له بالمسرح ولم يقرأ نصا مسرحيا فى حياته كيف يشرف على رسالة فى المسرح، والحال كذلك فى الرواية مثلا).

٢- العمل بطريقة الدور فى الإشراف والمناقشة وهو ما يضرب فكرة التخصص فى مقتل (كأن الأساتذة فى طابور وعملية الإشراف محكومة بمن يحل عليه الدور يتولى الإشراف وعلى التالي فى الدور أن ينتظر وهكذا دواليك).

٣- تغييب دور الباحث فى اختيار المشرف (في مفارقة غاية فى الغرابة: فى سنوات الليسانس ووفق نظام الساعات المعتمدة يمنح الطالب الحق فى اختيار أستاذ الذي يدرس على يديه مقررا ما، وفى الماجستير والدكتوراه ليس للطالب – وفق نظام بعض الأقسام العلمية – الحق فى اختيار المشرف) قوانين الجامعات لا تمنع القسم العلمي من اختيار مشرفين من خارج القسم مما يجعل الفرصة متاحة للإفادة من

أساتذة التخصص فى جامعات أخرى ووسائل التواصل الحديثة توفر سبلا لا حدود لها للتواصل بين الطالب وأستاذه (الآن ليس هناك مشكلة مطلقا أن يكون المشرف فى بلد والباحث فى بلد آخر وفى بادرة إيجابية قررت جامعة الأزهر – من سنوات – أن تتشكل لجنة الإشراف من عضوين أحدهما من خارج جامعة الأزهر).

- **جانب خاص بالأستاذ المشرف ذاته: ومن مظاهره:**

١- أنانية بعض المشرفين فليس لديه استعداد لتقديم أي مساعدة للباحث (يقول أحدهم أفكاري تخصني وليست لطلابي وهو لم يكتب بحثا منذ عشر سنوات).

٢- عدم القدرة على التخلي عن الملكية الذاتية للتخصص (أنا الوحيد فى التخصص ومالك التخصص وممتلك مفاتيحه وإنتاجه العلمي لا يقدم أي دليل على ذلك).

٣- غياب الأستاذ القدوة (كيف يقتدي طالب بأستاذ سارق أبحاث أو يشتري أبحاثا أو أبحاثه مليئة بالأخطاء؟).

٤- امتلاك كبرياء وشموخ غير مبررين (التعالي على الطالب والتعامل معه من برج عاجي دون وجه حق، أن تكون أستاذا مشرفا فهذا لا يرفعك فوق مستوى البشر وحفاظك على إنسانيتك التي تترجمها سلوكياتك مع طلابك هي الضامن الوحيد لمكانتك العلمية).

٥- الإصرار على أن يكون الباحث صورة باهتة من أستاذه، دون الوعي بحقيقة أن طلابنا كأبنائنا خلقوا لزمن غير زمننا، وليس هناك منطق يجعل تلميذي يعتمد من الأدوات ما استخدمته أنا أو أستاذي فى زمن سابق (المبدأ هنا: خذ من أستاذك الخبرة ولا تأخذ الأداة).

٦- الضعف العلمي أحيانا حين يعتقد الأستاذ أنه وصل إلى قمة العلم، وحين يتوقف عن البحث العلمي وحين لا يواكب مستجدات التخصص، وحين لا يسعى لتطوير شخصيته العلمية (الأستاذ الحقيقي يتعلم مع طلابه ويطور نفسه مع تطور الأجيال).

٧- اتخاذ البحث العلمي وسيلة للكسب المادي وخاصة حين يعتمد من الطرق ما ليس مشروعا، ومن الوسائل ما ليس متبوعا؟.

٨- تحويل البحث العلمي إلى ساحة حرب وإدخال الطالب في منطقة الخلاف مع الآخرين.

الدفاع بأن ما سبق نماذج لا يقاس عليها أو كونها تمثل نسبة ما، هو قبول لعيوب في ثوب لا يجب أن نقبل فيه أقل درجات العيوب فما بالنا وقد أصبحت ظاهرة غير خافية على الجميع.

للخروج من الأزمة على الأقسام العلمية أن تجتهد في الارتقاء بالباحث الموهوب وليس الباحث الموظف، وعلى الجامعات أن تطور معايير قبولها المعيدين من الأساس لتكون المنافسة وفق قدرات الباحث وليست قدرات الحافظ المستظهر للمعلومات دون القدرة على تحليلها أو الإفادة منها، وأن يكون المعيار هو الكفاءة العلمية قبل أي معايير أخرى، وأن تدخل الجامعة في نظام قبولها المعيدين والأساتذة ما يسمح بقياس المستوى النفسي للأستاذ، هي نقطة لا أدري لماذا تغيب عن مسابقات تعيين الأساتذة أو تعيين المعيدين أو أي درجات جامعية أخرى قياس الأداء النفسي أو إجراء ما من شأنه أن يقيس مدى التوازن النفسي للأستاذ.

وأن يدرك الأستاذ الباحث أن البحث العلمي والاشتغال بالعلم من الأساس عمل غير ربحي، ومن يشتغل به فهو يقبل الاشتغال بعمل لن يجعلك مليونيرا (وإن كان ذلك ممكنا بما يمكن توضيحه لاحقا)، وليس هناك قوة على الأرض تجبرك على الاشتغال به مما يعني كونه اختيارك في المقام الأول وما دمت قبلته فعليك الالتزام بشروطه وأولها وثانيها وثالثها... وعاشرها أن تعرف كيف تكون إنسانا.

(٥) حبكة البحث:

البحث العلمي يشبه جسم الإنسان في مكوناته: رأس – جذع- أطراف، وفي ترتيبه: ليس لعضو أن يكون موضع الآخر، وفي تماسكه: لا ينفصل عضو عن آخر.

ماذا يحدث حين تصبح الرأس مكان الرجلين مثلا أو أن يصبح الإنسان بلا رأس (بالطبع هذا ممكن مجازا مستحيل حقيقة)، ولكنه في البحث العلمي حقيقة فما أكثر الرسائل (خاصة).

وإذا كانت الحبكة سمة إبداع في النصوص الإبداعية، فإنها شرط استقامة في البحوث العلمية، تغيب عن البحث فتصبح الفصول جزرا منعزلة، أو جسما مشوها،

وهو ما يمثل جهدا مضاعفا على الباحث الذي يبدأ التجهيز لكل فصل كأنه يبدأ الاشتغال فى قضية منفصلة.

لو أن الباحث أحسن وضع مخططه بصورة محكمة من البداية بحيث يؤسس الفصل الأول فى موضعه وتفضي مادته إلى الفصل الثاني الذي يفضي إلى الثالث وهكذا فإن الحبكة تتحقق بكل سهولة والباحث عندها يستثمر ما حققه سابقا لتحقيق ما سيحققه لاحقا فى الفصل التالي (تماما إذا كنا فى حاجة لزيارة مكتبة الإسكندرية مثلا المكتبة تعد الفصل الثالث من ثلاثة دوائر متداخلة فإن من هو خارج مصر يكون عليه أولا دخول مصر، ثم دخول الإسكندرية ثانيا، ثم مكتبة الإسكندرية ثالثا وبالطبع ليس منطقيا أن نتجاوز الدائرة الأولى والثانية قافزين إلى وجهتنا الأخيرة).

يحتاج الباحث قبل تحديد الفصول أن يحدد نقاط اشتغاله، يتخيل نفسه يبني بيتا يستلزم قواعد وجدران لا تتحقق إلا بتخطيط دقيق وإلا جاء البناء عشوائيا لا جمال فيه، وهنا يكون للخيال دوره (وهو خيال يعتمده المهندس المعماري فكيف يتغافل عنه الباحث فى مادة عماد تحققها الأساسي الخيال؟).

المشكلة الكبرى التي تمثل ظاهرة متكررة فى كثير من الرسائل العلمية (ربما لا تتجلى كثيرا فى الأبحاث المحكمة بقدر ما تظهر كثيرا فى الماجستير والدكتوراه وتأليف الكتب)، تقرأ الرسالة فتجد فصولها كل فى طريق، ويمكنك أن تستبدل فصلا مكان آخر وهو ما يعني تفككها التام المنافي لكل قواعد الإحكام، والمشكلة يتحمل مسؤوليتها: الباحث أولا – القسم العلمي ثانيا (بموافقته على الخطة المفككة فصولا، والمشتتة أفكارا وخاصة فى الأقسام التي لا تسمح لوائحها بتغيير الخطة بعد تسجيلها فهناك جامعات لا يحافظ فيها الباحث – بعد تسجيل الخطة- إلا على عنوان البحث وما سوى ذلك قابل للتغيير) - المشرف ثالثا (حين يقبل الإشراف دون تغيير الوضع أو تحسينه – لجنة التحكيم رابعا (حين لا تلزم الباحث بتغيير عناوين الفصول أو مواقعها أحيانا تكمن المشكلة فى عناوين الفصول والعكس صحيح).

مظاهر التفكك فى الرسائل متعددة، تكمن جميعها فى مخطط الرسالة، وما أكثر التمهيدات التي لا علاقة لها بالرسالة، والفصول التي لا محل لها من الإعراب، والترتيب الغائب تماما عن عمل من شروط اكتماله الإحكام والتماسك (في حلقة الغد بمشيئة الله سأعرض نموذجا لفهرس رسالة تدليلا على ذلك) .

لتقريب الفكرة أطرح نماذج لن أحدد فيها فصولا بقدر ما أحدد نقاط المعالجة وعلى الباحث أن يصوغها فى فصول ومباحث حسب نسبة تحققها فى النص الأدبي أو وفق منهجه المعتمد:

نموذج أول: الليل عند أحمد شوقي:

١. الليل والشعر (مدخل تأصيلي لحضور الليل فى الفكر الإنساني، يمكن أن يقتصر على الشعر القديم)

٢. مفردات الليل فى نصوص الشاعر.

٣. كيفية حضورها فى النص.

٤. جمالياتها أو ماذا أضافت للنص.

هنا ينتقل الباحث من فكرة إلى أخرى فالتأصيل يكون مدخلا للوقوف على كم حضور الليل فى المادة الشعرية والوقوف على المادة يأخذنا إلى كيفية حضورها، وكيفية حضورها يأخذنا إلى وظيفتها الجمالية، فما كنا لندرك وظيفة شيء قبل معرفة مساحة حضوره وماكنا لنعرف مساحة الحضور دون تحديد مواضعها وتحققها فى النص وهكذا.

نموذج ثان: التشبيه فى سورة "البقرة":

١. التشبيه بوصفه وسيلة معرفة.

٢. تشبيهات السورة (إحصاء المادة)

٣. تصنيفها حسب النوع.

٤. جمالياتها أو وظائفها.

نموذج ثالث: صورة الأم فى الرواية العربية

١- الشخصية الروائية (مدخل تأصيلي).

٢- أنماط الأمومة (فى الروايات المدروسة).

٣- الأبعاد (الجسماني – الاجتماعي – النفسي).

٤- وظيفة الأم ودلالتها.

موضوع الصورة عامة يجيب عن ثلاثة أسئلة أساسية، للباحث حرية توزيع الإجابة فى الفصول التي يراها تحقق مستهدفاته:

- كيف ظهرت الصورة (العنصر) فى النص؟ (كيف ظهرت الأم فى الرواية؟)
- كيف صورها المبدع، أو ما الطرائق التي اعتمدها لإبراز هذا العنصر؟ (ما العناصر أو الطرائق التي ظهرت من خلالها الأم فى الرواية؟)
- ماذا أضاف العنصر للنص؟، ما الذي تحقق من حلول العنصر فى النص؟ (ما الدلالات أو ما الوظائف الجمالية التي تحققت بحضور الأمر فى النص الروائي؟).
- بالطبع هناك أفكار عدة لدراسة الموضوع الواحد وطرائق لا حدود لها، جميعها محكومة بمنهج الدراسة وأهدافها وأسئلتها وقضاياها، ولكن فى كل الأحوال تحقيق الحبكة مطلوب وممكن وليس مستحيلا، واختلاف واحد منها لا يخل مطلقا بالحبكة ولا يتنافر معها.

فقط هي نماذج للتمثيل عبر طرح طريقة واحدة للدراسة فالمجال مفتوح لكل الأفكار، والطريق ميسر لكل إبداع.

(٦) حبكة البحث: (نموذج).

الصورة المرفقة لفهرس رسالة علمية عن الصورة عند أحد شعراء العربية، وقد اجتهد الباحث فى إدارة بحثه، ملتزما فروض منهجه العلمي المحدد، غير أن غياب الحبكة نال بناء الرسالة وقد تمثل ذلك فى عدد من المظاهر، منها على سبيل المثال لا الحصر، يكفي الإشارة إلى ثلاثة منها:

١- استغراق الباحث فى المقدمات:

- التقديم الأول (١٧ صفحة). كان الباحث موفقا حين ذكر من المعلومات ما يعطي صورة عن الشاعر ولكنه لم يربط المقدمة بموضوع الرسالة فليس كل تعريف بالشاعر مطلوبا والأمر يتوقف على جانب أهم: الوقوف على مصادر الصورة أو مرجعياتها فى حياة الشاعر أو ثقافته التي كان لها تأثيرها فى إنتاج الصورة.
- التقديم الثاني (٣٩ صفحة) استعراض لمفهوم الصورة عند (١٨ ناقدا من القديم والحديث) لم تكن الرسالة فى حاجة إليها وإنما كان يكفيه اعتماد مفهوم واحد والإشارة إلى البقية فى الهامش فقد جاءت الصفحات فى مجملها نقلا عن المراجع دون جديد.

٢- المبحث الأول راح يسرد الأنواع البلاغية فى الصورة مستغرقا فى التعريفات مسودا عشرات الصفحات لتعريف التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز المرسل.

٣- المبحث الأول والثاني يمثلان درجة لا بأس بها من الحبكة والإحكام ولكن المبحث الثالث خالف ذلك، فبعد الوقوف على وظائف الصورة لم يكن من المناسب العودة لمعجم الشاعر، وهناك مفارقة شديدة الأهمية فى كثير من الرسائل العلمية التي تدرس تجربة شاعر بعينه، أن يكون الفصل الأخير دوما عن اللغة وكأنها عنصر يكتشفه الباحث عبر رحلة الدراسة التي أفضت إلى اللغة والحقيقة أن اللغة هي أول عناصر التعامل مع تجربة الشعر ومن خلالها تتكشف كل الأشياء، مثلا لو أننا ندرس الصورة عند الشاعر فإن الوقوف على معجم الشاعر ومرجعية لغته تُدرك قبل إدراك تشكل الصورة ودلالة الأسلوب .

(٧) حبكة البحث: (مرة أخرى)

(نزولا على رغبة بعض الأصدقاء وردا على استفسارات البعض منهم عن العلاقة بين المقدمة والنتائج وكيف تتحقق الحبكة البحثية بينهما)

اتفقنا سابقا على أن البحث يشبه جسم الإنسان فى اتصال أعضائه واتساقها مما يحتث التماسك والترتيب بين العناصر المكونة

لو افترضنا أن موضوع البحث: **الصورة الشعرية عند شاعر معين**

وأن الباحث افترض مجموعة من الأسئلة تحقيقا لموضوعه، أسئلة تتناول عناصر البحث عن:

- مصادر الصورة عند الشاعر.
- أنواعها.
- تشكيلها.
- جمالياتها.

هناك من الباحثين من يحدد أهدافه من خلال الأسئلة، وهناك من يكتفي بطرح الأهداف فقط، وفى كلا الحالتين هناك علاقة وثيقة بين الاثنين:

السؤال يحدد هدفا، والهدف يتطلب إجراءات (مرحلة المعمل التي تترجمها فصول البحث ومباحثه) ، والإجراءات تحقق نتائج.

أولا: من المنطقي أن تكون الإجراءات فى متن البحث حول هذه العناصر، كان هذه الإجراءات تجربة معملية يخرج منها الباحث بنتائج علمية.

ثانيا: من المنطقي علميا أن النتائج ستتبلور حول الأسئلة التي أدخلها الباحث معمله، وتكون النتائج مرتبطة ارتباطا وثيقا

وهو ما يعني أن ثلاثة عناصر ترتيبها الداخلي يكون متسقا مع بعضها البعض:

الأهداف – الإجراءات (الفصول) – النتائج

بحيث يكون تسلسل الأهداف هو نفسه تسلسل الإجراءات هو نفسه تسلسل النتائج، بمعنى لو أن الهدف الأول: الوقوف على مصادر الصورة عند الشاعر، فإن الفصل الأول لابد أن يخدم هذا الهدف، ثم تترجم النتائج ما سبق الاشتغال عليه فى الإجراء على النحو التالي:

- **الهدف الأول**: مصادر الصورة (السؤال: ما مصادر الصورة عند الشاعر؟).
- **الفصل الأول**: استكشاف مصادر الصورة.
- **النتيجة الأولى**: تعددت مصادر الصورة عند الشاعر فجاءت من الطبيعة مثلا.

وهكذا تتوالى الأهداف وتتوالى الفصول وتتوالى النتائج مع الوضع فى الاعتبار أن العدد ليس شرطا أن يتساوى تماما حيث يمكن لفصل واحد أن يحقق هدفين مثلا، والأمر يخضع للمقاربة العددية دون التحديد الصارم.

ما نطالعه فى كثير من الرسائل العلمية افتقاد الثلاثة لأي تنسيق أو تناسق بينها فالأهداف إنشائية لا تحقق لها فى الإجراءات ولا أثر لها فى النتائج، وتبقى الأسئلة معلقة لأنها لم تفضي إلى النتائج بصورة منطقية.

تدليلا مرفق نموذج من رسالة ماجستير عن المكان فى شعر السياب.

الصورة الأولى الأسئلة وسنلاحظ افتقادها الترتيب، والثانية للنتائج أو لنقل الخاتمة كما أدرجها الباحث وأترك لكم مراجعة الحبكة بين ما طرحته الرسالة من أسئلة، وما جاء فى الخاتمة من نتائج.

(٨) إدارة البحـــث:

فى معمله الخاص، باحث ينفرد بعينة من معدن نفيس يجري عليها تجربته، فى ذهنه تصور ما (محدد الأفق أو مفتوحه)، ويطمح لنتاج (متوقعة أحيانا)، يأخذه البحث إلى تجربة أخرى وإلى فرضية بعيدة لكنه لا يستغرق فيها، يمد يده إلى دفتر الملاحظات

يسجل الفرضية وبعض الهوامش ثم يعود إلى تجربته محكما إدارتها، غير سامح لها أن تتحكم فيه.

ما يفعله الكيميائي أو الباحث فى الطب، أو الفيزياء أو الأحياء لا يختلف عما يفعله الباحث فى مواجهته نص/ نصوص يستهدف منها تحقيق غاية محددة، لكل منهم معمله الخاص، وكل منهم يدير مؤسسته البحثية ذات الطابع الخاص، نحن لا نكون معهم فى المعمل لكننا نستطيع – بعد انتهائهم من العمل- أن ندرك كيف أنجزوا وكيف أداروا وماذا أضافوا وحققوا.

بحثك هو مؤسستك التي يكون عليك معرفة كيفية إدارتها من ألفها إلى يائها بطريقة عصرية، وكل ذلك ينعكس على مجريات البحث ونتائجه ومستوى إضافته للتخصص وهناك مساحتان من العمل يشكلان دائرة البحث ومعمل الباحث:

- **دائرة خارج البحث:** إدارة الوقت ـ ارتياد المكتبات ـ الحصول على المصادر والمراجع بوسائلها المختلفة ـ التواصل مع أهل التخصص ـ العلاقة بالمشرف (على سبيل المثال العلاقة بالمشرف يجب أن تبدأ من منطقة التعلم، مثلا تشغل مشرفك بأخطائك اللغوية، نقاشك مع مشرفك يكون فى منطقة الأفكار الأعمق، قواعد البحث ومستوى لغتك واتباعك قوانين البحث وأخلاقياته تخصك أنت ويجب أن تكون لائحتك الداخلية بالأساس، وما تكتسبه من أساتذتك فى معظمه على سبيل الاقتداء بهم دن أن تكون فى حاجة إلى تعريفك بذلك أن يتلوها عليك طوال الوقت (المفترض أن هذا يتم فى مرحلة الدراسة الجامعية وكثير من الجامعات الآن تتضمن لوائحها تدريس مقرر مناهج البحث، وهو مقرر يتطلب أساتذة من طراز خاص فليسوا جميعها على استعداد لتدريسه بطريقة مناسبة أقول مناسبة ولا أقول إبداعية أو احترافية فبعضهم يتلو مفردات المقرر على الطلاب تلقينا أو يجعلهم يحفظونها دون تطبيق علمي).
- **دائرة داخل البحث:** وتشمل لغة البحث وتفاصيله وأنظمة تشغيله وإدارة الحركة بين المتن والهامش وإدارة العلاقة بين عناصر البحث المختلفة

إدارة البحث تعني مجموعة من المبادئ، من أهمها:

١- يجب ألا يقودك البحث، ولكن عليك أن تقوده أنت.

٢- يجب أن تدرك طريقة الحركة بين المتن والهامش (كثير من البحوث يثقلها أصحابها بتحميل المتن مالا يطيق ومكانه الهامش أصلا).

٣- لا تستسلم لإغراء اللغة بالاستطراد والانسياق وراء فكرة ما (لتكن حريصا على تسجيل كل الأفكار الجانبية فهي بحوث مستقبلية لا تستهن بها الآن وما أكثر الكتب العظيمة التي بدأت من أفكار جانبية).

٤- كن مبدعا (وإلا فحاول أن تكون)، فالمبدعون فقط من ينجحون فى الإدارة (إدارة كل شيء فى حياتهم حتى لو كان إعداد تغريدة فى تويتر).

٥- في متن البحث لا تنشغل بالحوارات الجانبية.

٦- وضوح خارطة الطريق والأسئلة والأسلوب.

٧- لا تستغرقك سيرة الكاتب دون ربطها بمتطلبات المنهج النصي(يكون منهجك نصيا).

٨- تعود فى حياتك ألا تنشغل بالحروب الصغيرة، فكم من باحث موهوب أضاع موهبته منساقا وراء حروب صغيرة فى العمل وفى الحياة (ليس عليك سوى أن تتصفح صفحات بعض الباحثين على الفيسبوك لتدرك أن بعضهم من المستحيل أن يكون باحثا حقيقيا والنماذج كثيرة ومجرد معرفتها مهارة تنضاف لمهارتك فى معرفة مواضع الخلل)، الحروب دائما مع الأصدقاء والمحيطين والبحث صديق أنت فى أمس الحاجة أن تحسن إدارة العلاقة معه).

٩- البحث ابنك الذي تبذل كل جهدك ليكون أفضل منك (وضعا فى الاعتبار: الابن قد يكون عاقا ولكن البحث ليس كذلك).

حددنا من قبل موضعين أساسيين للمعلومات فى سياق البحث: المراجع – داخل البحث.

والمعلومات نوعان:

١- معلومات الرسالة نفسها أو البحث المنشور: معلومات توثيقية تحفظ حق الباحث والمؤسسة العلمية، والناشر: فى الرسالة هناك صفحة المرآة وتتضمن: بالترتيب: الجامعة ـــ الكلية ـــ القسم العلمي ـــ عنوان الرسالة ـــ نوعها (ماجستير-

دكتوراه) ـ اسم الباحث كاملا ـ اسم المشرف كاملا/ أسماء أعضاء لجنة الإشراف ـ السنة.

في البحث المحكم: عنوان البحث كاملا ـ اسم الباحث وتخصصه ودرجته العلمية ومؤسسته الأكاديمية ـ معلومات المجلة (اسم المجلة ـ المؤسسة التابعة لها ـ المدينة ـ رقم العدد ـ السنة).

٢- معلومات متضمنة تخص موضوع الرسالة وهي غالبا تخص:

- توثيق المرجع (سبق الحديث عنها وطرق التوثيق معروفة ومتداولة).
- شخصية ما (قد تكون معروفة فلا تحتاج لتعريف ولكن يفضل حين نشير كاتب غير معروف أو ندرس تجربة كاتب محلي مثلا أن ندرج تعريفا له في الهامش والتعريف لا يقلل من قيمة المشهور).
- رأيا علميا (سبق الحديث عنها وطرق التوثيق معروفة ومتداولة).
- واقعة تاريخية (سبق الحديث عنها وطرق التوثيق معروفة ومتداولة).
- تحليلا لنص(سبق الحديث عنها وطرق التوثيق معروفة ومتداولة).

وغيرها من المعلومات ذات الصلة.

المشكلة الحقيقية غياب الاهتمام بالجانب المعلوماتي، وغيابه يعني واحدا من أربعة:

- إهمال وغياب وعي بمتطلبات البحث العلمي.
- جهله بما يتطلبه البحث العلمي.
- تعمد إخفاء المعلومات (لا تتعجبوا الأستاذ الذي يبخل بأفكاره يبخل بمعلوماته حتى لو كانت معروفة للجميع).
- البحث عن الشهادة فقط وغياب الرؤية المستقبلية، ذلك الباحث الذي يكتب بحثا ليس مقصودا لذاته فقط هو يكتب لأجل الدرجة العلمية فقط يكتب كأن بحثه سيزول فور حصوله على الشهادة (وهو ما يفسر ظاهرة عدم إقدام البعض عن نشر رسالته العلمية بعد الحصول على الدرجة لأنها فور الحصول على الدرجة أدت مهمتها وانتهى دورها)، الحقيقة أن أي كتابة- جادة طبعا- مهما كانت عصرية فإنها تكتب لزمن قادم وكم من كتاب لم يقرأ في زمنه كما قرأ في أزمنة لاحقة.

أكبر مشكلتين تمثلان ظاهرة معلوماتية لا تليق بأي باحث ولا أدري كيف يقبل عليها أحدهم، كنا نتقبل الأولى على مضض حتى تفشت الثانية:

١- ينسب الباحث رأيا لآخر دون أن يحدد أين قيل ولا يحدد موضعا لما نقل وإن حدد يكتفي بذكر عنوان الكتاب وصاحبه.

٢- يذكر الباحث توثيقا لمقولة ما وحين تعود للمرجع للاستزادة لا تجد ما قاله الباحث.

الصور المرفقة متتطفات من: رسالة علمية، وبحث علمي محكم، وكتاب مؤلف لأستاذ جامعي مشهور، والبحث والكتاب منشوران (والثلاثة متاحة لمن يريد الاطلاع عليها)، والمشكلة الأساسية فيها لا تتمثل فى أخطاء التوثيق وإنما فى نقص التوثيق من الأساس فعندما يكتفي الباحث بعنوان الكتاب واسم المؤلف كيف لنا أن نتوصل إلى بقية المعلومات، وهل المرجع الذي عاد إليه لا يتضمن إلا هذه المعلومات فقط، ولماذا لا يستثمر الباحث ما يتيحه البحث العلمي من ممكنات فى حال غياب المعلومة أو عدم توفرها، أن يضع الرمز (د. ن) حال عدم وجود ناشر، و(د. ت) حال عدم وجود تاريخ نشر وهكذا، مما يكشف عن وعيه بما يفعل.



(٣٠)

النشر العلمي(١)

يمثل النشر العلمي مظهرا من مظاهر فاعلية الجامعة بوصفها منصة إطلاق الأفكار وتحقيقها وتدشينها للمجتمع الإنساني، وشأنه شأن كثير من الممارسات الجامعية يمر بمراحل تطور ونمو قد تعوقه خلالها معوقات تستلزم وعيا بها ودراستها ومن ثم تجاوزها بصورة علمية مناسبة.

كون الجامعة قاطرة للتقدم لا ترتكز على التعليم فقط وإنما الركيزة الأساسية لهذا المعنى تكمن فى البحث العلمي بوصفه اليد الأقوى التي تمدها الجامعة لتطوير المجتمع وتحسين مستوى أفراده بما ينعكس على المجتمع الإنساني فى نطاقه الواسع وليست مبالغة أن نقول إن المجتمعات الحديثة مدينة للجامعات بما تقدمه من نتاج البحث العلمي ولا تكاد مظاهر التطور فى كثير من جوانب الحياة: الطب – الهندسة، علم الاجتماع، الاقتصاد، الصناعة، الإدارة، السياسة، إنشاء المجتمعات، غزو الفضاء، الحروب وغيرها، جميعها تتصل بالبحث العلمي فى الجامعات والأكاديميات والمعاهد العلمية.

النشر العلمي يحقق عددا كبيرا من النواتج الأساسية:

- نشر الفكر العلمي على نطاق واسع.
- الحفاظ على الأفكار الإنسانية.
- حفظ الملكية الفكرية للباحثين.
- توفير نماذج تطبيقية للباحثين تمثل مرجعية فى البحث العلمي والابتكار.

النشر العلمي نظام له ضوابطه، وأنظمته، والمجلات العلمية المعنية بالنشر العلمي لها أنواعها المختلفة:

- مجلات مجانية لا تتقاضى رسوما للنشر، ومعظمها فى الكويت والسعودية والأردن وسوريا والعراق والجزائر.
- مجلات غير مجانية وتتقاضى رسوما للنشر والتحكيم: معظمها فى مصر.

النوعان مقبولان علميا فلا فضل لمجلة على أخرى المجانية منها وغير المجانية إلا إذا كان لأحدهما أثره السلبي على المستوى العلمي، وهي القضية التي يجب وضعها في الاعتبار ففي جامعاتنا العربية يمر النشر العلمي بعدد من مظاهر الضعف تستلزم الوقوف على أسبابها ومظاهرها وكيفية الخروج منها بما يعالج المشكلات القائمة ويتجنب مشكلات يكاد وقوعها يكون محتوما.



(٣١)

النشر العلمي (٢)

لا يتطلب الأمر كبير تدقيق لتكتشف مظاهر ضعف النشر العلمي فى كثير من المجلات العلمية العربية، الصورة واضحة للجميع المسؤول وغيره، الباحث المبتدئ والباحث الخبير، الطالب والمشرف والأستاذ، الجميع يعرف ويلتزم الصمت لحاجة فى نفس يعقوب، والبعض يدرك الخطر لكنه يعمل بمقولة جحا، والجميع يرى ولكن يؤثر العمل بالحكمة الصينية متخذا وضعية واحد من القرود الثلاثة أو جميعهم: لا أرى، لا أسمع، لا أتكلم.

أولا: ضعف مستوى المحتوى، ومن مظاهره:

- ضعف مستوى البحث وتكرار موضوعاتها وافتقادها الابتكار بوصفه واحدة من سمات البحث العلمي الحقيقي.
- غياب الدقة فى صياغة البحث.
- افتقاد الأبحاث لأبسط قواعد البحث العلمي ومبادئه الأساسية(نشرنا فى الحلقات السابقة أمثلة متعددة على ذلك وهناك المزيد لمن يريد الاستزادة من التحقق والتأكيد).
- اعتقاد بعض الباحثين أن الأبحاث تقدم للجنة الترقية فقط ولا تنشر للجمهور العريض لذا لا يكلفون أنفسهم تجويد المنتج.
- ضياع مئات الأبحاث الجادة فى ركام من الأبحاث الضعيفة.

ثانيا: ضعف مستوى الإدارة العلمية لكثير من المجلات العلمية:

- افتقاد المطبوعة لمستواها العلمي المأمول.
- افتقاد الأبحاث للدقة العلمية (أبحاث لم تخضع للمراجعة اللغوية ناهيك عن المراجعة العلمية).
- تزاحم الأخطاء فى الأبحاث بشكل مستفز ومنفر (هناك بلد عربي معظم أبحاثه المنشورة على منصة نشر الأبحاث المحكمة تتنافس فيها الأخطاء بصورة لا تحتمل).

- افتقاد عصرية استثمار التكنولوجيا بإخضاع البحوث لبرامج الانتحال مما يتسبب فى نشر أبحاث مسروقة.

ثالثا: النشر بتاريخ قديم:

واحدة من كوارث النشر العلمي فى الوطن العربي أن تنشر المجلة بحثا بتاريخ سابق لتاريخ كتابته وهو ما يفتح بابا واسعا للسطو العلمي (هناك أكثر من واقعة تتلخص فى سطو مشرف على بحث تلميذه فى الماجستير أو الدكتوراه ونشره بحثا مسروقا من رسالة يشرف عليها، وهناك واقعة محددة لباحث سلم أستاذه الفصل الأول من الرسالة فما كان من الأستاذ إلا أن نشر الفصل باسمه بتاريخ سابق على تاريخ تسجيل الرسالة مما يجعل تلميذه سارقا منه وليس العكس).

تتعدد الأسباب ولا تغيب عن المدقق وغير المدقق، ومن أهمها:

- فقدان البحث العلمي قيمته فى صراعه مع المادة.
- حالة الضعف العام لبعض الأساتذة ممن حصلوا على درجات علمية غير مستحقة فطالب الأمس الضعيف وباحث الأمس الأضعف نجح فى الترقي بطرق مختلفة وأصبح أستاذا ضعيفا علميا ومهنيا.
- شللية التحكيم وتقاعس هيئات تحرير المجلات عن تطوير أدائها وتوسيع دائرة التحكيم وتحديث قوائم المحكمين.
- **طغيان الجانب المالي** تسبب فى تحويل بعض المجلات العلمية (غير المجانية) إلى دكاكين للنشر كل همها جمع الإيرادات دون التجويد العلمي فى المنتج، وأصبحت بعض المجلات تعمل بمبدأ: ادفع وسلم أي محتوى تنشر ولا يهمك المستوى.
- مافيا تجارة الأبحاث وقد اتسعت بصورة مرعبة فى السنوات الأخيرة وأصبحت تجارة معترف بها فى ظل غياب الغيرة العلمية أو شعور المؤسسات الأكاديمية بمسؤوليتها العلمية والإنسانية والاجتماعية (هناك مكتبات متخصصة فى بيع الأبحاث وأساتذة توقفوا عن الإنتاج العلمي لصالح بيع الأبحاث وهناك قائمة نامية لفريق من هؤلاء يعرفهم الباحثون عن تجارة معلنة وأسعار غير مبهمة).

إن مشاكل النشر العلمي تقع بالأساس على أصحابه (العلماء) فأسباب الضعف ليس قادمة من خارج المؤسسة الأكاديمية وليست صناعة مؤامرة غربية ولا شرقية وإنما

كما يقول المثل العربي: "كل إناء بما فيه ينضح "، وكما يقول المثل المصري: (دود المش منه فيه).

كثيرة هي الأخطار القادمة جراء عثرات البحث العلمي، وفى مقدمتها خروج البحث العلمي عربيا برمته من دائرة خدمة الإنسانية فالأزمة تتفاقم والجميع يلتزم الصمت أو بالتعبير الشعبي (ماحدش قلبه واجعه على شيء) ولم تأخذ جامعة عربية واحدة زمام المبادرة لاجتماع على مستوى القمة (قمة الجامعات طبعا) أو على مستوى عمادات البحث العلمي لوضع لوائح واجبة التحقق والتنفيذ لوقف النزيف، لقد عودنا البحث العلمي نفسه أنه لا مشكلة بلا حل إذن المشكلة ليست فى البحث العلمي وإنما فى القائمين على أمره.



(٣٢)

اللغـة أولاً، وليـس آخـراً

في كثير من الرسائل العلمية والمؤلفات النقدية (راجع الصور المرفقة) يأتي اهتمام الباحث باللغة في نهاية الرسالة كأنها تحصيل حاصل أو كأنه اشتغل على عناصر غير لغوية متجها بعدها للغة، وهو ما يخالف مبدأ لغوية النص، وأن النص بناء من اللغة بالأساس يعني أن اللغة أول مظاهره التي تفضي إلى معانيها والمستنبطات منها وليس العكس، وهو ما يخالف ما ترسخ من مقولات نقدية ودراسات علمية وكتابات فكرية حول الأدب بوصفه كيانا لغويا.

إن وقوف الباحث على الصورة والمعنى والمضمون النصي لا يعني كونه استقاها من وعاء غير اللغة، وإنما هي نواتج للبناء اللغوي، ولكن الباحثين حين يؤخرون الاشتغال باللغة يطرحون فكرا مستحيلا بوضع المعنى قبل اللغة كأنهم توصلوا لكل ذلك قبل مكاشفة لغة النص، والمنطقي هو العكس، أن يعني الباحث باللغة أولا مما يؤدي لتعمقه فيها واكتشاف كل ما تطرحه بعمق، إن ما يفعله الباحثون من شأنه أن يضع اللغة في مستويين منفصلين (ولا يليق الفصل بينهما):

- موقف مكاشفة المعنى واشتغال اللغة بصورة سطحية قبل التعمق فيها لذا يأتي الطرح أحيانا سطحيا بدرجة ما.
- موقف العمق ويأتي تاليا مما يفصل بين مستويات اللغة التي يجب مكاشفتها قبل استخلاص أطروحاتها وليس بعد ذلك.

الأمر الجدير بالاعتبار أن كثيرا من الرسائل يكون فيها فصل اللغة منفصلا تماما عن الرسالة مما يوحي بأنه ما وضع هنا إلا ليكون من كماليات الرسالة الديكورية وليس من بنيتها الأصيلة، وهو ما يؤكده الشعور القوي المؤكد بالأدلة أن الباحث قد لجأ لوضع فصل اللغة لأنه استنفد طاقته وليس لديه ما يتوله بعد فصلين (أول وثان) ولأن الرسالة في عرف الجميع لا يجب أن تقل عن ثلاثة فصول لذا يجد الباحث نفسه مطالبا بفصل ثالث يكمل به نقص الحجم ليس إلا فيلجأ إلى فصل اللغة بطريقة تعسفية بعد أن يكون قد قدم كل ما لديه سابقا، وأذكر مرة أن كنت حاضرا حوارا

بين باحث وأستاذه المشرف وقد كان الباحث يشكو أنه قال كل شيء فى فصلين فاقترح عليه الأستاذ أن يضيف فصلا عن اللغة وكنت أتقبل الأمر لو أنه أشار على تلميذه أن يدرج الفصل فى بداية الرسالة ويتلوه ببقية الفصول لكنه اكتفى بالاقتراح الذي أسعد تلميذه وأسعد البحث العلمي كذلك().

من المألوف أن تعتمد الرسائل العلمية:

- منهجا موضوعيا يقارب المضمون ويعتمد على دراسة الموضوع دون اللغة وجمالياتها، مما يعني أن الباحث حين يقارب اللغة يخالف فروض المنهج ومتطلبات اشتغاله.
- منهجا نصيا يعتني باللغة وجمالياتها وينطلق من كون النص بنية لغوية بالأساس مما يجعلها حجر الزاوية وليست مجرد عنصر يأتي فى النهاية، وهو ما يؤكد البدء بها لا الانتهاء إليها.



(٣٣)

المثال وليس النموذج

كثيرة هي العناوين (في الرسائل والأبحاث) التي تقدم طرحها عبر عنوان رئيسي وآخر فرعي يكون قائما على فكرة الأنموذج، كأن يكون عنوان الرسالة: اللغة الروائية، أعمال الكاتب فلان أنموذجا، أو "الخروج على عمود الشعر العربي، أبو تمام نموذجا"، أو "جماليات المكان في الشعر العربي، أحمد شوقي أنموذجا" (لدي قائمة من ٥٧٢ عنوانا، ٤٢١ رسالة، و١٥٢ كتابا تعتمد الطريقة نفسها، إضافة إلى مئات الأبحاث المحكمة، مما يجعل منها ظاهرة واضحة ومؤكدة).

- **أولا**: فكرة النمذجة ليست دقيقة في مثل هذه المواضع وإنما هي واحدة من المظاهر التي يتبع فيها الخلف سلفه دون تفكير مما يجعلها من المسكوكات العلمية التي لا نمنح أنفسنا فرصة التفكير في جاهزيتها وفي دقة تأتيها والعمل بها.
- **ثانيا**: النموذج ما يصلح أن يجمع صفات النوع، فهو تصور مثالي لقالب تجتمع فيه كل صفاته، والنموذج يمكن القياس عليه، مما لا يسوغ لكل نص أن يكون نموذجا إلا في حالات نادرة وفي الأعمال الأدبية الكبرى في تاريخ الأدب.
- **ثالثا**: اللفظ الأدق هو مثال وليس نموذجا، النموذج رؤية (ما يجب أن يكون)، والمثال رسالة (ما هو كائن بالفعل)، الرسالة النصية تتحقق مرهونة بخطابها وآلياته، والرؤية مرهونة بوعيها المستقبلي وليست رهنا بخطاب ضيق مهما كان اتساعه.
- **رابعا**: النموذج أكثر انفتاحا، والرسالة محددة ضيقة الأفق مهما فتحت من آفاق.
- **خامسا**: المثال توضيح للنموذج وليس العكس، والنص يدل على النموذج وليس العكس، والمثال تطبيق للنموذج وليس العكس.
- **سادسا**: البحث أي بحث يشتغل على نقطة بحثية محددة ومحدودة، وليس من المنطقي أن يكون عمل واحد أو مجموعة أعمال تشكل نموذجا لنقطة ضيقة، على سبيل المثال، "نموذج الأم في الرواية العربية" لن تحيط به مجموعة أعمال كاتب واحد أو مجموعة كُتاب.

- **سابعا:** حتى يكون العمل الأدبي نموذجيا يكون عليه استيعاب كل صفات النوع (نموذج البخيل مثلا ، ويمكن العودة هنا للفصل الثالث من كتاب الأدب المقارن لمحمد غنيمي هلال ، وحديثه الأهم عن النماذج البشرية والأدبية).
- **ثامنا:** النموذج معيار، قانون، نظرية، مرجع يتسم بمثالية الصنع والإنتاج.

وقد أسعدني وعي عدد غير قليل من الباحثين اعتمدوا مصطلح " مثال" بدلا من " أنموذج"، في عدد من الأبحاث المحكمة لأساتذة يكشف عملهم عن وعيهم التام بما يفعلون اعتمادا على خبراتهم العلمية، ولم أتوصل لرسالة علمية سارت على النهج نفسه (بالبحث في موقع المجلات الأكاديمية العلمية العراقية يمكنك الحصول على ٣٢٧ بحثا استخدمت المصطلح) من هؤلاء، على سبيل المثال لا الحصر:

- جاسم غالي رومي المالكي: الفواصل الصوتية وأثرها في القرآن الكريم سورة البقرة مثالا - آداب البصرة، ٢٠٠٨، المجلد، العدد ٤٦، الصفحات ١١- ٣٥
- حسين عبيد الشمري، رحاب سالم حنوف: الخطاب السردي عند ابن شهيد الأندلسي (ت٤٢٦ هـ) دراسة في ضوء النقد الثقافي - الجملة الثقافية مثالا- مجلة مركز دراسات الكوفة، ٢٠٢٠، المجلد ١، العدد ٥٨، الصفحات ١٧٩- ٢٠٦.
- ساهر حسين ناصر: المستويات الأسلوبية في المملكة السوداء للكاتب محمد خضير قصة الشفيع مثالاً - مجلة جامعة ذي قار العلمية، ٢٠١١، المجلد ٦، العدد ٤، الصفحات ١- ١٤.
- د. سلام كاظم الأوسي، م. سندس محمد السعيدي: شعرية النص قصيدة (نشيد النخلة) مثالاً- مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، ٢٠١٠، المجلد ١٧، العدد ٩، الصفحات ١٢٣- ١٤٩.
- د. موسى خابط القيسيّ: البنية والدلالة في (الاستغراب) رواية (موسم الهجرة إلى الشمال) للطيب صالح مثالاً- واسط للعلوم الإنسانية، ٢٠١٦، المجلد ١٢، العدد ٣٤، الصفحات ٢٦٧- ٣٠٠.

البحث العلمي إبداع وليس مجموعة من الأنماط والقوالب الجامدة، هو مساحة للتفكير الحر وقليلون من يجيدون الإنجاز وفق قوانين الإبداع الحرة ومهما بدت قواعده صارمة ولكنها شديدة المرونة.

العنوان الدائر حول موضوعه:

تدقيقا للأمر فإن ما سبق ليس مقصودا لذاته وإنما المستهدف إعادة التفكير فى الأمر لصالح نموذجية العنوان العلمي ودقة صياغته، فلماذا تلجأ بعض الأبحاث إلى الدوران حول مقاصدها دون الدخول إليها مباشرة، مما ينتج عنه:

- الإشارة إلى قضية واسعة قد لا تتحقق فى النص بكامل عناصرها.
- طول العنوان مخالفا واحدا من أهم شروطه: التكثيف.
- اللف والدوران حول الموضوع دون استهدافه مباشرة.
- النص الواحد أو المشروع الروائي الواحد قد يفي بمتطلبات مذهب ما لكنه لا يحقق كل شروطه فكيف يكون نموذجا جزئيا يوهم بما هو كلي.

القاعدة الذهبية أن يتخلص العنوان من كل ما يثقله ولا يحقق غرضه بصورة تستقر فى الذهن فور قراءته أو النطق به، والقاعدة البلاغية: ما يفهم من الكلام لا داعي لذكره فإذا تخلص العنوان من مفردة ولم يتأثر البناء أو المعنى فلماذا نبقي على ما هو زائد عن الحاجة.

ولنجرب الأمر فى عدة عناوين من هذه النوعية:

١. أن يكون العنوان: الرؤية التاريخية فى الرواية العربية نجيب محفوظ نموذجا أو مثالا.

لماذا لا يكون: "الرؤية التاريخية فى روايات نجيب محفوظ أو الرؤية التاريخية فى الثلاثية" مثلا إن كان الباحث يستهدف الاشتغال على نص روائي واحد.

٢. الزمن النفسي فى رواية الغربة، رواية الحب فى المنفى لبهاء طاهر نموذجا، لماذا لا يكون العنوان: "الزمن النفسي فى رواية الحب فى المنفى لبهاء طاهر".

٣. جماليات المكان فى الشعر العراقي، سعدي يوسف نموذجا"، لماذا لا يكون العنوان: " جماليات المكان فى شعر سعدي يوسف"؟.

٤. أن يكون العنوان:" دلالة المكان فى قصيدة النثر، ديوان من مجمرة البدايات لمحمد عفيفي مطر نموذجا"، لماذا لا يكون العنوان:" دلالة المكان فى ديوان من مجمرة البدايات لمحمد عفيفي مطر، دلالة المكان فى " من مجمرة البدايات" لمحمد عفيفي مطر؟.

٥. الصورة الفنية فى شعر الديوان، ديوان عبد الرحمن شكري نموذجا"، لماذا لا يكون: الصورة الفنية فى شعر عبد الرحمن شكري؟.

وهكذا يكون العنوان أكثر إحكاما، دالا، واضحا، محققا هدفه، مكثفا، له بلاغته المتجاوزة ترهله مما يجعله للعلم أقرب منه للإنشاء.



(٣٤)

لغة جسد النص

النص جسد يصنعه الكاتب لينوب عنه، ليكون سفيره، له استقلاليته، وله رسالته، وله دوره، ويكون عليك أن تمنحه الفرصة لقول كل ما تريد قوله، لا تتركه عاجزا أو مقيدا أو مكمم الفم، بعض الكتاب يقتلون نصوصهم فتصل للقارئ فاقدة الحياة، وبعضهم يمنح نصه القدرة على أن يقول كل شيء.

النص جسد له لغاته المتعددة، لغته الأولى المفردات (فى حالة النص اللغوية)، ولغته الثانية هي لغة الجسد، وهي لغة إشارية بالأساس، تترجم الإشارة فيها إلى معان وإشارتها تتمثل فى:

- طريقة توزيع الكلمات فى فضاء الصفحة.
- طريقة استخدام رموز الكتابة بثا لمعان تتجاور مع معاني الألفاظ.

النص هنا هو البحث بوصفه خطابا يكون على الباحث تحسين أوضاعه بوصفه منتجا: جماليا، دالا على نفسه، ودالا على صاحبه، متصفا بكل ما يمنح الخطاب قدرته على التوصيل.

وجسده: اللغة وفضاء الصفحة.

ولغته تتشكل من ثلاثة مظاهر أساسية:

١. الكلمات (فى سياقاتها التحريرية والأسلوبية) وتتجلى فى حجم الحروف والكلمات فى العناوين الأساسية والفرعية واستخدام الكلمات الملونة وتشديد الكلمات أو كتابتها بطريقة مائلة وتقويس الكلمات والأرقام وغيرها، وهناك فارق كبير بين باحث يعتني بالآيات القرآنية مثلا فينسخها بتشكيلها ورسمها العثماني أو أن يكتبها بنوع خط البحث نفسه، وهناك فارق كبير أن يعتني الباحث بأبيات الشعر فيجعلها بخط سميك مثلا، أو أن يمسخها بطريقة تفقدها شعريتها، وهكذا يستثمر الباحث ممكنات التحرير ليكون النص فى أبهى لغته وأقواها دلالة على صاحبه.

٢. علامات الترقيم، وقد باتت من الفرائض الغائبة فى البحث العلمي، لا يهتم بها الباحث ولا ينشغل بها المشرف، ولا تحاسب عليها لجنة المناقشة.

٣. الرموز الاصطلاحية للبحث العلمي، وهي نوعان:

النوع الأول: اصطلاحي، معروف ومتداول ومنه على سبيل المثال:

- ص: صفحة.
- ص ص: صفحات
- تر: ترجمة.
- تح: تحقيق.
- ط: طبعة.
- ج: جزء.
- د.ت: دون تاريخ.
- ع: العدد (خاص بالدوريات).
- ق.م: قبل الميلاد.
- ق. هـ: قبل الهجرة.
- مج: مجلد.
- هـ: هجري.
- م: ميلادي

واستخدامه يعفي الباحث من تكرار الكلمات والمفردات، كما يكشف عن وعي الباحث بتوثيق معلومات، مثلا فى تاريخ النشر نحن إزاء ثلاث حالات:

- أن يذكر الباحث تاريخ النشر.
- أن نجد الرمز (د. ت) إشارة إلى أن الباحث لم يجد تاريخ نشر الكتاب وهو على وعي بما يفعل لذا أدرج الرمز الدال على ذلك.
- ألا يذكر الباحث تاريخ نشر الكتاب ولا يدرج الرمز الدال على غيابه، وهو ما يعني نسيان الباحث أو إهماله (للأسف بعض الباحثين يدلس بذكر تاريخ عشوائي لا أساس له من الصحة!).

النوع الثاني: إجرائي يبتكره الباحث لخدمة بحثه ويكون عليه وضع مفاتيح للرموز فى نهاية المقدمة، فالبحث العلمي يمنح الباحث الحق فى وضع رموزه الخاصة شريطة توضيحها، مثلا أن يكون بحثه عن شاعر معين (محمود درويش مثلا) وبدلا من تكرار اسم الشاعر كل مرة، يشير إلى أنه كل مرة يذكر فيها (الشاعر أو شاعرنا مثلا) فالمقصود محمود درويش وهكذا.

علامات الترقيم، والرموز ليست مجرد حلية نصية، ولا هي استعراض خبرة باستخدام اللغة وإنما هي لغة جسد تقول ما لا تقوله اللغة، وقد تكون منطقة لوضع حدود لعمل اللغة ذاتها وتنظيم ذلك العمل. النقطة (.) فى نهاية الفقرة أو نهاية الجملة توقف تدفق المعنى منها مؤذنة بعمل جملة جديدة أو فكرة جديدة فى سياق جديد، والفاصلة (،) تسمح بالتعانق بين جملتين أو فقرتين واستمرار العلاقة بينهما، وعلامة الاستفهام (؟) تعني أن عملا مطلوبا من ذات ما للرد على تساؤل وللتنبيه على أن أداة استفهام فرضت نفسها ربما لم يتنبه لها متلقي الخطاب.

معظم الباحثين فى الألفية الثالثة تنتفي علاقتهم تماما بلغة جسد النص، وبينهم وبين علامات الترقيم قطيعة لا سبيل لرأب صدعها المزمن.

ويكفي الإشارة لبعض مظاهر الخلل الناتج عن القطيعة:

- أن يهمل الباحث وضع كلام الغير بين علامتي تنصيص فيختلط كلامه بكلام الآخرين واضعا نفسه فى موضع شبهة السرقة.
- أن يهمل الباحث وضع رقم الهامش فى المتن بين قوسين (١) ويكتفي بوضع الرقم صغيرا فيضيع الهامش بين السطور (وهي بدعة حديثة لا أدري من يتحمل وزر العمل بها).
- أن تغيب علامات الترقيم تماما عن البحث فتصبح عملية التلقي غاية فى الصعوبة ويفقد المتلقي تواصله مع البحث لخلل واقع فى قناة التوصيل.
- أن يعمد الباحث إلى وضع الهوامش بطريقة يدوية وليست إلكترونية، وهي واحدة من أسوء ما يرتكبه الباحث لأنه يعرض بحثه لتداخل الفقرات والصفحات ويجعل من التلقي عملية شبه مستحيلة، رغم سهولة اكتساب مهارة إدراج الهوامش إلكترونيا.

(٣٥)

التمهـــيد

التمهيد جزء أساسي تفرضه طبيعة البحث ومنهجيته، هو تال للمقدمة، وهو أول ما يُكتب وثاني ما يُقرأ (بعد المقدمة التي تعد آخر ما يُكتب وأول ما يُقرأ)، فإذا ما خرج القارئ من العنوان بفكرة ما عن البحث وطبيعته، فإن التمهيد يؤكد الفكرة، وينطلق إلى تحديد زاوية الاتجاه، ويضع في يد متلقيه أول خيوط البحث.

يرتبط التمهيد بالعنوان من حيث تسوية بعد الأفكار التي تكون بمثابة نوافذ يفتحها الباحث على موضوعه ويكون جسرا رابطا بين المقدمة والفصول والمباحث.

ويتأسس التمهيد على عنصرين أساسيين من عناصر البحث:

- العنوان (في عنصريه: الخاص والعام).
- الكلمات المفتاحية.

وتأسيسه عليهما يكون بمثابة المعيار الكاشف عن طبيعته، وكلما اقترب التمهيد منهما كان أدق، فإذا ابتعد عنهما كان منفصلا، مجانيا، لا حاجة للبحث له.

فإذا أردت أن يكون تمهيدك حقيقيا، مطلوبا، دالا فعليك الانطلاق من العنوان مستعينا بالكلمات المفتاحية التي يحددها البحث، على سبيل المثال إذا كان الموضوع " العلامة في كتاب الحيوان للجاحظ، فالتمهيد سيكون معنيا بطرح مفهوم العلامة والتعريف بكتاب الحيوان، وإذا كان الموضوع: الأرض في روايات عبد الحميد بن هدوقة مثلا، فالتمهيد يكون معنيا بالتعريف بالكاتب والتعريف بمفهوم رواية الأرض، وهكذا.

التمهيد حلقة وصل بين العلوم المختلفة حين يكون عبور المصطلح من علم إلى علم أو من ثقافة إلى ثقافة، فعندما ندرس تجليات التاريخ في الأدب مثلا يكون على التمهيد أن يكشف عن مصطلح التاريخ في الأدب، وإذا كانت الدراسة عن صورة البحر في الرواية العربية يكون التمهيد معنيا بالوقوف على البحر روائيا في دائرة أوسع من دائرة الدراسة (البحر في الرواية العالمية تحديدا).

ليست كل الأبحاث فى حاجة للتمهيد فإذا أدرجه الباحث فعليه أن يكون موجزا، دالا يبرز شخصية الباحث من خلال زاوية رؤيته للمطروح، وتصرفه فى مادة تمهيد بحثه، فهناك من الباحثين من يبالغ فى التمهيد فيأتي مترهلا يثقل البحث ومن عيوب التمهيد:

- طغيان النقل على العقل فيأتي التمهيد مجرد نقول من المراجع دون إضافة تظهر شخصية الباحث.
- الإسهاب الزائد عن الحد فى طرح التعريفات والمصطلحات، وبعض الأساتذة المشرفين يطلبون من طلابهم حذف التمهيد عندما يخرج عن السياق المطلوب.
- انفصاله عن موضوع البحث وخاصة فى الأبحاث المعتمدة على مناهج نصية.

وكلما تخلص التمهيد من العيوب جاء مناسبا، مطلوبا للبحث، مضيفا له، كاشفا عن شخصية الباحث وثقافته.

والمشكلة الكبرى فى التمهيد ألا يدرك الباحث من أين يبدأ مما يجعله بعض الأبحاث يأتي فيها التمهيد تأريخا للعلم من بدايته فيكدس الباحث مادة تاريخية تثقل البحث ولا تضيف إليه فيبدو التمهيد حجر عثرة فى التلقي.

التمهيد عند معظم باحثي الألفية الثالثة منطقة من المناطق الغائمة لديهم (يعتقد كثير منهم أن التمهيد يكتب عن حياة الشاعر حتى لو كانت الدراسة أسلوبية، كما يعتقد البعض أن التمهيد مساحة لرصد المصطلحات مما جعله يتحول إلى نقول تضيع فيها شخصية الباحث)، نعم نحن فى حاجة لبطاقة تعريف بالشاعر ولكن فى الدراسة الأسلوبية نحن إزاء منطق حاكم لكتابة التمهيد يمكن طرحه عبر نقطتين أساسيتين تحددان احتمالين:

١- الدراسة أسلوبية والتمهيد عن حياة الشاعر فحاجة الرسالة له تكون مشروطة بارتباط التمهيد بالدراسة الأسلوبية أن يكسف الباحث عن مرجعيات أسلوبه مثلا ومنابع ثقافته المؤثرة فى أسلوبه وفى صناعة بصمته الأسلوبية.

٢- الدراسة موضوعية، عن حياة الشاعر مثلا فيكون التمهيد مطلوبا أكثر من الاحتمال السابق.

إن الانطباع غير السليم عن التمهيد جعله من العناصر التي يتجاوز المحكمون عنها لإدراكهم أن معظم الباحثين يقيمونه على مادة مستهلكة لا جديد فيها.

(٣٦)

مستقبل البحث العلمي فى الجامعات العربية (اللغة العربية وآدابها خاصة) نظرة متشائمة

كيلا نخدع أنفسنا حين نغض الطرف عن المستوى الواضح للبحث العلمي فى اللغة العربية وآدابها، والقضية ليست منحصرة أبدا فى حالة باحث لا يعرف الفارق بين الفعل المضارع والفعل الماضي أو الفارق بين الاستعارة والتشبيه، أو الفارق بين المنهج السيميائي والمنهج السيميولوجي (انظر الصورة) أو الفارق بين الدراسة الموضوعية والدراسة النصية، إنها ليست حالات فردية بقدر ماهي ظواهر آخذة فى النمو تمثل واحدا من أهم أسباب أبشع ظاهرة تعانيها جامعاتنا فى العصر الحديث: ظاهرة السرقات العلمية.

ضعف المستوى ليس مجرد حالة عابرة، فجميعنا ضعفاء فى بداياتنا ولكن استعدادنا للتعلم يجعلنا نتجاوز الضعف، وإحساس الباحث بأنه فى حالة دائمة من التعلم يجعله قادرا على تجاوز كل لحظات ضعفه وصولا إلى مراحل نضج متتالية وعندما تجد أستاذا يؤكد لك - بالباطل طبعا وفى مواضع الجدال العقيم - إنه أستاذ الأساتذة وبحر العلم وشيخه ومالك بابه ومفاتيح جنانه ومفاصل عتباته وأن الزمان لم يجد بمثله (وهو لم يكتب كلمة واحدة فى بحث له منذ عشر سنوات أو توقف عن البحث العلمي بعد الدكتوراه أو اشترى أبحاث الترقية من دكاكين بيع الأبحاث أو يكتب ورقة علمية من عشر صفحات يكشف لك برنامج الانتحال أن تسعا منها مسروقة من مقال منشور على الإنترنت، أو ينشر كتابا لا تستطيع الإمساك برأي أو الحصول على معلومة أو التحفيز لكتابة مقالة أو ينشر عملا علميا يدرج فيه روايات ومجموعات قصصية على أنها دواوين شعر!) فقل على العلم السلام، فهؤلاء أصحاب الصوت الأعلى فى مقابل من ينشغلون بالعلم والإنجاز معرضين عن الانزلاق فى الحروب الصغيرة..

كلنا ضعفاء بمعنى ما من الضعف حين نشعر أن العلم أكبر من أن يحاط به لذا فإننا فى حالة دائمة من البحث والتعلم ومجابهة الجهل دون توقف وقبول التعلم دون تكلف.

حين لا يراجع الباحث منجزه كل حين مسائلا نفسه ماذا حقق وماذا عليه أن يحقق، حينها سيكتشف أن الشخص الذي كأنه منذ خمس سنوات أو عشرة هو ذلك الذي عليه الآن فكيف يرى نفسه أستاذ الأساتيذ وأحد أساطين العلم.

العلم كالأخلاق ليس شهادة تمنحها مؤسسة ولكنه روح هائمة فى بحار العلم تبحث وتستكشف وتدرك وتتجوهر دون أن تتسطح.

أعرف أستاذا لم يكتب حرفا منذ عشر سنوات ومع ذلك لا تستطيع التعامل معه بوصفه بشرا وإنما هو إله من آلهة الأوليمب.

وآخر له عدد من المؤلفات فى مجاله لم يكتب كلمة فيها ووصل الأمر به أنه يستغل حاجة بعض الباحثين الشباب لكتابة مقالات نقدية لروايات بعينها ينشرها باسمه فى المجلات العربية!.

وأخرى كل أبحاثها للترقية مسروقة بكاملها (سرقت مني شخصيا كتابا كاملا والأمر مازال منظورا فى القضاء).

وآخر كل أبحاثه للترقية مسروقة بكاملها ومازال أستاذا يشرف ويناقش وينقل عبقريته لطلابه.

وآخر افتتح مركزا للبحث العلمي (خلية لبيع الأبحاث والمتاجرة فيها).

وآخر ترأس مؤسسة ثقافية كبرى زمنا يتاجر فى الرسائل العلمية كما يتاجر تجار المواشي فى بضاعتهم.

السؤال البريء: هل يمكن لهؤلاء أن يصنعوا مستقبلا علميا فى اللغة العربية؟

وإذا كان هذا حال بعض الأساتذة فكيف سيكون حال طلابهم؟

لا تقل لي إنها حالات فردية فلو أنك وضعت تفاحة فاسدة فى سلة وتركتها زمنا فمن أين يداخلك اليقين أن بقية التفاح سيظل محتفظا بصلاحيته، الطريق دائما يسير على إيقاع العربة الأبطأ، سيارة واحدة بطيئة قد تعرقل مسيرة كبرى، وعربة كارو واحدة تعطل طريقا سريعا زمن سيرها فيه.

وصدق الشاعر حسن حسني الطويراني:

" وَجلّ نار ترى من أَضعف الشرر"

وقول ابن الرومي:

مثل الحريق العظيم تبدؤهُ أولَ صولٍ صغيرةُ الشرر

أن ترضى السرقة اليوم فأنت تصنع منها مستقبلا بدأنا نعاين ملامحه الكارثية.

ليس تشاؤما: لا تعول على الجادين فهم قلة ولك الحق أن تنظر إلى أي قسم علمي تعرفه ناظرا إليه على النحو التالي:

- كم عدد أعضائه؟
- كم منهم يكتب ويؤلف وينجز؟
- كم منهم له نشاط علمي أيا ما كان؟
- كم منهم لم يكتب كلمة منذ سنوات؟
- كم منهم مر على آخر درجة علمية سنوات ولم ينجز بحثا واحدا؟
- كم منهم يتابع الجديد فى مجال تخصصه؟
- كم منهم ينتج بحوثا أصيلة أو يطرح جديدا فى فكره؟
- كيف كان وضع القسم منذ سنوات وماذا حقق أعضاؤه خلال هذه السنوات؟
- هل الجيل السابق للقسم من الأساتذة الراحلين مثلا تعوضه الأجيال التالية؟

ببساطة يمكنك أن تقرأ القسم العلمي مستكشفا وضعا يرسم لك مستقبله.

ملامح الوضع الراهن:

١. غياب الخطط البحثية الدقيقة القائمة على فتح آفاق جديدة للبحث العلمي.
٢. افتقاد الكثير من الجامعات للعمل الجماعي.
٣. تكرار الأبحاث.
٤. غياب واضح للمناهج الحديثة فى كثير من الجامعات.
٥. توزيع غير عادل للأبحاث فى مناطق ازدحام وغيابها فى مناطق أخرى.
٦. اتساع مساحات السرقات العلمية فى العلوم الإنسانية خاصة وتفاقم الوضع بصورة غير مسبوقة.
٧. تفشي ظاهرة تجارة الأبحاث.
٨. تقاعس كثير من الجامعات عن تطبيق قوانين تح من السرقات العلمية.
٩. ضعف مستوى الباحثين بشكل ظاهر تبعا لضعف مستوى التعليم قبل الجامعي.
١٠. غياب البرامج العلمية الجادة لتكوين الباحثين وصناعتهم علميا ومعرفيا.

١١. افتقـاد عـدد غير قليل مـن الأسـاتذة لمهـارات البحـث العلمـي واسـتخدام تقنيـات العصر.
١٢. ضعف مستوى الأداء فى الأقسام العلمية لضعف مستوى أعضائها علميا.
١٣. ضعف مستوى التحكيم العلمي.
١٤. ضعف مستوى المجلات العلمية المحكمة وافتقادها للمراجعة والتخطيط ووضوح المعايير.



(٣٧)

صناعة الباحث وتدشينه

فى الحلقة الأولى من هذه السلسلة جاء نصا:

"وعلى الرغم من التقدم التكنولوجي وما حققه من تقدم هائل فى المعرفة الإنسانية، فإن معظم الباحثين (بنسب مفزعة وكارثية) يفتقرون للوعي بالحدود الدنيا لإدارة بحوثهم أو إنجاز ما يستحقه البحث، وما يليق بالعلم، وهي مفارقة تتشابك أطراف المسؤولية فيها، فتتعدد أسبابها، وتتعاظم مظاهرها الكارثية، نتائجها السلبية".

وأطراف المسؤولية المقصودة:

- التعليم ما قبل الجامعي.
- التعليم الجامعي.
- الباحث نفسه.

فأنظمة التعليم وطرائق التدريس تقع عليها مسؤولية كبرى فى صناعة الباحث، والقائمة التالية من الأنظمة والأفراد لا يمكنها صناعة باحث أو المشاركة فى صناعته:

- التعليم القائم على التلقين.
- الأستاذ الملقن والأستاذ اللص والأستاذ الذي لا ضمير له فى تدريس مقرراته.
- الأستاذ الذي لا يعرف كيف يكون إنسانا.
- الأستاذ المخلص لنسخة ويندوز ٩٨ ولم يطور سوفتويره إلى نسخ أخرى؟
- الأقسام العلمية التي لا تقوم بين منسوبيها منافسة علمية ولا تشجع على العمل العلمي الجماعي.
- الباحث المنغلق على نفسه متقوقعا على أفكاره، يخاف من الحسد ويخاف الكشف عن أفكاره خشية الحسد(لا تتعجبوا ما أكثر الباحثات اللواتي يتصفن بهذه الصفة وتظل الواحدة منهن تنغلق على نفسها حتى تخنق نفسها وتخنق البحث وتخنق العلم وتخنق المحكم ومن بعده المتلقي).
- الباحث الذي لا تاريخ له مع القراءة (المتنوعة).

- نظام تكليف المعيدين بوضعه الحالي.
- المجلات العلمية (المحكمة) التي تحولت إلى دكاكين للنشر.
- المشرف الذي لا يشرف ولا نية له أن يفعل ذلك.

لا تنتظر من هذه الفئات أينما كانت أن تصنع باحثا، والباحث الذي يعرف طريقه يمكنه تجاوز كل ذلك بأن يكون له برنامجه الخاص مستثمرا كل ما هو متاح عبر النشاط العلمي الالكتروني فالمعرفة الآن ليست بعيدة، كل المطلوب أن تجعل من نفسك مشروعك الخاص:

- اصنع لنفسك برنامجا للقراءة بوصفها المصدر الأهم للمعرفة وتنمية الخيال الذي لا عمل ناجح خارج حدوده (من أبرز أسباب ضعف مستوى باحث الألفية الثالثة ضحالة التكوين وغياب القراءة بوصفه نشاطا تأسيسيا للباحث وهو ما يتكشف منذ السطور الأولى لأي بحث علمي).
- ليكن البحث العلمي دستورك اليومي منعكسا على كل نشاطك الحياتي، البحث العلمي يعلمنا: النظام والتخطيط فلماذا لا نتدرب عليهما فى كل ما نمارسه من أنشطة مهما كانت؟ فإن ذلك من شأنه أن يكسبنا القدر الأكبر من مهارات الاثنين معا.
- لا تنغلق على نفسك، ابحث عن المعرفة وتطوير ذاتك فى كل ما يمكنه أن يقدم لك ذلك، ارتحل إلى المعرفة افتراضيا وواقعيا.
- لا تنشغل بالحروب الصغيرة، فهي من أخطر داءات البحث العلمي، الذين أنجزوا ظلوا طوال الوقت محافظين على أنفسهم من الانزلاق للحروب الصغيرة، يكفيك الحروب التي تخوضها مع التفرغ ومجابهة مجتمع لا يعترف بالعلم ولا بالبحث العلمي ولا يشجع على الاشتغال بالعلم، والحروب مع أولئك المحبطين من زملاء العمل الذين يدخلونك فى أنفاق من الإحباط والجدل حول قيمة ما تفعل رافعين شعار: العلم لا يحقق مستوى معيشيا مناسبا.
- خذ من أستاذك القيمة ولا تأخذ الأداة، أستاذك عاش فى زمن غير زمن، زمن كانت له أدواته ولزمنك أدوات مغايرة فلتعتمد لغة عصرك مكتفيا من أستاذك بالقيمة والخبرات.

ولأن أنظمة إعداد الطالب للدكتوراه على سبيل المثال ليست كافية إن لم يكن لك مشروعك الخاص الموازي والمتمم لهذه الأنظمة التي تتمثل فى:

- التسجيل المباشر للدكتوراه بعد الماجستير، وهو النظام القدم المعروف ومازالت بعض الجامعات تشتغل به وإن بدا فى الاختفاء من أنظمة كثير من الجامعات العربية.
- السنة التمهيدية للدكتوراه والمؤهلة للتسجيل للدكتوراه التي تكون منفصلة عن المقررات.
- نظام الساعات المعتمدة حيث الرسالة نفسها متطلب يتشارك مع المقررات فى تقدير الطالب لدرجة الدكتوراه وتؤثر فى معدله.

وكلها أنظمة تتطلب جهدا من الباحث، والأنظمة ذاتها عليها أن تطور نفسها ليكون القدر الأكبر من شروط التكوين قائمة على البحث وليس على المقررات فإن إثقال الباحث بمقررات دراسية تعيده طالبا فى مراحله الأولى وخاصة أن كثيرا ممن يدرسون هذه المقررات مغرمون بطريقة التلقين وليس تشغيل الطالب بحثيا وعلميا (منذ السنوات الجامعية الأولى عودنا أساتذتنا فى معظم المقررات على وضع قائمة من المراجع فى كل مقرر وعلينا الاشتغال منها خلال الدراسة وكانت المكتبة تمثل عمادا أساسيا فى الدراسة خلاف ما نراه اليوم من أساتذة يصرون على تلقين طلابهم وبات الطلاب مؤهلين فقط لهذا النوع من المحاضرات لا يقبلون غيرها ومن يخرج عنها فهو غريب لأنه يخالف السائد والمعتاد).

منذ ثلاثة أعوام زرت جامعة نواكشوط لمناقشة رسالتي دكتوراه وأعجبني كثيرا برنامج تكوين الدكتوراه فى كلية الآداب والعلوم الإنسانية الذي ينص على:

"تقديم بحث أصيل لأطروحة الدكتوراه خلال ثلاث سنوات بعد الماستر برصيد ١٨٠ درجة موزعة على النحو التالي: تكوينات تكميلية إجبارية وأنشطة بحث موازية: ٦٠ درجة + رصيد الأطروحة (تحرير ومناقشة): ١٢٠ درجة" والميزة فى هذا النظام تشغيل الباحث فى خطتين:

- إجراء بحوث والمشاركة فى المؤتمرات برصيد ٦٠ درجة.

- أطروحة الدكتوراه ١٢٠ درجة فيكون المجموع كله فى اتجاه تشغيل الطالب بحثيا دون إشغاله بمقررات واختبارات ترهقه نفسيا وقد لا تضيف له من الخبرات ما تضيفه المشاركات البحثية واحتكاكه بالأساتذة والباحثين.

صدق من قال: "الريح ليست مواتية لمن لم يعرف الطريق".

(٣٨)

الدراســات البينية

(١)

ممهــدات:

١- وحدة الوجود ليست فكرة فلسفية، وليست نوعا من أنواع الترف الفكري وإنما هي حقيقة واقعة تؤكدها كثير من الظواهر.

٢- الأدب قادر على استيعاب كل العلوم بلا استثناء.

٣- الأدب قادر على التعبير عن كل أنشطة الإنسان وطموحه وأحلامه وكل ما يتعلق به.

٤- هناك من العلوم والتخصصات مالا يمكن الفصل بينها (البلاغة والنحو مثلا) وهناك قضايا يصعب حلها مالم نتعامل معها وفق تخصصين (القضايا الاجتماعية والاقتصادية وغيرها من الظواهر الإنسانية) .

فى رحلته عبر الزمن انتقل البحث العلمي بثلاثة أطوار أو ثلاث مراحل:

- **الموسوعية:** العصور الأولى للتأليف العربي نموذجا .
- **التخصص/ التخصص الدقيق:** الطابع الغالب على الكتابة الأكاديمية .
- **الدراسات البينية:** نظام جديد يفيد من النظامين السابقين ويطورهما مضيفا لهما مساحة أكبر من الإبداع .

الدراسات البينية: نظام من البحث العلمي يجمع بين علمين أو أكثر، أو بين تخصصين وقوفا على قضية علمية معينة.

الدراسة البينية تعني عبورا مقصودا بين التخصصات وتتطلب قدرا من الموسوعية عند القائمين عليها، ولها طريقتان أساسيتان قد تتفرع منهما عدة طرق:

١- استخدام علم أو تخصص فى دراسة ظواهر تخصص آخر كأن نستخدم الكيمياء أو الفيزياء أو التاريخ فى تفسير بعض ظواهر الأدب (مورفولوجيا

الحكاية لفلاديمير بروب نموذج واضح على ذلك حيث استخدم المورفولوجيا (علم التشكل فى الأحياء).

٢- البحث عن علم ما أو تخصص ما داخل تخصص آخر (أن ندرس الشخصية الروائية وفق نظريات علم النفس، أو أن نبحث عن النظريات الفيزيائية أو الفلكية فى نص أدبي معين) .

من يقوم بالدراسة البينية؟

يقوم بالدراسة البينية نوعان من الباحثين يمثلان حالتين مختلفتين:

- جماعة من الباحثين يجمعون بين تخصصات مختلفة ولدى كل منهم قدر من الدراية بالتخصص الآخر .
- باحث واحد فى تخصص معين يجتهد فى الجمع بين تخصصين والعبور من تخصصه إلى تخصص آخر(وقد يجتمع مجموعة من الباحثين فى تخصص واحد ويقومون بالعمل نفسه أي الاشتراك فى العبور إلى تخصص آخر).

شروط إجراء الدراسة البينية:

إن سؤالا أساسيا يطرح نفسه أحيانا: لو أن باحثا استعان بواحد من مفاهيم التاريخ مثلا لتفسير الأدب فهل يعني ذلك كون دراسته قد أصبحت دراسة بينية؟

إن شروطا ثلاثة تفرض نفسها على الدراسة البينية، يكون لها تأثيرها فى تصنيف الدراسة والتحكم فى مجرياتها:

١- الهدف: بمعنى أن تكون الدراسة البينية هدفا فى حد ذاتها أي تكون فى مقدمة أهداف الدراسة، مما يعني دخولها فى التخطيط لإجراء البحث .

٢- متن الدراسة وإجراءاتها: تتحقق معطياتها فى أجزاء الدراسة: العنوان، المتن، المصادر والمراجع .

٣- نتائج الدراسة: يكون للبينية تحققها فى نتائج الدراسة تأكيدا لتحقق أهدافها .



الدراسات البينية



(٢)

يعتقد البعض صعوبة قيام الدراسات البينية حد الاستحالة معتمدين على فكرة التباعد القائم بين العلوم، وهو تباعد كنتوري (وهمي نسبة لخطوط الكنتور المعروفة فى الجغرافيا) فالعلاقات القائمة بين العلوم أقوى من العلاقات القائمة بين البشر ذاتهم.

تتحرك العلاقة بين العلوم عبر دوائر تتسع وفق طبيعة العلوم نفسها، فإذا اعتبرنا العلوم الإنسانية دائرة فداخلها مجموعة من التخصصات وكذلك بقية العلوم فهي تمثل دوائر داخل كل منها عدة دوائر أخرى تتماس وتتداخل دائما دون توقف، والرابط بينها يقوم على أساسين:

- رابط داخلي يتنبه له الباحث فيعمل على الاشتغال عليه كالعلاقة بين الأدب وعلم النفس على سبيل المثال.
- رابط تجريبي يقوم بالأساس على وعي الباحث وقوة خياله، كأن يستخدم مصطلحات علم مجربها فى علم آخر كما يحدث أن يختبر أحدهم معطيات العلوم التطبيقية فى الأدب مثلا أو فى العلوم الإنسانية.

بالأساس لا تفتقر العلوم للعلاقات المشتركة المبنية على روابط قائمة بينها جميعا تتمثل فيما هو أساسي، من مثل:

١- اللغة التي تمثل وسيلة اتصالية تعبر عن العلوم وتعرض أفكارها وتجعلها قابلة للتطبيق وفق رؤى إنسانية تنتمي للفكر الإنساني، اللغة هنا تمثل الدماء التي لا حياة للإنسان بغيرها، وما يبذله الإنسان من طاقة فكرية لإنتاج الفكر وتطبيق العلوم هو ناتج هذه الدماء، فالإنسان يفكر باللغة قبل أن يتواصل بها.

٢- تفكير الإنسان فى العلوم معتمدا أدوات التفكير الإنساني المتاحة: العقل والخيال بوصفهما منتجين للفكر ويمثلان وسيلة تفعيل العلوم وتشغيلها لا علم دون أفكار ولا علم دون خيال إنساني فعال.

٣- مجال التطبيق وهو مساحة حركة الأفكار ومساحة إنتاجها ومنطقة عملها فالفكر الإنساني أيا ما كان نوعه يعود للإنسان ولا مجال لتطبيقه أو تنشيطه بعيدا عن المجال الإنساني.

وهي مجرد نماذج من الروابط بين العلوم، يكفي الوقوف على اللغة لإدراك ذلك فاللغة التي لا يستغني عنها كل علم فى التوصيل قادرة على الوفاء بمتطلبات الفكر الإنساني وعلى أن تمنح كل علم لغته الخاصة به دون أن تغادر العلوم معاجم اللغة عامة أو معاجمها الخاصة بشكل خاص.

ولا يفوتنا أن وحدة الوجود تجعل من الارتباط بين العلوم سمة واضحة المعالم ليس بمقدور البشر أولا والعلوم ثانيا أن تفلت منها أو تتجاوز متطلباتها.

هنا نكون على وعي بتلك القوة العميقة الرابطة بين العلوم والتي تجعل فرصة الدراسة الجامعة بينها قائمة لا تضاد فيها ولا مجال لعلم ما أن يخالف قوانينه أو يتخلى عن مبادئه، فقط هي مسافات تتقارب لنرى صورة أوضح للعلم وفق معطيات علم آخر ويكفي أن نضرب مثالا بالإنسان بوصفه موضوعا يتطلب دراسته اعتماد كثير من العلوم، فالطب لا يستغني عن علم النفس، وعلم النفس لا يستغني عن علم الاجتماع، والفيزياء لا تستغني عن علم التشريح، والتشريح لايستغني عن قوانين المادة ومعطيات العلوم المختلفة.



خاتمة

كان لهذه الصفحات أن تطول محاولة أن تقف على الجديد، ولكن الجديد لا يتوقف، لذا فعليها أن تتوقف تأملا للمشهد المتسارع لاكتشاف مساحات أخرى ماتفتأ تفرض نفسها محققة وجودها.

تظل الصفحات السابقة محاولة لخدش الجدار المصاب بكثير من الصدمات لكنه لم يسقط لأنه يمتلك عوامل البقاء.

تعاني كثير من جامعاتنا العربية – إن لم نقل معظمها – من مشكلات فى البحث العلمي: ضعف مستوى – افتقاد التمويل – سرقات علمية – غياب أخلاقيات البحث العلمي – مشكلات إدارية – تواري قيمة التخصصات الإنسانية مقاربة حد التهميش.

وكأننا نقبل الوضع بما هو عليه وكأن القائمين على اتخاذ القرار لا يملكون من الرؤية ما يدفعهم لبحث القضية/ القضايا واتخاذ ما يلزم (المنطقي فى الجامعة أنها مصنع أفكار يكون قادرا على تحل مسؤولية المجتمع المحيط والوقوف على مشكلاته ودراستها ووضع حلول (علمية) ناجزة لها) ولكن الوضع يكشف عن حقيقة كارثية حين ندرك أن:

"بعض القائمين على الأمر لا يفكرون، والذين يفكرون لا يقومون على أي أمر".

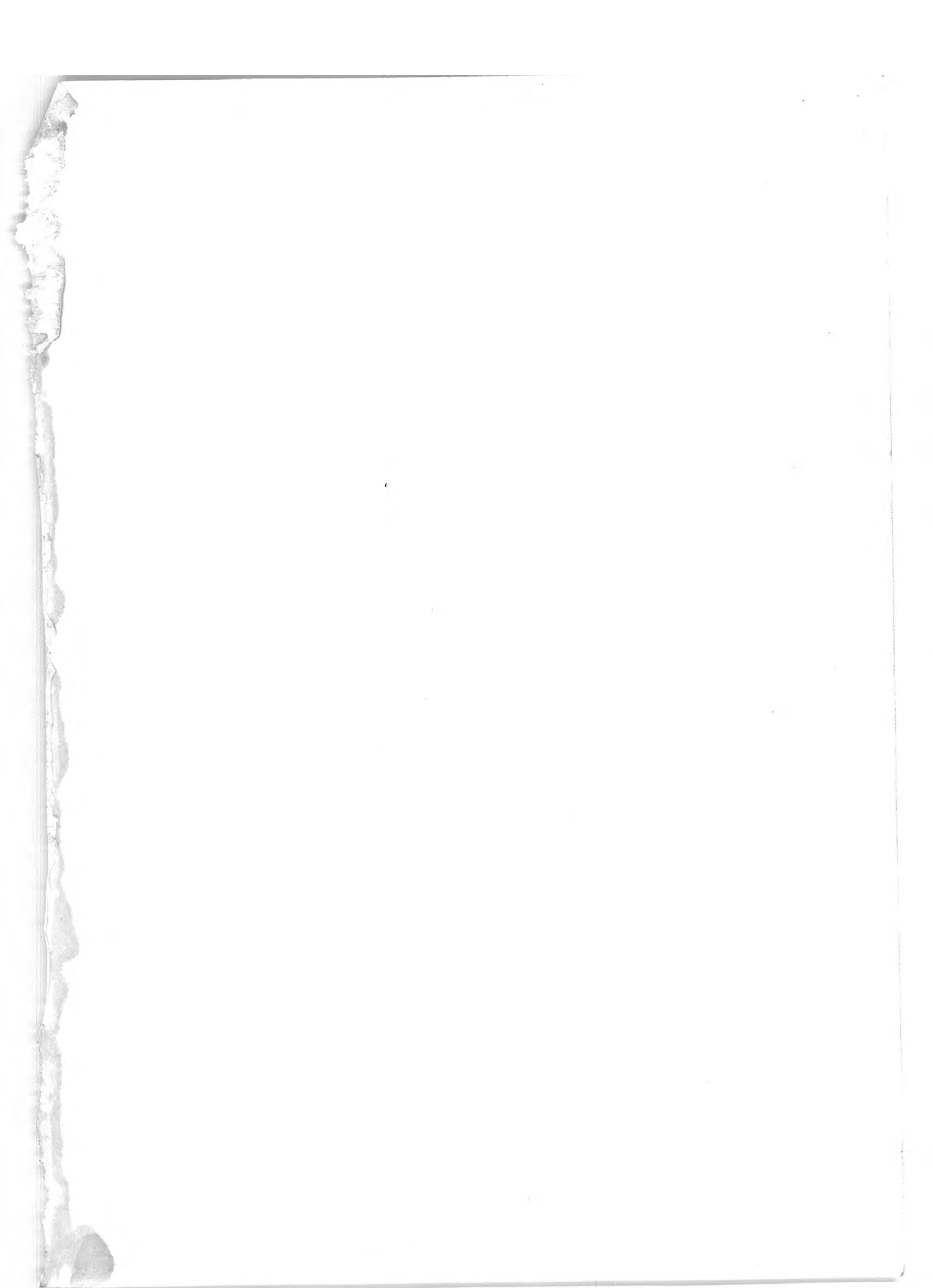
إن هناك كثيرا من الأفكار والمشروعات مطلوبة عاجلا للخروج من الأزمة تهدف إلى:

- تفعيل القوانين الخاصة بأخلاقيات البحث العلمي لإيقاف سيل السرقات العلمية.
- تدريب الباحثين على كل تفاصيل البحث العلمية وإجراءات إنجازه وترسيخ قواعد تنظيم المعرفة.
- إنجاز قواعد بيانات توثيقية لخدمة البحث العلمي والباحثين.
- فتح مصادر المعرفة وقواعد البيانات الخاصة بالجامعات على مواقعها الإلكترونية.

الطريق طويل ولكن الأمل قادر على الإنجاز.







البحث العلمي في ألفيته الثالثة



د. مصطفى الضبع

على مدار ربع القرن تقريبا تشكلت مادة هذا الكتاب، عشت مع تفاصيله طوال رحلتي مع البحث العلمي منذ السنة التمهيدية للماجستير نهاية الثمانينيات بجامعة عين شمس، وعبر سنوات كانت تؤرقني التفاصيل، فأكتفي بالبحث عن حل المشكلات التي تواجهنى، وأدرك يقينا أنها تواجه الكثير من الباحثين، وعلى مدار سنوات أخرى ربما بعد عام ٢٠٠٠، والانتقال من الآليات التقليدية للبحث العلمي (التقنيات الورقية) إلى التقنيات الحديثة المعتمدة بالأساس على أجهزة الكمبيوتر وشبكة الإنترنت، مما آذن بنقلة نوعية كبرى محدثة ثورة عظمى فى كل شيء وفى المقدمة البحث العلمي.





تصميم الغلاف: وليد ثابت